# أجاثا كريستي

## سِحْر المَرايا

دار النجمة للنشر والتوزيع

# سِحْر المَرايا

بسم الله الرحمن الرحيم

# أجاثا كريستي

# سِحْر المَرايا

دار النجمة للنشر والتوزيع

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة للناشر:
دار النجمة للنشر والتوزيع

يُمنَع تصوير أو إعادة إنتاج هذا الكتاب
ورقياً أو إلكترونياً إلا بإذن خطي مسبَق من الناشر

للاستفسار والطلبات التجارية
AgathaBooks@sardira.com

# الفصل الأول

ابتعدت السيدة فان ريدوك عن المرآة قليلاً وتنهّدت قائلة: حسناً، لا بأس به. ما رأيك يا جين؟

نظرت الآنسة ماربل نظرة ناقدة وأجابت: إنه ثوب جميل.

فتنهّدت السيدة فان ريدوك ثانية وقالت: أجل، لا بأس به.

وقفت السيدة فان ريدوك أمام المرآة، وكان وجهها الذي تعلوه الأصباغ والذي ساهم التدليك في الاحتفاظ ببشرته الجميلة الناعمة يبدو من بعيد كوجوه الفتيات، وكان شعرها يبدو ضارباً إلى اللون الرمادي أكثر منه إلى المشيب. كان من المستحيل وأنت تنظر إليها أن تتصور شكلها وهي في حالتها الطبيعية بلا أصباغ ومساحيق، فقد كانت تستمتع بكل ما يسمح به المال من طعام خاص وتدليك وتمرينات منتظمة.

ثم تهالكت فوق مقعد مكسوّ بالساتان وقالت: شكراً لك يا ستيفاني. يمكنك أن تنصرفي.

فأخذت ستيفاني الثوب وخرجت، وعادت السيدة فان ريدوك تقول: ستيفاني العجوز الطيبة. إنها تعيش معي منذ ثلاثين عاماً، وهي المخلوقة الوحيدة في العالم التي تعرف حقيقتي. إنني أريد

أن أتحدث معك يا جين.

فانحنت الآنسة ماربل إلى الأمام قليلاً وقد بدا عليها الاهتمام، وبدت في غير مكانها الطبيعي في تلك الغرفة الفخمة بذلك الفندق الفخم. كانت ترتدي ثوباً أسود اللون وتمسك حقيبة كبيرة من ذلك النوع الذي تستخدمه ربات البيوت عند ذهابهن إلى السوق، وكانت تبدو كربّة بيت ظريفة مبجّلة.

قالت السيدة فان ريدوك: إنني أشعر بالانزعاج بخصوص كاري لويز يا جين.

فردّدت الآنسة ماربل الاسم بلهجة حالمة أعادتها إلى الماضي البعيد قائلة: كاري لويز.

تلك المدرسة الداخلية بفلورنسا، وهي نفسها، جين ماربل، الفتاة الإنكليزية النضرة التي تتدفق قوة وحيوية والتي نشأت نشأة دينية محضة، والفتاتان مارتن الأمريكيتان اللتان أثارتا اهتمامها بطريقتهما الغريبة في الحديث وبحيويتهما المتدفقة. إحداهما كانت روث الطويلة القامة المتطلّعة إلى الحياة ومعرفة العالَم، والأخرى كاري لويز الصغيرة المتزنة.

- متى رأيتها آخر مرة يا جين؟

- منذ سنوات طويلة، خمس وعشرين سنة على الأقل. إننا نتراسل طبعاً ونتبادل البطاقات في المناسبات والأعياد.

ما أغرب الصداقة! هي جين ماربل، وهي في ريعان الصبا، وهاتان الأمريكيتان. لقد اختلف طريقهن في نفس الوقت تقريباً، ومع ذلك فما زالت الصداقة قائمة بينهن، الرسائل في المناسبات والبطاقات في الأعياد. ومن الغريب أن روث التي أصبحت تقيم في

أمريكا هي التي تراها من وقت إلى آخر بعكس أختها. لكن لا، لم يكن هذا بالأمر الغريب، فإن روث كانت تهوى السباحة، وكانت تنتقل كل سنة أو كل سنتين إلى أوروبا وتنتقل ما بين لندن وباريس والريفييرا، وتنتهز الفرصة دائماً لزيارة صديقتها. وقد التقت بها مراراً قبل ذلك سواء في فندق كلاريدج أو فندق سافوي أو بركلي أو دورشيستر لتتناولا الغداء أو العشاء معاً. لم تجد روث الوقت لكي تزور صديقتها في قرية سانت ماري ميد ولم تتوقع الآنسة ماربل منها ذلك قط، وهكذا التقت بروز الأمريكية مراراً في حين أنها لم ترَ كاري لويز التي تقيم في إنكلترا منذ عشرين عاماً. وقد كان ذلك أمراً غريباً ولكنه كان طبيعياً مع ذلك، فعندما يقيم المرء في نفس البلد لا تكون لديه حاجة لكي يدبّر اللقاءات والمقابلات مع أصدقائه تاركاً ذلك للظروف. ولم يلتقِ طريق جين ماربل بطريق كاري لويز قط.

سألت الآنسة ماربل صديقتها قائلة: وما الذي يزعجك بخصوص كاري لويز يا روث؟

- إن ما يزعجني أكثر هو أنني لا أجد سبباً.

- أهي مريضة؟

- إنها ما زالت هشة كما هي، ولا أستطيع أن أقول إنها أسوأ مما هي في الواقع، فهي قد تقدّمت بها السنّ مثلنا تماماً.

- أهي غير سعيدة؟

- بل هي سعيدة من غير شك.

نعم، لا بدّ أنها سعيدة حقاً، هكذا حدّثت جين ماربل نفسها. إن من العسير تصوّر كاري لويز شقية بائسة، ومع ذلك فقد مرّت

بها أوقات عصبية لم تعرف فيها السعادة قط. لكن الصورة لم تتضح تماماً، فلعلها شعرت بشيء من الارتباك أو القلق، أما الأسى العميق الدفين فهي لم تعرفه قط.

وجاءت كلمات روث فان ريدوك مناسِبة وهي تقول: لعل ظروفها...

ولكنها لم تلبث أن أمسكت ثم قالت: لا، إنما هي نفسها. لقد كانت كاري لويز هي وحدها التي تشبثت بالمُثل العليا من بيننا نحن الثلاث، والواقع أنه كانت لنا مُثلنا العليا كغيرنا من الفتيات، فقد كان ذلك أمراً شائعاً ومألوفاً في ذلك الوقت، فأنت يا جين كنت تريدين أن تكرّسي وقتك للعناية بمرضى البرص، وكنت أنا أريد أن أدخل الدير، ولكننا لم نلبث أن صحونا من أوهامنا هذه، وأعتقد أن الزواج قد بدّد هذه الأوهام، وعلى الخصوص كان زواجي أنا زواجاً ناجحاً.

رأت الآنسة ماربل أن روث قد تكلّمت باعتدال، فهي قد تزوّجت ثلاث زيجات، في كل منها تزوّجت برجل ثريّ، وقد جنَت أكبر الفائدة من طلاقها كل مرة؛ فقد كان رصيدها في المصرف يزيد من غير أن يؤثر ذلك في نفسيتها أي تأثير.

قالت السيدة فان ريدوك: الحق أنني كنت دائماً قوية صلبة العود لم تؤثر الأحداث فيّ قط، على أنني لم أكن أتوقع الكثير من حظوظ الحياة، ويقيناً لم أكن أتوقع الكثير من الرجال. وقد عشت حياتي على أحسن ما يكون، ولم يكن لي أعداء، فما زلت أنا وتومي من خير الأصدقاء، وغالباً ما يأتي جوليوس لاستشارتي في كل ما له علاقة بالسوق.

وتجهّم وجهها ثم أردفت قائلة: وأظن أن هذا هو ما يزعجني

فيما يتعلق بكاري لويز، فقد كانت تميل دائماً إلى الزواج بالرجال المصابين بالهوَس.

- الهوَس؟!

- أعني الأشخاص المثاليين، فقد كانت كاري لويز تقدّس المُثل وتسعى وراءها، وكانت لا تزال في ريعان الصبا لم تتجاوز السابعة عشرة عندما التقت بغولبراندسن العجوز واستمعت إلى أفكاره وخُطبه عن تحسين الجنس البشري، وكان هو قد تخطى الخمسين وكان أرمل وله أولاد راشدون، ومع ذلك تزوجته بسبب ميوله ومناصرته لخير البشرية، وكانت تجلس وتصغي إليه مأخوذة كما كانت تفعل ديدمونة وهي تصغي إلى عطيل، ولحسن الحظ أنه لم يتدخل بينهما أي ياغو. ومهما يكن فإن غولبراندسن لم يكن ملوّناً، فقد كان سويدياً، أو لعله كان نرويجياً أو شيئاً من هذا القبيل.

هزّت الآنسة ماربل رأسها بتفكير. لقد كان اسم غولبراندسن مألوفاً في العالم كلّه، فقد جمع ذلك الرجل الفذّ ثروة ضخمة أخذت تتضخم وتتضخم بحيث لم يكن يوجد من سبيل لإنفاقها إلا في وجوه الخير. وما زال هذا الاسم موجوداً حتى اليوم وما زال له معناه، فتوجد مؤسسة غولبراندسن، وجمعية غولبراندسن للأبحاث العلمية، وجمعية غولبراندسن للأعمال الخيرية، وفوق كل هذه المؤسسات وأشهرها معهد غولبراندسن لتعليم أولاد العمّال.

- وهي لم تتزوجه من أجل ماله كما تعلمين، ولا أرى ماذا كان يحدث لو لم يمُت في الثانية والثلاثين. وهذه سنّ مناسبة لأرملة عركتها الحياة ولا تزال تنتظر منها الكثير.

أصغت العانس إليها ثم أومأت برفق في حين راح ذهنها يستعرض الأرامل اللاتي عرفتهن في قرية سانت ماري ميد.

- وكنت سعيدة حقاً عندما تزوجت كاري لويز بجوني ريستاريك، وقد تزوجها طمعاً في مالها بالطبع، أو بمعنى أصحّ ما كان ليخطر له أن يتزوجها لو أنها لم تكن تملك شيئاً. وكان جوني رجلاً أنانياً يحب اللهو وحياة الخمول والعيشة الرغدة السهلة، وكان يريد من كاري لويز أن ترتدي الثياب الغالية الأنيقة وأن تجوب البحار معه وتستمتع بالحياة في صحبته. وهذا النوع من الرجال لا خطر منه البتة، فيكفي أن توفري له وسائل الراحة والبذخ فيموء ويتمسح بك كما تفعل القطة. ولم أحمل طريقته المسرحية محمل الجدّ قط، ولكن كاري لويز تأثرت بها واعتبرتها من لوازم الحياة ومن أصول الفنّ وافتتنت بها. ثم جاءت تلك المرأة اليوغسلافية فألقت شبَاكها عليه واختطفته منها، إذا جاز لنا هذا التعبير، ولم يكن يريد أن يمضي معها حقاً، ولو أن كاري لويز كانت تتمتع بذرّة من العقل وانتظرته لعاد إليها نادماً بكل تأكيد.

فسألتها الآنسة ماربل قائلة: هل تألمت كثيراً؟

- هذا هو أغرب ما في الأمر، فأنا لا أعتقد أنها تألمت. لقد كانت كريمة حقاً معه، ولكن هذا لم يكن مستغرباً منها على أية حال؛ فهي رقيقة بطبعها، ولم تفكر في شيء إلا في أن تمنحه الطلاق لكي يستطيع أن ينظم حياته مع زوجته اليوغسلافية. وهكذا تزوّج جوني المسكين بتلك المرأة وعاش معها ستة شهور كانت بالنسبة له جحيماً لا يطاق، ثم في نوبة من الغضب اندفعت بسيارتهما في هوّة سحيقة وقيل يومها إنه حادث وقع قضاءً وقدراً، ولكنني أعتقد أنها فعلت ذلك عامدة. ولم يسَع كاري لويز بعد ذلك

إلا أن تتزوج بلويس سيروكولد، وهو رجل به هوَس هو الآخر، رجل له مُثله العليا هو أيضاً. أنا لا أقول إنه لا يحبها، بل إنني أعتقد أنه يحبها، ولكنه به هوَس ولا همّ له إلا إسعاد الجميع، كما لو أن ذلك شيء ميسور حقاً.

فقالت الآنسة ماربل: الحق أنه شيء عسير.

- إنقاذ الشباب الضائع الذي ضلّ الطريق القويم وانخرط في طريق الجريمة. هذه هي الفكرة التي ظلّت تلّح عليه إلى حدّ الجنون، وقد انتقلت منه هذه العدوى إلى كاري لويز، ولكن ذلك لا يروقني يا جين. لقد كانت هناك اجتماعات بين رجال القانون وأجريت تعديلات على المكان وأُلحقت به منشآت ومبانٍ جديدة تحقيقاً لهذه الفكرة، والمكان الآن يغصّ بالشباب الضائع والأطباء النفسانيين وعلماء النفس، وهكذا يعيش لويس سيروكولد وكاري لويز بين حشد من الشباب المنحرفين المجرمين وعدد كبير من الاختصاصيين والأطباء والمدرّسين، وكل منهم أشدّ تحمّساً من غيره، ونصفهم من المجانين، وعزيزتي كاري لويز الصغيرة تعيش وسط كل هؤلاء.

وأمسكت عن الكلام برهة ونظرت إلى الآنسة ماربل بيأس شديد، فقالت الآنسة ماربل بشيء من الارتباك والحيرة: ولكنك لم تذكري لي ممَّ تخافين يا روث.

- قلت لك إنني لا أدري، وهذا هو ما يزعجني أكثر من أي شيء آخر. إنني ذهبت إلى ستونيِ غيتس في زيارة خاطفة وقضيت بها بضعة أيام، وقد أحسست طوال الوقت بأنه يوجد شيء غير عاديّ في الجوّ وفي البيت، وأعرف أنني غير واهمة، فأنا حساسة دائماً فيما يتعلق بالجوّ. ألم أقُل لك كيف أقنعت جوليوس لكي

يبيع شركة الحبوب المندمجة قبل أن تفلس؟ أوَلم أكن على حق؟ إن إحساسي يقول لي إن شيئاً بالغ السوء يقع هناك، وإن كنت لا أعرف ما هو على وجه التحديد، فلويس لا عالَم له إلا أوهامه ومُثله العليا، وهو لا يلحظ شيئاً، وكاري لويز لا ترى ولا تسمع ولا تفكر في أي شيء فيما عدا كل ما هو جميل. إن في الجوّ شيئاً يحوم وأريد منك أن تذهبي هناك يا جين وأن تتحققي من الأمر بنفسك.

فهتفت الآنسة ماربل قائلة: أنا؟! ولماذا أنا بالذات؟

- لأن لك حاسة لا تخطئ في هذا المضمار منذ وقت طويل. إنك كنت دائماً مخلوقة ظريفة يا جين، وما من شيء كان يثير دهشتك، ثم إنك تعتقدين الأسوأ دائماً.

فتمتمت الآنسة ماربل قائلة: ذلك لأن الدنيا مليئة بالشرور.

- كيف يمكن أن تدور برأسك مثل هذه الأفكار السيئة عن الطبيعة البشرية وأنت تعيشين في تلك القرية الوادعة الهادئة التي لا تعرف غير النقاء والصفاء؟

- إنك لم تعيشي في القرى يا روث. إن القرية الوديعة الهادئة التي لا تعرف غير النقاء والصفاء كما تقولين ستثير دهشتك إذا أنت أقمت بها بعض الوقت.

- ربما، ولكنها لا تثير دهشتك أنت، ولهذا السبب بالذات ستذهبين إلى ستوني غيتس وستكتشفين حقيقة ما يدور بها.

- ولكن سيكون هذا أمراً عسير التنفيذ يا روث.

- لا تخشَي شيئاً؛ فقد دبرت الأمر، وأرجو أن لا تغضبي مني لذلك. إنني مهّدت لك الطريق فقط.

وسكتت السيدة فان ريدوك ونظرت إلى الآنسة ماربل بارتباك ظاهر، وبعد أن أشعلت لفافة تبغ راحت تقول بانفعال: إنني واثقة من أنك توافقينني على أن الحياة أصبحت صعبة في هذه البلاد منذ أو وقعت الحرب بالنسبة إلى ذوي الدخل المحدود، أعني بالنسبة إلى الأشخاص الذين في مثل حالتك يا عزيزتي جين.

- هذا صحيح، ولا أدري كيف كنت أستطيع موجهة الحياة لولا كرم ابن شقيقتي رايموند.

فقالت السيدة فان ريدوك: دعينا من ابن شقيقتك الآن. إن كاري لويز لا تعرف شيئاً عنه، أو إذا كانت تعرف عنه أي شيء فهي لا تعرف أكثر من أنه كاتب، ولكنها لا تعلم أنه ابن شقيقتك. لقد كتبت إليها عنك وقلت لها إنك في حالة سيئة وإنك تعانين من شظف العيش وإنك لا تأكلين حتى الشبع وإن عزة نفسك تمنعك من الالتجاء إلى أصدقائك القدامى، واقترحت عليها أن لا ترسل إليك نقوداً وأن تدعوك لقضاء بضعة أيام لديها يمكنك في أثنائها أن تستمتعي بالغذاء الدسم الوفير وأن تطرحي عنك هموم الدنيا ومشكلاتها.

وأمسكت روث فان ريدوك مرة أخرى عن الكلام ثم قالت بعد لحظة متحدّية: والآن لك أن تثوري وأن تغضبي مني ما شاء لك الغضب.

ولكن الآنسة ماربل حدقت إليها بعينيها العسليتين وقالت بدهشة: ولماذا أثور وأغضب منك يا روث؟ الواقع أن هذه فكرة رائعة، وأنا واثقة أن كاري لويز قد استجابت لها.

- لقد كتبت لك كما توقعت، وسوف تجدين خطابها عند عودتك إلى مسكنك. ألا تظنين حقاً يا جين أنني تماديت وسمحت

لنفسي بما لا يجب؟ ألا تبالين...

- بأن أذهب إلى ستوني غيتس طلباً للمأوى والإحسان؟ أو بمعنى أصحّ تحت ادّعاء كاذب، أليس كذلك؟ أنا لا أبالي بهذا مطلقاً إذا كان لا بدّ من ذلك، وإنني أوافقك على هذا الرأي.

فتفرّست السيدة فان ريدوك فيها وقالت: ولكن لماذا؟ ماذا سمعت؟

- لم أسمع شيئاً، وإنما هو يقينك بأن شيئاً ما يحدث هناك، وأنت لست خيالية يا روث.

- هذا صحيح، ولكني لا أستند إلى شيء معيّن.

فقالت الآنسة ماربل بتفكير: إنني أذكر صباح يوم أحد وكان ذلك في الكنيسة، يوم الأحد الثاني الذي يسبق عيد الميلاد، وكنت جالسة خلف غريس لامبل، وقد شعرت عندئذ بالقلق من نحوها، وقد أخذ هذا القلق يتزايد من وقت إلى آخر، وأحسست بأن في الأمر شيئاً خاطئاً، خاطئاً جداً، ولكنني لم أتمكّن من تحديده. كان إحساساً مزعجاً ولكنه كان إحساساً معيّناً مع ذلك.

- وهل كان في الأمر شيء خاطئ بالفعل؟

- نعم، فإن أباها الأميرال بدا غريب الأطوار في الأيام الأخيرة، وفي اليوم التالي ليوم الأحد المذكور هجم عليها وفي يده مطرقة وهو يصيح بأنها عدوّ للمسيح متنكرة في صورة ابنته، وقد أوشك أن يقتلها في ذلك اليوم. وقد نقلوها إلى إحدى المصحّات، وقد استردّت صحّتها بعد بضعة شهور قضتها في المستشفى، ولكن الأمر كان غريباً حقاً.

- وكان أن راودك هذا الهاجس في ذلك اليوم.

– لن أقول إنه كان هاجساً، وإنما كان شيئاً يقوم على الواقع، وهذه أشياء تقع عادة وإن لم يدرك الإنسان كنهها في ذلك الوقت. فقد كانت تلبس قبعتها على غير الوضع السليم، وكان هذا أمراً له معناه حقاً لأن غريس لامبل كانت امرأة دقيقة لا تعرف الغموض ولم تكن عُرضة للنسيان أو الشرود، ولم يكن يوجد أي شك في أن ظروفاً معينة بالذات هي التي جعلتها تلبس قبعتها بتلك الطريقة من غير أن تدري، ذلك أن أباها كان قد قذفها بثقالة الورق فتحطمت نظارتها، فأخذت قبعتها ووضعتها فوق رأسها وأسرعت بمغادرة البيت وهي تحرص على الاحتفاظ بمظهرها وعلى أن لا يلحظ الخدم شيئاً مما حدث، وقد نسبت ما وقع إلى حدّة الطبع التي اكتسبها أبوها من معيشته في البحار، وهي لم تدرك ذلك منذ وقت طويل، فقد كان دائم الشكوى إليها بأن أعداء يترصدونه ويتجسسون عليه، وهذه أعراض عادية معروفة حقاً.

نظرت السيدة فان ريدوك إلى صديقتها باحترام وقالت: لعل قرية سانت ماري ميد ليست بالقرية المثالية كما كنت أتصور دائماً يا جين.

– إن الطبيعة البشرية يا عزيزتي واحدة في كل مكان، وإن ملاحظتها في المدن أشدّ صعوبة، وهذا كل شيء.

– ستذهبين إذن إلى ستوني غيتس، أليس كذلك؟

– بل هو ذلك، ولعل هذا العمل غير أمين بالنسبة إلى ابن أختي رايموند، أعني أن أرفض مساعدته لي، ولكن الولد العزيز سيقضي في مكسيكو ستة أشهر وسأكون قد فرغت عند عودته.

– فرغت من أي شيء؟

- إن دعوة كاري لويز لن تكون لإقامة دائمة، فربما لثلاثة أسابيع وربما لشهر واحد، وهذا وقت كافٍ جداً.

- كافٍ لكي تهتدي إلى حقيقة ما يدور؟

- نعم.

فقالت السيدة فان ريدوك: إنك كثيرة الثقة بنفسك يا عزيزتي جين، أليس كذلك؟

فنظرت إليها الآنسة ماربل بشيء من العتاب وقالت: إنك وثقت بي يا روث، أو هكذا تقولين، وأستطيع أن أؤكد لك أنني سأبذل قصارى جهدي لكي أبرّر هذه الثقة.

* * *

# الفصل الثاني

قبل أن تستقلّ الآنسة ماربل القطار العائد إلى قرية سانت ماري ميد حرصت على أن تجمع ما ينقصها من حقائق ومعلومات، فقالت وهي تتبادل الحديث مع روث: إنني لم أتبادل مع كاري لويز غير بطاقات المعايدة من وقت إلى آخر، وأريد أن أعرف بعض الحقائق يا عزيزتي روث وأن أبني لنفسي فكرة صحيحة عن الأشخاص الذين سألتقي بهم في ستوني غيتس.

فقالت روث: حسناً. إنك تعرفين الآن أن كاري لويز تزوجت بغولبراندسن ولم تنجب منه أولاداً، وقد أحزنها ذلك كل الحزن، وكان غولبراندسن أرمل وله ثلاثة أولاد راشدين، وقد انتهى بهما الأمر إلى أنهما تبنّيا طفلة اسمها بيبا، وهي طفلة جميلة جداً كانت قد بلغت سنتها الثانية عندما تبنّياها.

- ومن أين أتت؟ هل يعرفان أصلها؟

- إذا أرادت الصراحة يا جين فإنني لا أذكر. ربما من إحدى جمعيات التبني، أو لعلها كانت ابنة غير مرغوب فيها وسمع غولبراندسن عنها. ولكن لماذا؟ هل تظنين أن لهذا أهمية ما؟

- لا، ولكن المرء يجب أن يعرف دائماً كل شيء. استمرّي.

– وبعد أن تبنّيا تلك الطفلة بقليل ظهرت أعراض الحمل على كاري لويز، وقد علمت من بعض الأطباء أن هذا أمر شائع.

فأومأت الآنسة ماربل وقالت: أجل، أعتقد هذا.

– مهما يكن فهذا هو ما حدث، وقد ارتبكت كاري لويز لذلك، وأظنك تدركين ما أعني. لقد كادت أن تُجَنّ من الفرح قبل أن تظهر عليها أعراض الحمل، فقد أحبّت بيبا كل الحب بحيث إنها شعرت بالحرج إزاءها عندما جاءت ملدريد، ثم إن ملدريد عندما جاءت كانت دميمة تشبه غولبراندسن. وقد حرصت كاري لويز على أن لا تفرق في المعاملة بين الطفلة المتبنّاة وطفلتها هي بحيث إنني أعتقد أنها راحت تغفر لبيبا كل شيء وتقسو في معاملتها لملدريد، وأظن أن ملدريد قد أحنقها ذلك.

وكبرت بيبا وغدت فتاة جميلة في حين شبّت ملدريد وازدادت قبحاً ودمامة، ومات أريك غولبراندسن عندما بلغت مدريد الخامسة عشرة وبيبا الثامنة عشرة. وعندما بلغت هذه الأخيرة العشرين من عمرها تزوّجت بشاب إيطالي يدعى المركيز دي سان سفريانو، وهو مركيز حقيقي وليس أفّاقاً. وكان من الواضح أنها سترث مبلغاً لا بأس به، ولولا ذلك لما تزوجها المركيز، وأنت تعرفين الإيطاليين في هذه الناحية، وقد أوصى غولبراندسن لكل من البنتين بمبلغ مساوٍ، وتزوجت ملدريد بالكاهن ستريت، وهو رجل طيّب ولكنه يعاني من زكام مستديم ويكبرها بنحو عشرة أعوام أو خمسة عشر عاماً، وأعتقد أنهما كانا سعيدين. وقد مات ستريت منذ نحو عام وعادت ملدريد مع أمها في ستوني غيتس.

لكنني أستبق الأحداث، فقد تخطيت زيجة أو زيجتين، ولهذا سأبدأ من جديد. لقد تزوجت بيبا بزوجها الإيطالي، وقد اغتبطت

كاري لويز لهذا الزواج كل الاغتباط؛ فقد كان غيدو رقيقاً وسيماً، وكان فوق ذلك رياضياً بارعاً. وبعد سنة من ذلك الزواج وضعت بيبا طفلة وماتت هي في أثناء الوضع، وقد كان لهذا المصاب أشدّ الوقع على دي سفريانو. وتنقّلت كاري لويز بين إنكلترا وإيطاليا مراراً والتقت في روما بجوني ريستاريك، كما تزوّج المركيز للمرة الثانية ووافق على أن تعيش ابنته في كنف جدّتها في إنكلترا، وهكذا انتقل الجميع إلى ستوني غيتس، جون ريستاريك وكاري لويز وابنا جوني وهما أليكس وستيفن (وكانت زوجة جوني الأولى روسية الأصل) والطفلة جينا. وتزوجت ملدريد بالكاهن ستريت بعد ذلك بقليل، ثم وقعت هذه القصة بين جوني والمرأة اليوغسلافية وتم الطلاق، وما زال الولدان يمضيان إلى ستوني غيتس لقضاء إجازتهما، وهما يحبان كاري لويز. ثم تزوجت لويز بلويس سيروكولد في سنة ١٩٣٨ على ما أذكر.

أمسكت السيدة فان ريدوك عن الحديث برهة ثم قالت متسائلة: ألم ترَي لويس قط؟

فهزت الآنسة ماربل رأسها وأجابت قائلة: نعم، لم أرَه. أظن أنني رأيت كاري لويز في سنة ١٩٢٨، وقد دعتني عندئذ لقضاء السهرة معها في الأوبرا.

– لقد كان لويس الزوج المناسب لها. كان رئيس حسابات شركة كبيرة، وأظن أنه التقى بها لأول مرة بخصوص ميزانية مؤسسات غولبراندسن، وكان ميسور الحال وفي مثل سنّها ويعيش عيشة مستقيمة، ولكنه كان به هوَس، فلا يفكر إلا في إصلاح الشباب الضائع.

وتنهدت السيدة فان ريدوك ثم أردفت قائلة: والواقع يا

جين أن عمل الخير في حدّ ذاته عمل طيّب حميد، وقد أنشأ غولبراندسن معهده لتعليم أولاد العمّال وتثقيفهم مجاناً، ولكن الحكومة لم تلبث أن تولّت أمره. ثم جاء لويس وهو يشتعل حماسة لمشروعه الذي لا همّ له غيره وهو إصلاح الشباب المنحرف وإبعادهم عن طريق الشرّ وتقويم اعوجاجهم، وقد اتجه اهتمامه بهذا الأمر في البداية في أثناء قيامه بعمله، فقد كان يشرف على حسابات الشركات ويرى الشباب يلجؤون إلى الاختلاس تلبية لنزوة من نزواتهم. وكان يعتقد أن هؤلاء الشباب المعوجّين إنما دفعتهم الظروف إلى هذا الاعوجاج وأن لهم عقولاً رائعة وكفاءة ممتازة وأنهم بحاجة إلى الرعاية لكي يستقيم أمرهم.

قالت الآنسة ماربل: هذا صحيح بعض الشيء، وإنني لأذكر...

ولكنها أمسكت عن الحديث وألقت نظرة إلى ساعتها ثم هتفت قائلة: يا إلهي! يجب أن ألحق بقطار السادسة والنصف.

فسألتها روث فان ريدوك باهتمام قائلة: هل ستذهبين إلى ستوني غيتس؟

فأخذت الآنسة ماربل حقيبتها ومظلّتها وقالت: إذا طلبت مني كاري لويز ذلك.

- سوف تكتب إليك، فهل ستذهبين؟ عِديني يا جين.

فوعدتها جين.

* * *

# الفصل الثالث

نزلت الآنسة ماربل من القطار في محطة ماركت كيندل وناولها أحد المسافرين حقيبتها وبعض اللفائف، فتمتمت ببعض كلمات الشكر التي ضاعت في صوت جهوري واضح أعلن به ناظر المحطة في مكبر الصوت أن القطار الذي يقوم في الساعة الثالثة والدقيقة الثامنة عشرة واقف على الرصيف رقم واحد وأنه سيقوم بعد لحظات في طريقه إلى محطات فرعية كثيرة وأخذ يذكرها.

ومحطة ماركت كيندل محطة كبيرة معرّضة للتيارات الهوائية لا ينزل بها كثير من المسافرين وليس بها غير قليل من الموظفين، ومع ذلك فقد كان بها ستة أرصفة ومظلة كبيرة يقف تحتها قطار صغير مكوّن من عربة واحدة ترسل صفيراً متتابعاً كما لو كان يريد أن يضفي على نفسه أهمية كبرى.

ووقفت الآنسة ماربل في المحطة مرتدية ثوباً عتيقاً بالياً ، فمن حسن الحظ أنها لم تكن قد تخلّت عن ثوبها المنقط بعد. وراحت تنظر حولها مترددة عندما تقدّم منها شاب وخاطبها قائلاً: الآنسة ماربل؟

وكان في صوته رنة غريبة مسرحية كما لو كان مجرّد النطق باسمها عبارة عن تمثيلية على مسرح من الهواة.

- لقد أتيت من ستوني غيتس لمقابلتك.

نظرت الآنسة ماربل إليه شاكرة، وقد بدت للشاب امرأة ظريفة عجوزاً لا حول لها ولا قوة، ذات عينين عسليتين ثاقبتين. وكانت شخصية الشاب لا تناسب صوته، فكانت شخصيته تبدو ضعيفة هشة وكانت تلازمه لازمة، فكان يغمز بحاجبيه بانفعال وباستمرار.

قالت الآنسة ماربل: شكراً لك. ليس معي غير هذه الحقيبة.

ولاحظت أن الشاب لم يلتقط الحقيبة بنفسه، فقد أشار بإصبعه إلى أحد الحمّالين وهو يقول له: إليك هذه الحقيبة.

وأردف يقول بأهمية: اذهب بها إلى ستوني غيتس.

فقال الحمال: حسناً، سوف أذهب بها بعد قليل.

وخُيل إلى الآنسة ماربل أن ردّ الحمال لم يرُق الشاب، فقد تملّك الانفعال هذا الأخير وبدا كما لو كان مَلكاً لم يجد إذناً من أحد صغار خدمه، وصاح يقول بعصبية: تباً لهؤلاء الحمالين. إنهم يزدادون وقاحة يوماً بعد يوم.

وأردف يقول وهو يتقدّمها خارج المحطة: إنا إدغر لاوسن، وقد طلبت مني السيدة سيروكولد أن آتي لمقابلتك. إنني أساعد السيد سيروكولد في عمله.

وكان في لهجته ما يوحي بالمنزلة الهامة التي يشغلها وأنه على الرغم من ذلك تنازل وجاء لاستقبالها إرضاءً لزوجة مخدومه. ومع ذلك فقد كان في لهجته تلك الرنة المسرحية السابقة، تماماً كما لو كان يقوم بدور. وبدأت الآنسة ماربل تعجب من أمره.

وخرجا من المحطة ومضى الشاب إلى سيارة صغيرة من طراز فورد وقال: هل تجلسين في المقعد الأمامي بجواري أم تفضلين المقعد الخلفي؟

ولكنه قبل أن يفرغ من قوله أقبلت سيارة فاخرة من طراز رولز رويس وتوقفت أمام السيارة الفورد ونزلت منها فتاة جميلة، وكانت ترتدي بنطالاً قذراً وقميصاً بسيطاً من القماش العادي، ولكنها على الرغم من ذلك كانت تبدو جميلة فاتنة. وقالت: أهذا أنت يا إدغر؟ لقد حسبت أنني لن أصل في الوقت المناسب. أرى أنك اهتديت إلى الآنسة ماربل. إنني أتيت لمقابلتها.

ونظرت إلى الآنسة ماربل وعلى شفتيها ابتسامة كشفت عن أسنان بيضاء كاللؤلؤ في وجه لوّحته الشمس، وأردفت تقول: أنا جينا، حفيدة كاري لويز. كيف تمت الرحلة؟ أرجو أن تكوني قد استمتعت بها. ما أجمل هذه الحقيبة؛ إنني أحبّ الحقائب المصنوعة من الحبال المجدولة. سأحملها عنك هي ومعطفك، وبهذا يمكنك أن تصعدي إلى السيارة بسهولة.

اضطرم وجه إدغر واعترض قائلاً: اسمعي يا جينا؛ لقد أتيت لمقابلة الآنسة ماربل، وقد دبّرنا كل شيء.

افترّت شفتاها عن تلك الابتسامة الساحرة مرة أخرى وقالت: أنا أعلم يا إدغر، ولكني رأيت فجأة أن من الأصوب أن آتي. ستركب الآنسة ماربل معي في سيارتي، ويمكنك أن تنتظر وتأتي بحقائبها.

وصفقت باب السيارة بعد أن ركبت الآنسة ماربل ثم أسرعت إلى الناحية الأخرى وأخذت مكانها خلف مقعد القيادة وانطلقت بالسيارة من المحطة. ونظرت الآنسة ماربل خلفها فرأت وجه

لاوسن وقالت: أظن يا عزيزتي أنك أثَرت حنق السيد لاوسن.

فضحكت جينا وقالت: إن إدغر غبيّ جداً، ويعطي لنفسه أهمية حتى تحسبيه ذا شأن حقاً.

فسألتها الآنسة ماربل قائلة: أوَلا شأن له؟

- إدغر؟

وضحت الفتاة ضحكة قاسية تنطق بالازدراء وقالت: ما هو إلا غرّ أبله.

- أبله؟!

- إن كل من في ستوني غيتس بُلهاء. لا أعني لويس ولا جدتي ولا الأولاد ولا الآنسة بيلفر بالطبع، ولكنني أعني الآخرين. أعتقد أحياناً أنني سأصاب بمسّ من الجنون أنا الأخرى، فحتى خالتي ملدريد تخرج للنزهة وتحدّث نفسها طَوال الوقت. وما أظنك تتوقعين من زوجة كاهن أن تُقدِم على مثل هذا العمل.

وكان قد خرجا من المحطة وأخذت السيارة تنساب في طريق مقفر، فألقت جينا نظرة سريعة إلى زميلتها وسألتها قائلة: هل كنت في المدرسة مع جدّتي؟ إن هذا يبدو غريباً.

فأدركت الآنسة ماربل ما تعنيه جينا تمام الإدراك، فإن الشباب لا يتصورون أن الشيوخ كانوا شباباً وأنهم عانوا من الرياضيات والآداب مثلما يعانون هم بدورهم. واستطردت جينا تقول: لا ريب أن ذلك كان منذ وقت طويل جداً.

فأجابت الآنسة ماربل: أجل، هذا صحيح. إنك تشعرين بهذا الشعور معي أكثر مما تشعرين به مع جدّتك، أليس كذلك؟

فأومأت جينا وقالت: إن قولك هذا يدل على مبلغ ذكائك، فإن جدّتي لا يبدو عليها أنها تأثرت بتقدّم السنّ.

– لقد مرّ وقت طويل منذ أن رأيتها لآخر مرة، وإني لأتساءل: هل سأجدها قد تغيرت كثيراً؟

فقالت جينا بغموض: إن شعرها قد شاب طبعاً، ثم إنها تعتمد في سيرها على عصا بسبب الروماتيزم، وقد ساء الأمر أخيراً وأظن أنها...

وأمسكت وقالت تسأل الآنسة ماربل فجأة: ألم تأتي إلى ستوني غيتس قبل اليوم؟

– نعم، لم آتِ مطلقاً، ولكني سمعت عنها كثيراً.

فقالت جينا بمرح: إن القصر شديد البشاعة حقاً، وهو مبني على الطراز القوطي. يقال إنه يعيد إلى الأذهان عظمة العهد الفيكتوري، ولكنني أراه بشعاً جداً؛ فقد تغيّر فيه كل شيء وأصبح مأوى للأطبّاء والعلماء النفسانيين من كل نوع، يستمتعون بإقامتهم ويستطيبونها كما يفعل رؤساء الكشافة، ولكن بطريقة أسوأ. ثم إن شبابنا المعوجّين المجرمين بغيضون، بل إن معظمهم بغيضون جداً. لقد أراني واحد منهم كيف يفتح الأبواب والأقفال بقطعة من السلك، وذكر لي شاب آخر تبدو عليه سمات البراءة طُرقاً كثيرة للنصب والاحتيال على الناس.

راحت الآنسة ماربل تتأمل هذه المعلومات بتفكير في حين استطردت جينا تقول: وإنني أميل إلى قُطّاع الطرق لا أكثر، ولا أظن أن أمرهم يدعو إلى الاستغراب، ولكن لويس والدكتور مافريك يعتقدان أن أمرهم شديد الغرابة، أعني أنهما يعتقدان أنهم

انحرفوا بسبب رغبات مكبوتة واضطراب في حياتهم المنزلية وأن أمهاتهم يحِدن عن الطريق القويم ويخرجن مع الجنود وغيرهم، ولكني لا أعتقد هذا لأنه يوجد أناس يعانون من بشاعة الحياة ولكنهم يبذلون جهدهم لكي يستقيموا في حياتهم.

قالت الآنسة ماربل: إنني واثقة أن هذه مشكلة عويصة جداً.

فضحكت جينا فكشفت عن أسنانها الجميلة ثانية وقالت: إن هذا الأمر لا يزعجني كثيراً، فلا بدّ لهؤلاء الشبان من أحد لكي يُعنى بأمرهم، ولويس يهتمّ بذلك بقدر ما يستطيع، وهو ذاهب إلى أبردين في الأسبوع المقبل لأن هناك قضية منظورة أمام محكمة الجُنَح، قضية صبيّ صغير سبق أن حُكم عليه قبل ذلك خمس مرات.

- وماذا عن الشاب الذي أقبل إلى المحطة لاستقبالي، السيد لاوسن؟ لقد قال إنه يساعد سيروكولد، فهل هو سكرتيره؟

- إدغر؟ إنه لا يصلح مطلقاً لأن يكون سكرتيراً. إنه أحد الشباب المنحرفين قد اعتاد النزول بالفنادق والادّعاء بأنه محارب قديم وطيار مقاتل، ويقترض مبالغ من المال ثم يلوذ بعد ذلك بالفرار. وأعتقد أنه ليس إلا صعلوكاً، ولكن لويس يعامل الجميع معاملة واحدة ويُشعر كلاً منهم بأنه فرد من أفراد العائلة، ويعهد إليهم بالقيام بأعمال خاصة لتنمية إدراكهم بالمسؤولية.

وأردفت جينا تقول ضاحكة: وأظن أنه سيأتي يوم يقتلنا فيه أحد هؤلاء الشباب.

ولكن الآنسة ماربل لم تشاركها ضحكها.

* * *

عبرت السيارة باباً كبيراً يقف به بواب في ملابسه الرسمية التي تضفي عليه منظراً مهيباً، وانسابت في ممرّ تحفّ به أشجار ضخمة، وكان منظر الممرّ والأشجار والأعشاب يدل على أن يد الإهمال قد امتدّت إليها.

وحين رأت جينا نظرة جين أسرعت تقول: لم نجد بستانياً في أثناء الحرب، ولم نهتمّ بالأمر بعد ذلك. وأنا معك في أن المكان يبدو فظيعاً.

ودارت السيارة بمنحنى ولم يلبث أن ظهر قصر ستوني غيتس، وكان قصراً كبيراً كما قالت جينا، مشيداً على النمط الفيكتوري القوطي جاء آية في التعبير عن هذا الطراز، وقد أضيفت إليه مبانٍ أخرى بسيطة المظهر أضاعت عظمة البناء الأصلي وجعلت من الجميع مجموعة متباينة الانسجام.

قالت جينا برقة: فظيع، أليس كذلك؟ ها هي ذي جدّتي واقفة في الشرفة. سأقف هنا ليتسنى لك الذهاب واللقاء بها.

تقدمت الآنسة ماربل عبر الشرفة في طريقها إلى صديقتها القديمة، وبدت لها هذه الأخيرة من بعيد ضئيلة الجسم نحيلة العود صغيرة السنّ على الرغم من العصا التي تتوكأ عليها، وعلى الرغم من مشيتها البطيئة التي تدل على الإعياء والإرهاق بحيث إن من يراها من بعيد يظن أنها فتاة شابة تحاول أن تقلّد بشيء من المبالغة امرأة عجوزاً في مشيتها.

صاحت السيدة سيروكولد تقول: جين!

- عزيزتي كاري لويز!

نعم، كانت هي كاري لويز كما كانت تعرفها في شبابها لم

تتغير. بدت فتية بشكل عجيب وإن كانت لم تستخدم أية مادة من مواد التجميل كما تفعل أختها، وكان شعرها أشيَب ولكنه لما كان أقرب إلى لون الفضة وهي فتاة فلم يغير الشيب من شكله كثيراً، وكانت بشرتها لا تزال تحتفظ ببياض الوردة عند الذبول، وكانت عيناها لا تزالان تحتفظان بنظرتهما البريئة.

قالت كاري لويز بصوتها العذب: كم ألوم نفسي لأنني أهملتك كل هذه المدة. لقد مضى دهر طويل لم أرَك خلاله يا عزيزتي جين، وإنه لجميل منك أن تأتي لزيارتنا أخيراً.

قالت جينا وهي في آخر الشرفة: يجمل بك أن تأتي إلى الداخل يا جدّتي؛ فإن الطقس يميل إلى البرودة، وستغضب جولي.

فأطلقت كاري لويز ضحكة قصيرة وقالت: إنهم جميعاً يهتمّون بي أكثر من اللازم ويدّعون أنني امرأة عجوز.

- ألا تشعرين بأنك امرأة عجوز؟

- نعم، نعم يا جين، فعلى الرغم من كل أشجاني وآلامي -وما أكثرها- إلا إنني لا أزال أشعر بأنني ما زلت فتاة مثل جينا، ولعل كل واحدة تشعر بمثل هذا الإحساس؛ فإن المرأة لا تصدّق ما تراه، وأنا يخيل إليّ أننا كنا في فلورنسا معاً منذ شهور قلائل لا من سنين عديدة. هل تذكرين السيدة شويك وحذاءها الطويل؟

وضحكت المرأتان لهذه الذكرى التي يرجع عهدها إلى ما يقرب من نصف قرن، ثم سارتا معاً إلى باب جانبيّ التقتا عنده بامرأة هزيلة متقدّمة في السنّ لها أنف يدل على التعالي وشعر قصير، وكانت ترتدي ثوباً من الصوف. وقالت بحدّة: من الجنون يا كاري أن تبقَي في الخارج إلى هذا الوقت المتأخر. إنك لا تعتنين

بنفسك إطلاقاً. ماذا يقول السيد سيروكولد؟

فقالت كاري لويز متوسّلة: لا تعنّفيني يا جولي، أرجوك.

وقدّمتها إلى الآنسة ماربل قائلة: هذه هي الآنسة بيلفر، وهي بكل بساطة كل شيء بالنسبة لي، فهي ممرّضة ووصيفة وسكرتيرة ومديرة البيت وصديقة مخلصة.

أخذت الآنسة بيلفر نفَساً طويلاً واضطرم طرف أنفها علامة على الانفعال وقالت بخشونة: إنني أفعل ما أستطيع. إن هذا البيت مجنون، ولا تستطيعين أن تنظمي فيه أي شيء.

- لن تستطيعي ذلك يا جولي طبعاً، وإنني لأعجب لماذا لا تكفّين عن المحاولة! أية غرفة تخصصين للآنسة ماربل؟

- الغرفة الزرقاء. هل أرافقها الآن؟

- نعم يا جولي، إذا تكرّمت، وانزلي بها بعد ذلك لتناول الشاي. أظن أننا سنتناوله في غرفة المكتبة اليوم.

* * *

كانت بالغرفة الزرقاء ستائر سميكة زرقاء مطرزة باهتة مضى عليها ما يقرب من خمسين عاماً، وكانت قطع الأثاث متينة الصنع ومن خشب الماهوغاني الثمين، وكان الفراش كبيراً له أربع قوائم عالية من خشب الماهوغاني هو الآخر. وفتحت الآنسة بيلفر باباً يؤدي إلى غرفة حمّام ملحقة كان كل ما فيها يدل على أنه حديث وجديد، وحين أبدت الآنسة ماربل دهشتها لذلك أسرعت الآنسة بيلفر تقول: لقد أقام السيد جون ريستاريك عشرة حمّامات في البيت عندما تزوّج كارا، وأعمال السمكرة هي الوحيدة التي

استحدثها في هذا القصر، ولم يشأ أن يغير أي شيء آخر؛ فقد كان يقول إن البيت قطعة جميلة من الفن القوطي. هل التقيت به؟

- لا؛ ذلك لأنني لم ألتقِ بالسيدة سيروكولد كثيراً، وإن كنا لم ننقطع عن التراسل.

قالت الآنسة بيلفر: كان رجلاً ظريفاً. لم يكن طيباً دائماً وإنما كان بغيضاً جداً، ولكنه كان ظريفاً مع ذلك. كان على جانب كبير من السحر وأحبّته النساء كثيراً، وقد أفسده ذلك. لم يكن من النوع الذي يصلح لكارا.

وأردفت تقول وقد عادت إلى خشونتها: سنقوم بإفراغ حقيبتك. هل تريدين أن تغتسلي قبل تناول الشاي؟

وحين أجابتها الآنسة ماربل بالإيجاب أردفت تقول إنها ستنتظرها في الخارج. ومضت الآنسة ماربل إلى غرفة الحمّام وغسلت يديها وجفتهما بشيء من الانفعال، ثم خلعت قبعتها ومشطت شعرها الأبيض الناعم. بعد ذلك فتحت الباب فوجدت الآنسة بيلفر في انتظارها، ونزلت المرأتان الدرَج ثم تقدّمتها الآنسة بيلفر إلى غرفة كبيرة بها أرفف للمكتب ترتفع حتى السقف وبوسطها نافذة كبيرة تطلّ على بحيرة صناعية.

كانت كاري لويز واقفة بجوار النافذة، فلحقت الآنسة ماربل بها وقالت: يا له من قصر كبير، يخيل إليّ أنني أضيع فيه!

- أجل، إنه قصر مضحك! لقد شيده تاجر ثريّ من تجار الحديد أو ما أشبه ذلك، ولكنه لم يلبث أن أفلس بعد ذلك، وله الحق؛ فإن بالقصر أربع عشرة غرفة للمعيشة وكلّها غرف ضخمة، ولا أرى حقاً كيف يستطيع المرء أن يعيش في أكثر من غرفة

واحدة. هذا فضلاً عن أن غرف النوم كبيرة جداً وتشغل أماكن كبيرة لا داعي لها، فغرفة نومي أنا فسيحة جداً، ثم إن بين الفراش وبين طاولة الزينة مسافة كبيرة وبها ستائر قرمزية داكنة سميكة.

- ألم تحدثي بها أية تجديدات أو تغيّري زخرفتها؟

- لا، إنه بقي كما هو تقريباً، مثلما كان عندما أتيت للإقامة فيه لأول مرة مع إيريك. لقد أعدنا طلاءه ولكننا لم نغيّر لونه. ولكن هذه أشياء لا أهمية لها، أعني أنني لم أرَ مبرراً لإنفاق مبلغ جسيم من المال لهذا السبب في حين أن لدينا أشياء كثيرة أكثر أهمية.

- ألم يقع أي تغيير في القصر على الإطلاق؟

- بلى، حدثت تغييرات كثيرة، فقد احتفظنا بالمبنى القائم في وسط القصر كما هو، البهو الكبير والغرف التي تقع بعده والتي تعلوها؛ فهي أحسن غرف في القصر كله، وكان جوني -زوجي الثاني- مغرماً بها ولم يشأ أن تمتدّ إليها يد التعديل أو التغيير، وقد كان فناناً بالطبع ومصمّم ديكورات، وكان على علم بهذه الأشياء تماماً، ولكن الجناحين الشرقي والغربي أُعيد بناؤهما وقُسمت الغرف وأقيمت فيها حواجز بحيث استطعنا إعداد مكاتب وغرف نوم لمجموعة المدرسين وغيرهم وجمع الأولاد في مبنى الكلية. ويمكنك أن ترَي ذلك كلّه من هنا.

رأت الآنسة ماربل مبنى من الطوب الأحمر من النافذة عبر سلسلة من الأشجار، ولكن لم يلبث أن وقع بصرها على شيء أقرب فابتسمت قليلاً وقالت: إن جينا فتاة جميلة حقاً.

فتألق وجه كاري لويز وقالت برقة: أجل، إنها جميلة، وإنه لجميل حقاً أن تعود للإقامة بيننا. لقد أرسلتها إلى أمريكا في بداية

الحرب، لدى روث. ألم تحدثك روس عنها؟

- لم تفعل.

تنهدت كاري لويز وقالت: مسكينة روث. لقد نسيت كل شيء عن زواج جينا، ولكني قلت لها مراراً إنني لا ألومها على ذلك. إن روث لا تدري أن الحواجز والطبقات الاجتماعية قد اندثرت، أو أنها على الأقل في طريقها إلى الاندثار. كانت جينا قد التحقت بالجيش في أثناء الحرب فالتقت بذلك الشاب، وكان من رجال البحرية الممتازين، وقد تزوّجا بعد أسبوع. وقد حدث هذا بأسرع ما يمكن دون أن يجدا من الوقت ما يكفي لكي يكتشفا إذا كان كل منهما يناسب الآخر أم لا، ولكن هكذا تدور الأمور في عصرنا هذا. لقد تغير الجيل وأصبح الشباب يتصرف كما يحلو له، وعلينا نحن أن نتقبّل قراراته. لكن روث لا تقرّ ذلك.

- هل تعتقد أن ذلك الشاب لا يناسبها؟

- إنها لا تفتأ تقول إننا لا نعرف عنه أي شيء، فقد أقبل من الغرب الأوسط ولم يكن يملك شيئاً ولا يعرف مهنة ما، ويوجد آلاف على غراره، ولكن روث رأت أنه لا يناسب جينا. ومهما يكن من أمر فقد تم زواجهما، وقد سررت جداً حين قبلت جينا دعوتي للإقامة معي هي وزوجها، فهنا عمل كثير من كل نوع، وإذا أراد والتر التخصص في الطبّ أو في أي شيء فيمكنه أن يفعل ذلك هنا. وعلى كل حال فهذا بيت جينا، وإنه ليسرّني أن تقيم معنا وأن يكون في البيت فتاة مرحة حلوة مملوءة حيوية مثلها.

فأومأت الآنسة ماربل وأطلّت خارج النافذة الثانية إلى الشابين الواقفين بجوار البحيرة وقالت: إنهما زوجان جميلان جداً، ولا يدهشني أن تقع جينا في هواه.

- ماذا؟! ولكن هذا الشاب ليس والتر.

بدا في صوت السيدة سيروكولد لمسة من الارتباك أو التحفظ، وعادت تقول: هذا ستيفن، أصغر أولاد جون ريستاريك. فحين تركني جون وذهب لم يكن للولدين أي مكان يقيمان فيه في أثناء إجازتهما، ولهذا كنت أستقدمهما لدي دائماً، وهما يعتبران هذا البيت بيتهما، وستيفن يقيم هنا بصفة دائمة الآن، فهو يدير شؤون المسرح، فلدينا مسرح كما تعلمين، ونحن نشجّع كل الميول الفنية، ولويس يقول إن كل الجرائم التي يرتكبها الأحداث سببها حبّ الظهور، فإن أكثر شباب اليوم غير سعيدين في بيوتهم، وأعمال السطو والسرقة تجعلهم يشعرون كما لو كانوا أبطالاً. إننا نحثّهم على كتابة مسرحياتهم الخاصة وننمّي فيهم ميولهم الخاصة. وستيفن يهتم بالمسرح، فهو ذكيّ ويشتعل حماسة.

فقالت الآنسة ماربل ببطء: إنني أرى هذا أيضاً.

كانت تتمتع ببصر حادّ قويّ، وكان أهل قريتها سانت ماري ميد يعرفون عنها ذلك، وقد رأت جون ريستاريك بوجهه الأسمر وهو واقف بجوار جينا يتحدث إليها باهتمام، ولم تستطع أن ترى وجه جينا لأن الفتاة كانت توليها ظهرها، ولم يكن يوجد أي شك في تعبيرات وجه ذلك الشاب. وقالت الآنسة ماربل مردفة: ليس هذا شأني، ولكني أظنك تدركين يا كاري لويز أنه يحبها.

فبدا الارتباك على كاري لويز وقالت: أرجو أن لا يكون الأمر كذلك.

- إنك تعيشين دائماً في أجواء الفضاء يا كاري لويز. لا يوجد أي شكّ في ذلك.

* * *

# الفصل الرابع

لم تجد السيدة سيروكولد الوقت لكي تردّ؛ فقد أقبل زوجها في تلك اللحظة وبين يديه عدّة رسائل مفتوحة.

كان السيد سيروكولد رجلاً قصير القامة، لا شيء يلفت النظر إليه بوجه خاص، ولكنه يتمتع مع ذلك بشخصية جبارة تثير الاهتمام بوجه عام. وكانت روث قد تحدثت عنه ذات مرة فقالت إنه أقرب الشبه إلى مولّد الكهرباء منه إلى الرجل، وكان يبدو دائماً أن لديه ما يشغله ويزعجه، ولم يكن يهتم أقل اهتمام بالأشياء أو الأشخاص المحيطين به.

قال السيد سيروكولد: صدمة شديدة يا عزيزتي. هذا الولد جاكي فلينت قد عاد إلى ألاعيبه ثانية، والحق أنني اعتقدت في المرة الأخيرة أنه سيسير في الطريق القويم لو أنه وجد الفرصة لذلك؛ فقد كان يبدو عليه أنه جادّ في ذلك. وأنت تعلمين أننا اكتشفنا شغفه بالقطارات، وقد حسبت أنا ومافريك أننا لو عثرنا له على عمل في السكة الحديدية فسوف يصلُح أمره، ولكنه عاد إلى لعبته ثانية فراح يسرق الطرود، غير أنه لم يكن يسرق لكي يبيع، وهذا يدل على أن به عقدة نفسية لم نفطن إليها. ومهما يكن من أمر فأنا لم أنفض يدي منه بعد.

– لويس، هذه هي صديقتي العزيزة القديمة جين ماربل.

فقال السيد سيروكولد بشرود: مرحباً. إنهم سيرفعون أمره إلى القضاء طبعاً. إنه شاب ظريف رغم أنه لا يتمتع بأي عقل. إنني لا أدري في أية بيئة نشأ، ولكنني... ماذا؟! الآنسة ماربل؟ كيف حالك؟ يسرّني أنك أتيت للإقامة معنا فترة من الوقت. ستغبط كارولين بذلك لأنها ستجد صديقة قديمة تستطيع أن تتبادل معها ذكريات الماضي. إنها تقضي حياة كئيبة هنا، فكل الأولاد الذين يعيشون هنا لهم ماضٍ كئيب محزن، ونرجو جميعاً أن تبقَي معنا فترة طويلة.

أحسّت الآنسة ماربل بالمغناطيسية التي تنبعث من ذلك الرجل وأدركت على الفور مدى تأثيره على صديقتها، ولم تشكّ قط في أن لويس سيروكولد كان من ذلك من نوع الرجال الذين يهتمّون بآرائهم الشخصية أكثر من اهتمامهم بغيرهم من الناس، وهذا العمل في حدّ ذاته قد يثير النساء، ولكنه لم يكن ليثير كاري لويز.

عرض لويس سيروكولد خطاباته وقال: مهما يكن فقد جاءتنا أنباء طيّبة، فهذه الرسالة من مصرف ويلتشاير وسومرست. إن موريس الشاب يعمل بجدّ ونشاط، وهم مسرورون وينوون ترقيته في الشهر القادم. كنت أعلم دائماً أن كل ما كان يحتاج إليه هو الشعور بالمسؤولية وبمقدرته على القدرة على الذهاب إلى دار العرض أو الملاهي أو شراء التبغ فحسب، وهم يتفنّنون في الحصول عليه بشتى الصور لهذا الغرض. وإذا أردت الحق فإنني أعتقد أنني أستطيع أن أمحو من ذهنهم هذه الصورة بأن أجعلهم يفهمون المعنى الحقيقي الكامن خلف المال. لنعطِهم العمل أولاً ثم

المسؤولية ثانياً، ولنحملهم على معالجة الأمور بصفة رسمية. إننا نجحنا نجاحاً كبيراً في هذا المضمار ولم يخذلنا غير اثنين فقط من ثمانية وثلاثين شاباً، وكان أحدهما صرّافاً في شركة أدوية، وهي وظيفة تتطلب مسؤولية خاصة.

وأمسك عن حديثه فجأة ليخاطب زوجته قائلاً: لقد أُعدّ الشاي بالداخل يا عزيزتي.

- ظننت أننا سنتناوله هنا، فقد قلت ذلك لجولي.

- لا، بل سنتناوله في القاعة، وقد سبقنا الآخرون إلى هناك.

- لقد ظننت أنهم قد خرجوا جميعاً.

وتأبطت كاري لويز ذراع الآنسة ماربل ومضى ثلاثتهم إلى القاعة الكبيرة. كان الشاي يبدو أمراً غير طبيعي في القاعة، فقد صُفّت الأكواب الفاخرة في صينية من الفضّة الخالصة يرجع عهدها إلى عهد الملكة فيكتوريا، وكانت توجد أكوام من الخبز وطبقان مملوءان بالمربى وبعض البطاطس المحمّرة وكمّية من الفطائر. وقد جلست امرأة متوسطة السنّ معتدلة القامة ذات شعر أشيَب خلف مائدة الشاي، فقالت السيدة سيروكولد: هذه ملدريد يا جين، ابنتي ملدريد. لم ترَيها منذ أن كانت طفلة صغيرة.

وكانت ملدريد ستريت الشخص الوحيد الذي يناسب ذلك القصر الكبير المنيف، فقد بدت مهيبة الهيئة متألقة الوجه، وكانت قد تزوجت في وقت متأخر وهي تخطو نحو الثلاثين بكاهن لكنيسة إنكلترا ثم أصبحت أرملة. كانت تبدو تماماً كزوجة كاهن، جليلة وعلى شيء من الغباء والكسل، وكانت امرأة دميمة ذات وجه

كبير غير معبّر وعينين كسولتين. وتذكرت الآنسة ماربل أنها كانت دميمة جداً وهي طفلة.

وأردفت السيدة كاري لويز قائلة: وهذا هو والي هد، زوج جينا.

كان والي شاباً طويل القامة يمشط شعره إلى أعلى وتبدو في عينيه نظرة متجهمة. وأومأ برأسه يحيّي الآنسة ماربل، ثم أولى اهتمامه للفطائر وراح يزدرد منها ما يريد.

وأقبلت جينا في تلك اللحظة وبرفقتها ستيفن ريستاريك، وقال ستيفن: لقد خطرت لجينا فكرة رائعة بخصوص ثياب المسرحية. إن لك مواهب ممتازة حقاً في تصميم الثياب المسرحية يا جينا.

فضحكت جينا وبدا عليها السرور، وأقبل إدغر لاوسن وجلس بجوار لويس سيروكولد، وحين خاطبته جينا تظاهر بأنه لا يريد الردّ. وقد أثار كل ذلك حيرة الآنسة ماربل ودهشتها، وسرّها أن تأوي إلى غرفتها بعد تناول الشاي وأن تستلقي فوق فراشها.

* * *

كان يوجد أشخاص آخرون في أثناء العشاء، كالدكتور الشاب مافريك، وهو طبيب نفساني أو عالِم سيكولوجي. ولم تدرِ الآنسة ماربل الفرق بين الأمرين، وقد دار حديثه كلّه عن اختصاصاته ولم تفهم الآنسة العجوز شيئاً تقريباً. وكان يوجد شابان آخران يلبس كل منهما نظارة ويقومان بالتدريس، ثم السيد بومغارتن الطبيب المعالج، وثلاثة من الشبّان وقع عليهم الاختيار للإقامة في البيت في ذلك الأسبوع بصفة مدعوين.

لم تستطِب الآنسة ماربل الطعام لأنه أُعدّ بطريقة تخالف

الطريقة التي اعتادت عليها. وقد رأت معرضاً من الأزياء، فقد ارتدت الآنسة بيلفر ثوباً أسود اللون، وارتدت ملدريد ستريت ثوباً من ثياب السهرة وفوقه معطف من الصوف، في حين ارتدت كاري لويز ثوباً قصيراً من الصوف الرمادي، وتألقت جينا في زيّ ريفيّ جميل، ولم يستبدل والي وستيفن ريستاريك ثيابهما، أما إدغر لاوسن فقد ارتدى حُلّة زرقاء داكنة، وارتدى لويس سيروكولد ثياب العشاء الرسمية وأكل قليلاً دون أن يفطن إلى نوع الطعام الذي يأكله.

وبعد العشاء مضى السيد سيروكولد والدكتور مافريك إلى غرفة مكتب الأخير، ومضى الطبيب المعالج والمدرّسان لمباشرة أعمالهم، أما المدعوون الثلاثة فقد عادوا إلى كلّيتهم، وذهبت جينا وستيفن إلى المسرح لمناقشة الفكرة التي طرأت لجينا بخصوص الثياب، واستأنفت ملدريد تطريز قطعة من القماش كانت قد بدأتها قبل ذلك في حين أخذت الآنسة بيلفر ترفو جوروباً. وتحدثت كاري لويز والآنسة ماربل عن الأيام الخوالي، وبدا الحديث مصطنعاً بصفة غريبة. أما إدغر لاوسن فكان وحده الذي بدا عليه أنه في غير مكانه الطبيعي، فقد جلس ولكنه لم يلبث أن نهض وهو يقول بصوت مسموع: أظن أنه يجب أن أذهب إلى السيد سيروكولد؛ فلعله في حاجة إليّ.

فقالت كاري لويز برقة: لا أظن ذلك؛ فقد ذهب برفقة الدكتور مافريك ليتحدث معه في بعض النقاط.

– لن أثقل عليهما إذن، فلا أريد أن أذهب إلى حيث لا يريدني أحد، وكفاني ما أضعته اليوم من وقت في المحطة، فلم أكن أعرف أن السيدة هد ذاهبة بنفسها.

فقالت كاري لويز: كان يجب أن تخبرك بذلك، ولكني أعتقد أنها قرّرت الذهاب في آخر لحظة.

- لقد دبّرت الأمر بحيث أبدو مغفلاً. نعم، مغفلاً.

فقالت كاري لويز وهي تبتسم: لا، لا يجب أن تخطر برأسك مثل هذه الأفكار.

- أعلم أنني شخص غير مرغوب فيه. إنني أشعر بهذا تماماً، ولو أن الأمور قد اختلفت... لو أنه تُرك لي أن أختار حياتي لكان الوضع مختلفاً، مختلفاً تماماً حقاً، ولكن ليس الذنب ذنبي أنني لم أستطع اختيار حياتي.

فقالت كاري لويز: لا تشغل نفسك بمثل هذه الأوهام يا إدغر. لقد اغتبط جين بلقائك، وجينا مندفعة كما تعرف ولم تشأ أن تحقّر من شأنك.

- بل هذا ما أرادته. إنها فعلت ذلك عامدة لكي تحقرني.

- لا يا إدغر.

- إنك لا تعرفين نصف ما يدور هنا يا سيدة سيروكولد. حسناً، لن أقول الآن أي شيء. طابت ليلتكما.

وخرج إدغر وهو يصفق الباب خلفه، وقالت الآنسة بيلفر: يا للأخلاق السيئة.

ولكن كاري لويز قالت بغموض: إنه شديد الحساسية.

فألقت ملدريد ستريت إبرتَيها وقالت بحدّة: إنه شاب بغيض جداً حقاً. لا يجب أن تصبري على مثل هذا التصرف يا أمّاه.

- يقول سيروكولد إنه لا حيلة له في ذلك.

وتكلّم والي هد لأول مرة في تلك الليلة فقال: إن هذا الشاب مخبول. هذا كل ما أستطيع قوله، مخبول.

* * *

حاولت الآنسة ماربل وهي في سريرها في تلك الليلة أن تستعيد إلى ذهنها أحداث ستوني غيتس ولكن كل شيء كان لا يزال مشوشاً في رأسها، فكانت توجد أمور غريبة بعض الشيء ولكنها كانت لا تبرّر في مجملها انزعاج روث فان ريدوك، فلم يكن يوجد ما يدل على أن كاري لويز تكترث بما يدور حولها، فقد كان ستيفن مغرماً بجينا، ولعل جينا كانت مغرمة به هي الأخرى، ولعلها لم تكن مغرمة به، ولكن كان واضحاً أن والتر هد لا تروقه هذه الحال. كان الموقف في ستوني غيتس كغيره في أي مكان آخر، فقد كانت هناك أحداث من المحتمل أن تقع أو لا تقع، أحداث عادية قد تنتهي بالطلاق وتبدأ بالزواج من جديد. وكان واضحاً أن ملدريد ستريت تغار من جينا وتمقتها، وهذا أمر رأت الآنسة ماربل أنه طبيعي.

وراحت تفكر فيما قالته لها روث فان ريدوك. خيبة الأمل التي أحست بها كاري لويز حين لم تنجب أولاداً وتبنّيها للطفلة بيبا ثم اكتشافها فيما بعد أنها حامل. وكان طبيب الآنسة ماربل قد تكلّم معها في هذا الموضوع فقال إن هذا يحدث عادة حين تحلّل المرأة بما تحسّ به من توتر وتشعر بالارتياح أخيراً فتقوم الطبيعة بدورها المعتاد.

وأردف يقول لها إن ردّ الفعل عندئذ يقع على الطفل المتبنّى، ولكن الأمر اختلف في هذه الحالة بالذات، فإن غولبراندسن وزوجته أحبّا بيبا الصغيرة كل الحبّ، وشغلت الطفلة مكاناً من

قلبيهما كما لو كانت ابنتهما حقاً، وأيقظت مشاعر الأمومة في قلب كاري لويز، وكان الحمل بغيضاً بالنسبة لها وشاقاً ومن المحتمل أن كاري لويز التي لم تهتمّ بالواقع قط كرهت أول احتكاك بها بذلك الواقع.

وكبرت الطفلتان، إحداهما جميلة حلوة والأخرى دميمة كئيبة، وهذا أمر طبيعي لأن الناس حين يتبنّون طفلة فإنهم يختارونها جميلة، وكاري لم يكن لها حيلة مع ملدريد التي ورثت كل شيء عن أبيها. وقد صمّمت كاري لويز على أن لا تشعر بيبا بأي فرق بينها وبين ابنتها الحقيقية، ولهذا السبب أخذت تعامل بيبا معاملة خاصة وتتساهل معها في حين راحت تشتدّ وتقسو في معاملتها مع ملدريد.

وتزوجت بيبا وذهبت إلى إيطاليا وأحسّت ملدريد لفترة من الوقت بأنها أصبحت الابنة الوحيدة في البيت، ولكن لم تلبث أن ماتت بيبا واستقدمت كاري لويز الطفلة الصغيرة للإقامة معها في ستوني غيتس، وأهملت ملدريد من جديد، ثم وقع الزواج الجديد وجيء بطفلَي ريستاريك. وفي سنة ١٩٣٤ تزوجت ملدريد بكانون ستريت، وكان يكبرها بنحو خمسة عشر عاماً، وانتقلت معه إلى جنوب إنكلترا للإقامة بها، وكان من المفروض أنها سعيدة ولكن لم يكن بمقدور أحد أن يتأكد من ذلك، غير أنها لم تنجب أولاداً، وها هي ذي قد عادت إلى نفس البيت الذي شبّت وكبرت فيه، ولم تكن سعيدة بذلك بالطبع.

جينا وستيفن ووالي وملدريد والآنسة بيلفر، كانوا جميعاً يحبّون النظام ولكن لم يكن في مقدورهم أن يفرضوه، وكان لويس سيروكلود المثالي يبدو سعيداً بكل وضوح، وقد كان واقعياً يترجم

أهدافه إلى معايير عملية. في كل هذه الشخصيات لم تجد الآنسة ماربل ما يؤيد ظنون روث فان ريدوك؛ فقد بدت لها كاري لويز آمنة مطمئنة بعيدة عن هذه الدوامة كما كانت طَوال حياتها. إذن فأي شيء جعل روث تحسّ ذلك الإحساس؟ وهل تحسّ به جين ماربل هي الأخرى؟ ولكن ما شأن الأشخاص الآخرين الذين يعيشون في هذه الدوامة؟ الأطباء المعالجين والمدرسين والأحداث المنحرفين والدكتور مافريك الشاب الواثق بنفسه وإدغر لاوسن الغاضب الحانق؟

وما وصلت الآنسة ماربل بأفكارها إلى هذا الحدّ حتى غلبها النوم، وقد حدث هذا وذهنها مشغول بإدغر لاوسن، فقد كان إدغر لاوسن يذكّرها بشخص أو بشيء ما. كان يوجد شيء خاطئ بخصوص ذلك الشاب، وكان إدغر لاوسن في غير موضعه في ذلك القصر، ولكن لم يكن هذا ليهمّ كاري لويز في أي شيء.

وأبعدت الآنسة ماربل هذا الخاطر من ذهنها وقد أزعجها شيء آخر غيره.

* * *

# الفصل الخامس

في صباح اليوم التالي دبرت الآنسة ماربل أمرها وتهرّبت من مضيفتها دون أن تدَعها تفطن إلى ذلك ومضت إلى الحديقة. كانت التجرِبة قد علّمتها أن الذين يعانون من مشكلة ما يرتاحون كل الراحة حين يبثّون همومهم للأغراب، بل إن الأمر يدفعهم أحياناً إلى مقابلتهم ومحاولة التحدث إليهم. وذهبت وفي رأسها هذا الخاطر إلى مكان هادئ منعزل من الحديقة وراحت تتمشى فوق الأعشاب، وسرعان ما ظهرت النتيجة، فلم تمضِ أكثر من خمس دقائق حتى ظهر إدغر لاوسن وهو بادي الاضطراب، فاستقبلته تقول بمرح: صباح الخير يا سيد لاوسن. تصوّر أنني أعشق الحدائق. إن فلاحة البساتين هو الشيء الوحيد الذي تستطيع امرأة عجوز مثلي ممارسته، أليس كذلك؟ ولكني لا أظن أنك تهتمّ بمثل هذا الأمر يا سيد لاوسن، فإن أمامك عمل حقيقيّ هام. إن السيد سيروكولد يثق بك كل الثقة ويعهد إليك بعمل يتطلب مسؤولية خاصة. لا بدّ أن الأمر على جانب كبير من الأهمية.

فأسرع الشاب يردّ على الفور قائلاً: أجل. إنه على جانب كبير من الأهمية.

- ولا ريب أنك تقدّم للسيد سيروكولد عوناً كبيراً.

فتجهّم وجهه وقال: لا أدري. لست واثقاً من ذلك. إنني لأتساءل عما إذا كان وراء هذا العمل...

وأمسك، فنظرت الآنسة ماربل إليه بتفكير. إنه شاب سقيم يُرثى له يرتدي ثياباً داكنة، شاب لا يثير أي اهتمام ولا يستحقّ أن يلتفت إليه أحد.

وكان يوجد مقعد على مقربة فمضت الآنسة ماربل إليه وجلست ووقف إدغر أمامها وقد قطب جبينه، وقالت الآنسة ماربل برفق: إنني واثقة أن السيد سيروكولد يعتمد عليك كثيراً.

فقال إدغر: لا أدري. لا أدري حقاً. وازداد وجهه عبوساً وجلس بجوارها واستطرد قائلاً: إنني في موقف عسير.

فقالت الآنسة ماربل: حقاً؟

ونظر الشاب إلى الأمام ملياً ثم قال فجأة: أرجو أن يبقى كل ما أذكره لك سرّاً بيننا.

- أعدك بذلك.

- لو أنني كنت أتمتع بحقوقي...

وأمسك فجأة فقالت الآنسة ماربل تستحثه على الكلام: أكمل.

- يمكنني أن أقول لك ذلك على كل حال. سيبقى الأمر سرّاً بيننا، أليس كذلك؟

- بلى.

وأسرع الشاب يقول من غير أن ينتظر منها توكيداً أكثر: إن أبي... إن أبي رجل له شخصية كبيرة ويشغل مركزاً مهماً جداً.

ولم تكن الآنسة ماربل بحاجة إلى أن تتكلم هذه المرة، فكل ما كان عليها هو أن تصغي. واستطرد الشاب يقول: لا يعرف بأمره أحد إلا السيد سيروكولد نفسه، فلو أن أحداً عرف أنه أبي فقد يسيء هذا إلى موقفه.

وتحوّل إليها وابتسم، وكانت لابتسامته طابع يدلّ على الجدّ والوقار، واستطرد قائلاً: أنا ابن ونستون تشرشل نفسه.

فقالت الآنسة ماربل: نعم، إنني أفهم.

وفهمت ما يعينه حقاً، فقد وقعت بقريتها، سانت ماري ميد، قصة شبيهة بهذه القصة. واستطرد إدغر لاوسن يقول بلهجة مسرحية: كانت توجد أسباب طبعاً، فقد كانت أمي متزوجة وكان زوجها لا يتمتع بعقله بحيث اضطروا إلى إيوائه بمستشفى المجانين. ولم يكن في مقدورها أن تحصل على الطلاق، وأنا صراحة لا ألومها، على الأقل أظن أنني لا أستطيع ذلك؛ فقد بذل أبي كل ما في وسعه تقريباً، في السرّ طبعاً، ومن هنا جاءت المتاعب. إن له أعداء كثيرين، وهم أعدائي أنا الآخر ويعملون ضدّي ويدبّرون أمرهم بحيث نبقى مفترقين، وهم يراقبونني ويتجسسون عليّ في كل مكان ويتآمرون ضدي.

هزت الآنسة ماربل رأسها وقالت: يا لك من مسكين.

- كنت أدرس في لندن لكي أصبح طبيباً، ولكنهم عبثوا بأوراق امتحاني وغيّروا أجوبتي لأنهم أرادوا أن أرسب، وتبعوني في الشوارع وقالوا لصاحبة البيت الذي كنت أقيم فيه إنني أكاذيب وطاردوني في كل مكان.

فقالت الآنسة ماربل برقة: ولكن كيف عرفت كل هذا؟

- عرفت كل هذا بوسائلي الخاصة طبعاً. إنهم شديدو المكر والدهاء، ولم أستطع أن أراهم قط أو أن أعرف حقيقة أي منهم، ولكني سوف أعرف ذلك. وقد أخذني السيد سيروكولد بعيداً عن لندن وجاء بي هنا، وكان كريماً معي، كريماً جداً، ولكنني على الرغم من ذلك لست آمناً في مكاني هذا؛ فقد لاحقوني هنا أيضاً وراحوا يتآمرون ضدّي ويدبّرون أمرهم لكي يمقتني الناس. ويقول السيد سيروكولد إن هذا غير صحيح، ولكن السيد سيروكولد لا يعرف، أو من يدري، فلعله يعرف ويخفي الأمر عني. إنني...

وأمسك ونهض واقفاً ثم قال: يجب أن يبقى كل هذا سرّاً بيننا. هل لك أن تعديني بذلك؟ ولكن إذا رأيت شخصاً يتبعني ويتجسس عليّ فأرجو أن تخبريني بأمره.

وانصرف على أثر ذلك وهو لا يدري أنه يثير الشفقة وأن أمره من التفاهة بمكان، وتابعته الآنسة ماربل وهو يبتعد مستغربة، ثم ارتفع صوت يقول: مخبول.

كان والتر هد يقف أمامها وقد دسّ يديه في جيبَي سترته مقطب الجبين وهو يتابع ببصره إدغر الذي كان يبتعد، وقال: ليس هذا بمستغرب على كل حال؛ فكل من في البيت مجانين.

لم تنطق الآنسة ماربل واستطرد والتر يقول: ما رأيك في هذا الشاب إدغر؟ إنه يقول إن أباه الحقيقي هو اللورد مونتغمري، وأنا لا أصدّق ذلك. لا يمكن أن يكون مونتغمري أباه.

قالت الآنسة ماربل: أجل، ليس هذا بمعقول.

- لقد قال لجينا شيئاً آخر، قال إنه الوارث الشرعي لعرش روسيا. ألا يعرف هذا الشاب من هو أبوه إذن؟

- أظن أنه لا يعرف ذلك حقاً، وهذا هو سبب المتاعب.

فجلس والتر بجوارها ويداه متدلّيتان إلى جانبَيه وعاد يقول للمرة الثانية: كل من في هذا البيت مجانين.

- ألا تطيب لك الإقامة في ستوني غيتس؟

فعبس الشاب وقال: إذا أردت الحق فنعم، لا أشعر بأي ميل إلى كل من في البيت. إنهم قوم أثرياء لا حاجة بهم إلى المال فلديهم منه الكثير، والقصر مملوء بالتحف الثمينة والرياش الفاخرة والأواني الفضّية الغالية، والسيدة سيروكولد لا يعنيها ذلك؛ فهي على الرغم من ثرائها الفاحش لا تبالي بأن تلبس ذلك الثوب الباهت المرفوّ تحت المرفقين.

وأمسك لحظة ثم استطرد قائلاً: ليس عيباً أن يكون المرء فقيراً إذا ما كان شاباً فتياً وقوياً لا يتردّد عن العمل، وأنا نفسي لم أملك ثروة كبيرة قط ولكنني لا أحجم عن العمل في سبيل الحصول على ما أريد، وقد حصلت على شيء من المال وأردت أن أفتتح مرأباً، وأفضيت برغبتي هذه إلى جينا وخُيل إليّ أنها أدركت ما يجول بخاطري. ولم أكن أعرف عنها شيئاً كثيراً، ولم أكن أعلم أنها تنتمي إلى قوم أثرياء حين التقيت بها، وإن كنت قد أدركت أنها تلقّت ثقافة أكثر مني بعض الشيء، وإن بدا لي أن هذا أمر لا يهمّ كثيراً، فقد أحبّ كل منا الآخر وتزوّجنا. وكان لدي بعض المال وكان لدى جينا بعض منه هي الأخرى، فجمعناه معاً وقرّرنا أن نبدأ به مشروعاً وأن نفتتح محطة للوقود وخدمة السيارات، وكانت جينا موافقة ثم جاءت خالة جينا وبدأت معها المتاعب. لقد صمّمت جينا أن تأتي هنا لكي تزور جدّتها، وكان كل هذا يبدو معقولاً؛ فهذا وطنها، وأردت أنا الآخر أن أرى إنكلترا فأتينا معاً، وكنت

أعتقد أن زيارتنا لن تطول.

وازداد عبوس الشاب وهو يستطرد قائلاً: ولكن لم تقع الأمور كما كنت أتوقع، فقد طال بقاؤنا وقيل لي: "لماذا لا تستقرّ هنا وتبحث لك عن عمل؟" ولكن هذا لا يروقني؛ فإنني لا يطيب لي العمل بين مثل هؤلاء القوم المعتوهين. إن القائمين على هذا البيت أناس ممتازون ولكنهم يضيعون طاقاتهم في سبيل قوم من المجرمين المغرورين المتبجّحين، وإن المرء إذا ما ترك طريق الخير وسار في طريق الشرّ لا يُرجى صلاحه أبداً لأن نزعة الشرّ تظل كامنة فيه ولا تخمد أبداً. وأنا لا يروقني العمل بينهم. إن هذا البيت يبدو لي أشبه ببيت العنكبوت، ولا أدري ما الذي ألمّ بجينا، فهي قد تغيّرت ولم تعد نفس الفتاة التي تزوجتها في الولايات المتحدة، وأصبحت لا أستطيع أن أوجّه إليها كلمة واحدة الآن.

فقالت الآنسة ماربل برفق: إنني أفهم وجهة نظرك تماماً.

فرماها والي بنظرة سريعة وقال: أنت الوحيدة التي فتحت لها قلبي حتى الآن. إنني لم أفضِ بمكنون قلبي إلى أحد قبل قدومك، ولا أدري ما الذي حملني إلى أن أتحدث معك بكل هذا. إنك إنكليزية، إنكليزية حقاً، ولكنك تذكّرينني مع ذلك بعمّتي بيتسي الأمريكية.

- يسرّني أن أسمع منك هذا.

واستطرد والي يقول بتفكير: وهي امرأة حكيمة، تبدو ضعيفة هشة ولكنها مع ذلك صلبة العود.

ونهض واقفاً ثم قال: يؤسفني أنني أزعجتك بحديثي هذا، ولكن كان لا بدّ لي من تخفيف العبء عن صدري، وأرجو أن لا

أكون قد أثقلت عليك.

ورأته الآنسة ماربل يبتسم لها لأول مرة، وكانت ابتسامة جميلة غيّرت ملامحه. وقالت: مطلقاً يا بُنيّ العزيز. إن لي ابن أخت وإن كان يكبرك بكثير.

وسرح ذهنها قليلاً إلى ابن أختها الكاتب رايموند وست، وهزت رأسها وهي تتحقق أن بين الشابين تناقضاً كبيراً. وقال والي هد: إن أحدهم قادم. إن هذه السيدة لا تميل إليّ، ولهذا سأفارقك. إلى اللقاء يا سيدتي، وأشكرك لاستماعك إليّ.

وابتعد بخطوات كبيرة، وراحت الآنسة ماربل تنظر إلى ملدريد ستريت وهي تتقدم نحوها.

* * *

قالت السيدة ستريت لاهثة وهي تجلس بجوارها: أرى أن ذلك الشاب الفظيع قد أثقل عليك بحديثه. يا لها من مأساة.

- مأساة؟

- أعني زواج جينا، وسبب كل هذا أنه خطر لهم أن يرسلوها إلى أمريكا. لقد قلت لأمي في ذلك الحين إن ذلك ليس من الحكمة، ولكنها لم تصغ إليّ، فإنها لا تحكم عقلها أبداً إذا ما تعلّق الأمر بجينا. إن هذهَ الفتاة قد وجدت تدليلاً كبيراً والجميع يغفرون لها هفواتها وهناتها، وما كانت بهم أية حاجة حقاً لكي يحملوها على مغادرة إيطاليا إلى أمريكا.

- ولكنني فهمت أن أباها لم يعترض على ذلك.

- سفريانو؟ إنك تعرفين الإيطاليين، فلا يهمّهم شيء غير

المال، وقد تزوج بيبا من أجل مالها طبعاً.

- عجباً! ولكني سمعت أنه كان يحبها كل الحبّ وأنه حزن كثيراً لموتها.

- بل ادّعي الحزن، ولا شك في ذلك. ولا أدري لماذا وافقتها أمي لكي تتزوج بذلك الأمريكي.

فقالت الآنسة ماربل برقة: إن كاري لويز كانت ساذجة طَوال حياتها.

- أعلم هذا، وقد نفد صبري معها. لا يمكن أن تعرفي كل ما تحملته معها يا عمتي جين، فإنني قضيت حياتي كلها تقريباً معها، ولا يمكن أن تتخيّلي ولعها الجنوني ونزواتها ومشروعاتها المثالية.

ولم يرُق الآنسة ماربل أن تسمع ملدريد تتحدث عنها وتدعوها «العمة جين»، ومع ذلك فقد كان هذا هو العرف السائد في تلك الأيام، وهي نفسها كانت تبعث بهداياها إلى أولاد كاري لويز ومعها هذه العبارة: «مع حبّ العمة جين»، ولم يكن من المستغرب أن يخاطبها أحد منهم بالعمة جين.

ونظرت بتفكير إلى المرأة التي تجلس بجوارها، إلى ذلك الفم الذي تشدّه الغضون وذلك الأنف المتوتر واليدين المضمومتين، وقالت برفق: لا ريب أنك قضيت طفولة غير سعيدة.

فرمتها ملدريد ستريت بنظرة تفيض بالشكر والامتنان وقالت: يسرّني أنك لاحظت ذلك. إن الناس في وقتنا هذا لا يفهمون ما يدور في رؤوس الأطفال. لقد كانت بيبا جميلة، وكانت أكبر مني سناً كذلك، وكانت هي التي تحظى بالرعاية والاهتمام دائماً،

وطالما شجّعها أبي وأمي مع أنها لم تكن بحاجة إلى أي تشجيع، أما أنا فكنت الطفلة الهادئة الخجِل، ولم تكن بيبا لتعرف معنى الخجل أو الحياء. إن الطفل يستطيع أن يتألم كثيراً يا عمّتي جين.

فقالت الآنسة ماربل: أعرف هذا.

– لقد كانت بيبا تقول دائماً: «هذه الغبية ملدريد»، ولكني كنت أصغر منها سناً ولم أكن أستطيع أن أواصل الدراسة، وليس من الإنصاف لطفلة أن ترى الجميع يفضّلون أختها عنها. كانوا يقولون لأمي: «ما أجمل هذه الطفلة!». ولم يلتفت إليّ أحد، وكان أبي لا يلهو إلا مع بيبا ولا يداعب غيرها، ولم يفطن أحد إلى معني كل هذا بالنسبة إليّ. كانت هي التي تحظى بكل الاهتمام وكل الرعاية، ولم أكن قد كبرت بما فيه الكفاية لكي أعلم أن الأخلاق هي التي تهمّ.

وارتجفت شفتاها ثم توترت ثانية وهي تقول: وكان ذلك ظلماً، ظلماً مجحفاً؛ فقد كنت أنا ابنتهما الحقيقية وكانت بيبا الطفلة المتبنّاة. كنت ابنة البيت، أما هي فكانت لا شيء.

قالت الآنسة ماربل: من الطبيعي أنهم كانوا يترفّقون بها لهذا السبب.

ولكن ملدريد ستريت قالت: كانوا يحبّونها أكثر مني، في حين أن أبويها الحقيقيين تخلّيا عنها، أو لعلها كانت ابنة غير شرعية.

وتنهّدت ثم استطردت قائلة: وتحوّل كل الاهتمام وكل الرعاية إلى جينا وحدها، فقد ورثت أخلاق وطباع أمّها. انظري إلى جينا.

فقالت الآنسة ماربل: إنها فتاة جميلة.

– ولكن تصرّفها غير حميد. لقد لاحظ الجميع فيما عدا أمي سلوكها مع ستيفن ريستاريك، وهو سلوك لا أقول عنه إلا إنه بغيض. لنفرض أنها غير سعيدة في زواجها. إن الزواج هو الزواج على كل حال، ولا بدّ للمرأة أن تخلص لزوجها إلى الأبد، ومهما يكن فقد رضيت أن تتزوج بذلك الشاب الفظيع.

– أهو فظيع إلى هذا الحدّ؟

– نعم يا عمتي جين. الواقع أنه يبدو لي كما لو كان من رجال العصابات، وهو فوق ذلك جافّ الطباع غليظ القول. إنه لا يكاد يفتح فمه، إنه فظ جلف.

فقالت الآنسة ماربل بهدوء: بل أعتقد أنه تعيس.

– لا أدري حقاً لماذا يكون تعيساً، إلا إذا كان ذلك بسبب تصرفات جينا. لقد بذلنا كل ما في وسعنا هنا، وقد أبدى له لويس استعداده لكي يفعل له كل ما يريد ولكي يستطيع أن يقدّم خدماته في المجال الذي يؤْثره، ولكنه فضّل التهرّب من كل عمل وآثر البطالة.

وسكتت ثم استطردت قائلة: إنني أعرف أن الحياة هنا مستحيلة، مستحيلة تماماً، فلويس لا شاغل له إلا هؤلاء المجرمون الشبّان. وليس لأمي أي رأي، فهي لا يهمّها إلا لويس ومشاغله، وهي ترى أن كل ما يفعله لويس صواب. انظري إلى الحديقة وإلى يد الإهمال التي امتدت إليها، بل إلى القصر نفسه. إن الحصول على الخدم الآن أمر شاقّ وعسير ولكن في الاستطاعة تنظيف المكان مع ذلك؛ فالمال موجود. لكن لا أحد يهتم بذلك، ولو أن القصر قصري أنا...

وأمسكت، فقالت الآنسة ماربل: ولكنني أخشى أن يكون كل شيء قد تغير في أيامنا هذه، فالقصور الكبيرة أصبحت مشكلة كبيرة، وإن من المحزن بعض الشيء أن تعودي وتجدي كل شيء قد تغيّر. هل تفضّلين الإقامة هنا حقاً بدلاً من الإقامة في مكان آخر تعيشين فيه وحدك؟

فاضطرم وجه ملدريد ستريت وقالت: ولكن هذا البيت بيتي وكان بيت أبي، ولا يمكن لأي شيء أن يغير هذا الوضع، ومن حقي الإقامة هنا إذا شئت، وقد شئت. لو أن أمي استمعت إلى صوت العقل لكان ذلك أفضل. إنها تأبى حتى أن تشتري ثياباً جديدة، وهذا يثير إزعاج جولي أيما إزعاج.

- كنت أنوي أن أسألك عن الآنسة بيلفر.

- إن وجودها بيننا يسبب لنا راحة كبيرة؛ فهي تقدّس أمي، وهي تقيم معها منذ وقت طويل، فقد التحقت بخدمتها عندما تزوجت ريستاريك، وأعتقد أنها كانت حقاً رائعة في أثناء تلك المحنة المحزنة. ولا ريب أنك تعرفين أنه هجرها وهرب مع تلك المرأة اليوغوسلافية البغيضة، والمعروف أنها كانت كثيرة العشاق. وكانت أمي جليلة ورقيقة فمنحته الطلاق، بل إن الكرم بلغ بها إلى حدّ أنها قبلت أن تؤوي ولدَيه في أثناء إجازتهما، مع أنه لم تكن توجد ضرورة لذلك وكان في مقدوره أن يهيئ لهما أي شيء آخر. وقد ساندتها الآنسة بيلفر في أثناء هذه المحنة ووقفت شامخة كالطود، بل إني أعتقد أنها هوّنت الأمور على أمي وقامت هي بكل الإجراءات الضرورية، ولا أدري حقاً ماذا كانت أمي فاعلة لو لم تكن الآنسة بيلفر موجودة عندئذ.

وأمسكت ثم قالت بدهشة: ها هو ذا لويس. ما أغرب هذا!

إنه نادراً ما يأتي إلى الحديقة.

وتقدم السيد سيروكولد منهما وهيئته توحي بأنه هو الذي يشرف وينفذ كل شيء، وبدا أنه لم يلحظ وجود ملدريد لأن الآنسة ماربل هي التي كانت تشغل ذهنه. وقال: إنني آسف جداً. كنت أريد أن آخذك وأطوف بك في أنحاء القصر وأريك كل شيء، وقد طلبت مني كارولين ذلك ولكن كان لا بدّ لي من الذهاب إلى ليفربول لسوء الحظ بسبب قضية ذلك الفتى الذي سرق الطرود من السكك الحديدية، ولكن سيأتي مافريك ويتولى هذه المهمة بدلاً مني، ولن أعود إلا بعد غد. وإنه ليكون شيئاً رائعاً لو أنهم حفظوا القضية ولم يقدّموه للمحاكمة.

فنهضت ملدريد ستريت وابتعدت، ولم يلحظ لويس سيروكولد انصرافها، وتفرّس بعينيه الحادتين عبر نظارته في الآنسة ماربل واستطرد قائلاً: إن القضاة يخطئون دائماً تقريباً، فهم يقسون جداً في أحكامهم أحياناً، وأحياناً أخرى يتساهلون. وإذا كان الحكم الذي يصدر على هؤلاء الأولاد لا يتجاوز بضعة شهور فلا مانع من ذلك لأنه سرعان ما تمرّ هذه المدة ويجدون في ذلك سبباً يتباهون به أمام فتياتهم، ولكن الحكم القاسي يجعلهم يميلون إلى الاعتدال لأنهم يرون عندئذ أن اللعبة لا تستحقّ ذلك. والأوفق أن لا يتعرضوا للسجن على الإطلاق، ومن الخير إدخالهم الإصلاحية وتقويمهم كما نفعل نحن...

قاطعته الآنسة ماربل قائلة: هل أنت راضٍ حقاً عن ذلك الشاب المدعو السيد لاوسن؟ هل حالته طبيعية؟

فبدا القلق على ملامح لويس سيروكولد وقال: أترينه قد انتكس؟ ماذا قال لك؟

- قال لي إنه ابن ونستون تشرشل.

- طبعاً، طبعاً. هذا أمر طبيعي؛ فهو ولد غير شرعيّ، ولا ريب أنك قد لاحظت ذلك، ثم إنه من بيئة متواضعة جداً، وقد عهدت إليّ به إحدى الجمعيات بلندن، فقد اعتدى على رجل في الشارع بحجة أنه يتجسس عليه، وهذا أمر عاديّ، وسيقول لك دكتور مافريك ذلك. وقد درست حالته، فأمّه من بيئة فقيرة ولكنها تنتمي إلى أسرة محترمة في بيكاديللي، وأبوه بحار لا نعرف اسمه، وقد جاء الطفل في ظروف عصيبة، وعندما شبّ وكبر بدأ يروي قصصاً خيالية عن أبيه وعن نفسه، وارتدى ثياباً عسكرية ونياشين لا حقّ له في ارتدائها، وهذه كلها أمور تكون واردة في مثل حالته، والدكتور مافريك يعتبر حالته هو بالذات غير ميؤوس منها إذا استطعنا أن نجعله يثق بنفسه، وقد عهدت إليه بعمل له مسؤوليته هنا وحاولت أن أجعله يفهم أن الإنسان ليس بمولده وإنما بمقدرته وكفاءته. وقد تحسنت حالته كثيراً عن ذي قبل، وكنت سعيداً بما طرأ عليه من تغيير ولكنني أسمعك الآن تقولين...

وهزّ رأسه فسألته الآنسة ماربل قائلة: ألا يمكن أن يكون ذا خطر يا سيد سيروكولد؟

- خطر؟ لا أظن أنه أبدى أي ميل للانتحار.

- لم أكن أفكّر في الانتحار. إنه تحدّث عن أعداء يتربّصون له، أليس ذلك (وأرجو أن تغفر لي) علامة على الخطر؟

- لا أظن أن الأمر يبلغ هذه الدرجة، ولكنني سأتحدث مع الدكتور مافريك. إن لدينا أملاً كبيراً في تقويمه حتى الآن.

ونظر إلى ساعته ثم قال: يجب أن أذهب. آه! ها هي عزيزتنا

جولي، سأتركك في رعايتها.

وقالت الآنسة بيلفر عندما اقتربت منهما: إن السيارة واقفة بالباب يا سيد سيروكولد، وقد اتصل الدكتور مافريك من المعهد، وقلت له إنني سأصطحب الآنسة ماربل لزيارته، وسينتظرنا بالباب.

فقال السيد سيروكولد: شكراً لك. يجب أن أذهب، أين حافظة أوراقي؟

- في السيارة يا سيد سيروكولد.

وانصرف لويس سيروكولد على عجل، وقالت الآنسة بيلفر وهي تنظر إليه وهو يبتعد: سينهار هذا الرجل في يوم من الأيام؛ فهو يبذل مجهوداً خارقاً ولا ينام أكثر من أربع ساعات كل يوم.

فقالت الآنسة ماربل: إنه شديد الإخلاص لقضيته.

وقالت الآنسة بيلفر: إنه لا يفكر في شيء آخر ولا يهتم حتى بزوجته بأي حال من الأحوال. إنها مخلوقة جميلة جديرة بالحبّ والاهتمام كما تعرفين يا آنسة ماربل، في حين أنه لا حبّ هنا ولا اهتمام إلا بالأحداث المنحرفين والشباب الذين لا همّ لهم إلا الحياة السهلة الرغدة.

وكانتا قد اجتازتا الحديقة وعبرتا المدخل المؤدي إلى المعهد الذي بناه إريك غولبراندسن، وهو عبارة عن مبنى متين بشع من الطوب الأحمر.

وأسرع الدكتور مافريك إلى لقائهما وقال: شكراً لك يا آنسة بيلفر. إنني واثق يا آنسة ماربل أن ما نقوم به هنا سينال كل اهتمامك؛ فإننا نبذل كل ما في مقدورنا لعلاج هذه المشكلة.

إن السيد سيروكولد رجل واسع الأفق، وقد استطعنا أن نحظى بتأييد السير جون سيتلويل رئيس التعليم لهذا المشروع، فقد كان في وزارة الداخلية حتى اعتزاله الخدمة، وقد خدمنا بنفوذه أجلّ الخدمات. إننا نحاول أن نقنع المسؤولين بأن هذه المشكلة مشكلة طبّية تقوم على دراسة النفس البشرية، وأريد قبل كل شيء أن أريك كيف نعالج هذه المشكلة. انظري إلى ما فوق رأسك.

رفعت الآنسة ماربل بصرها فوق باب المدخل فرأت هذه العبارة: «استعيدوا الأمل يا من تدخلون هذا المكان».

- أليس هذا رائعاً؟ أليست هذه هي اللمسة التي يجب أن نبدأ بها العلاج؟ إننا لا نريد أن نلوم هؤلاء الأولاد المساكين ولا أن نعاقبهم؛ فالعقاب هو الشيء الوحيد الذي يحسّون به أكثر من غيره. نريد أن نجعلهم يشعرون بأهميتهم ومسؤوليتهم.

فسألته الآنسة ماربل قائلاً: مثل إدغر لاوسن؟

- إن حالته تثير الاهتمام. هل تحدثت إليه؟

فأجابت الآنسة ماربل قائلة: بل هو الذي تحدث إليّ.

وأردفت تقول بلهجة الاعتذار: وإنني أشعر أن به مسّاً من الجنون.

فضحك الدكتور مافريك بطرب وقال: إن بنا جميعاً مسّاً من الجنون يا آنسة ماربل، وهذا هو سرّ الحياة. إن بنا جميعاً مسّاً من الجنون حقاً.

* * *

# الفصل السادس

كان اليوم بصفة عامة شاقاً ومتعباً بالنسبة إلى الآنسة جين، وخُيل إليها أن الحماسة في حدّ ذاتها أمر مرهق، وأحسّت إحساساً غامضاً بالسخط من نفسها ومن مشاعرها. لم تستطع أن تكوّن لنفسها فكرة دقيقة عما يدور في ستوني غيتس، وأزعجتها شخصية إدغر لاوسن؛ فقد كانت شخصية ممزقة أثارت قلقها.

كان يوجد شيء لم تستطع أن تضع إصبعها عليه، شيء خاطئ متعلق بإدغر لاوسن يتجاوز الحقائق والوقائع الملموسة، ولكنها لم تستطع أن تتبين أي شيء يمكن أن يمسّ حياة صديقتها كاري لويز أو أن يشكّل خطراً عليها.

لقد أدركت الآنسة ماربل أنها هي وحدها -فيما عدا روث- التي تدعو كاري لويز بهذا الاسم، فإن زوجها يدعوها كارولين، والآنسة بيلفر تدعوها كارا، في حين اعتاد ستيفن ريستاريك أن يخاطبها باسم مادونا، أما والي فكان يدعوها السيدة سيروكولد، في حين تدعوها جينا بالجدّة. فهل يوجد معنى بالذات في هذه الأسماء المختلفة التي تُعرف بها كارولين لويز سيروكولد؟ أهي بالنسبة لهم رمز وليس شخصاً حقيقياً حقاً؟

وحين جاءت كاري لويز في صباح اليوم التالي وهي تجرّ

قدميها وجلست بجوار صديقتها في الحديقة وسألتها فيمَ تفكر أسرعت الآنسة ماربل تقول: إنني أفكر فيك يا كاري لويز. اصدُقيني القول، هل يوجد ما يشغلك أو يزعجك؟

فرفعت المرأة عينيها بدهشة وقالت: ولكن ما الذي يمكن أن يزعجني يا جين؟

- حسناً، لكل منا مشاغله الخاصة، وأعتقد أنه يوجد ما يشغلك أنت أيضاً؟

- أظن أن لي مشكلاتي أنا الأخرى، فلويس يرهق نفسه كثيراً، وستيفن ينسى نفسه ولا يتناول طعامه في أثناء اهتمامه بالمسرح، وجينا عصبية سريعة الاهتياج. ولم أستطع قط أن أغيّر من طباع الناس، ولا أرى كيف تستطيعين أنت ذلك، ولهذا ترَين أنه لا حاجة بي إلى أن أشغل نفسي.

- إن ملدريد ليست سعيدة هي الأخرى، أليس كذلك؟

فأجابت كاري لويز قائلة: لم تشعر ملدريد بالسعادة قط. ولم تكن سعيدة وهي طفلة، بعكس بيبا التي كانت تفيض سعادة.

- ربما كان يوجد سبب يجعل ملدريد غير سعيدة.

فقالت كاري لويز بهدوء: الغيرة؟ نعم، لعلها كذلك؟ ولكن لا داعي لأن يوجد سبب كي يحسّ الناس بما يحسّون به. إنهم خُلقوا هكذا، أليس هذا رأيك يا جين؟

شردت أفكار الآنسة ماربل واتجهت إلى الآنسة مونكريف، وهي فتاة كدّت وكدحت في خدمة أمّها المريضة واشتاقت إلى السفر والتنقّل بين بلدان العالم، وقد فرح أهالي قرية سانت ماري ميد عندما ماتت أمها وورثت عنها ثروة لا بأس بها مكّنتها من

السفر أخيراً، ولكنها مع ذلك لم تكن قد ابتعدت بضعة أميال عندما استدعتها إحدى صديقات أمّها، وكانت مريضة هي الأخرى فاضطرت إلى إلغاء رحلتها والعودة لتمريضها وهي تحلم من جديد بمباهج آفاق أوسع.

قالت الآنسة ماربل بعد هذا التفكير: أظن أنك على حق يا كاري لويز.

- الحق أن عدم مبالاتي يرجع قليلاً إلى جولي. إنها امرأة رائعة، وقد التحقت بخدمتي على أثر زواجي بجوني وعنيت بي كما لو كنت طفلة لا حيلة لها، وبذلت كل شيء في سبيلي، وإنني لأشعر بالخجل منها أحياناً، وإنني أعتقد حقاً أن جولي لن تتردّد في ارتكاب جريمة قتل في سبيلي يا جين. أليس من الفظاعة أن أقول مثل هذا القول؟

فقالت الآنسة ماربل: لا ريب أنها شديدة الإخلاص لك.

رنّت ضحكة السيدة سيروكولد وقالت: إنها شديدة السخط، فهي تريد مني أن أرتدي من الثياب أكثرها أناقة ورشاقة وأن أحيط نفسي بالبذخ وأن يتولاني الجميع بالرعاية والاهتمام. إنها الشخص الوحيد الذي لا يتأثر بحماسة لويس، وكل الأولاد المساكين الذين نرعاهم هنا ما هم إلا حثالة من المجرمين لا يستحقّون منا أي اهتمام، وهي تعتقد أن هذا البيت شديد الرطوبة يضرّ بصحّتي وأنني يجب أن أذهب إلى مصر أو إلى أي مكان آخر.

- هل تتألمين كثيراً من الروماتيزم؟

- إن الأمر يزداد سوءاً كل يوم، فأنا أجد مشقة في السير وأحسّ بتشنّجات في قدمي من وقت إلى آخر.

واستطردت تقول وقد ارتسمت على شفتيها تلك الابتسامة الساحرة: ولكن لا بأس. إنه عامل السنّ.

وأقبلت الآنسة بيلفر في تلك اللحظة من إحدى الشرفات وأسرعت إليها قائلة: لقد جاءت برقية الآن بالهاتف تقول: «سأصل بعد ظهر اليوم. كريستيان غولبراندسن».

فبدت الدهشة على كاري لويز وقالت: كريستيان؟! لم أكن أعرف أنه في إنكلترا.

فقالت الآنسة بيلفر: أظن أن عليّ أن أُعِدّ جناح الغرف المبطنة بخشب البلوط.

- نعم يا جولي، وبذلك لن يضطرّ إلى استعمال الدرَج.

فهزت الآنسة بيلفر رأسها موافقة وقفلت عائدة إلى المنزل، ثم قالت كاري لويز: كريستيان هو ابن زوجي، الابن الأكبر لإريك، وهو يكبرني الآن بسنتين، وهو أحد مديري المعهد، بل هو المدير العام، وإنه لأمر مزعج أن لويس غير موجود الآن؛ فإن كريستيان لا يبقى أكثر من ليلة واحدة لأنه رجل جمّ المشاغل، وأنا واثقة أنه توجد أشياء كثيرة يريد الرجلان مناقشتها.

* * *

وصل كريستيان غولبراندسن في ذلك اليوم عند تناول الشاي في الساعة الخامسة. كان رجلاً طويل القامة يبدو عليه الإرهاق ويتكلّم ببطء، وحيّا كاري لويز بودّ كبير قائلاً: كيف حال عزيزتنا الصغيرة كاري لويز؟ إن السنّ لا يظهر عليك مطلقاً.

وألقى يديه على كتفيها ووقف يبتسم لها، وجذبته ملدريد من كمّه فتحوّل إليها وقال: آه! أهذا أنت يا ملدريد؟ كيف حالك؟

- لست على ما يرام حقاً في الأيام الأخيرة.

- هذا نبأ غير سارّ.

كان يوجد شبه كبير بين كريستيان غولبراندسن وأخته غير الشقيقة، وكان يوجد فرق في السنّ بينهما يبلغ نحو ثلاثين عاماً، وكان من الممكن لمن يراهما أن يعتقد بكل سهولة أنهما أب وابنته. وقد بدا على ملدريد أنها ابتهجت بمقدمه؛ فقد اضطرم وجهها وراحت تتحدث طَوال اليوم عن أخيها غير الشقيق قائلة: "أخي كريستيان..." أو "أخي السيد غولبراندسن...".

وقال غولبراندسن وهو يتحوّل إلى جينا: كيف حال صغيرتنا جينا؟ أما زلتما هنا أنت وزوجك؟

- نعم. لقد استقرّ بنا المقام هنا، أليس كذلك يا والي؟

فأجاب والي: هذا ما يبدو لي.

فرماه غولبراندسن بنظرة ثاقبة من عينيه الصغيرتين كما لو كان يقيّمه، ورأت الآنسة ماربل أنه لم يجد فيه أية عبقرية، فقد بدت على شفتيه تقطيبة مبهمة وظهر الضيق على ملامحه.

وعندما قدمت السيدة سيروكولد الآنسة ماربل إليه نظر إليها كما لو كان يقدّرها ويقيّمها هي الأخرى. وقالت السيدة سيروكولد: لم نكن ندري أنك في إنكلترا يا كريستيان.

- ذلك لأنني قدمت فجأة.

- مما يؤسف له أن لويس سافر اليوم. كم يوم تنوي البقاء؟

- كنت أنوي السفر غداً. متى يعود لويس؟

- ظهر غد أو في مساء غد على الأكثر.

- يبدو لي أنني سأضطرّ إلى قضاء ليلة أخرى إذن.

- لو أنك اتصلت بنا على الأقل لكان أفضل.

- إنني قرّرت المجيء فجأة يا عزيزتي كاري لويز.

- هل ستبقى حتى ترى لويس؟

- نعم. لا بدّ لي من رؤيته.

قالت الآنسة بيلفر تخاطب الآنسة ماربل: إن السيد غولبراندسن والسيد سيروكولد يُشرفان على إدارة معهد غولبراندسن معاً، أما المديران الآخران فهما المطران كرومر والسيد غيلفروي.

كان يبدو واضحاً إذن أن كريستيان غولبراندسن قد أقبل في شأن خاص بمعهد غولبراندسن. كان هذا واضحاً للجميع، ومع ذلك فقد تساءلت الآنسة ماربل في نفسها: هل أقبل لأمر آخر؟

ألقى العجوز مرة أو مرتين نظرة تفيض بالحيرة والتعجب نحو كاري لويز دون أن تفطن هذه الأخيرة إلى ذلك، نظرة أثارت دهشة الآنسة ماربل، وراح الرجل ينقل عينيه من كاري لويز إلى الآخرين وهو يفحصهم الواحد بعد الآخر كما لو كان ينتقد كلاً منهم على حدة.

وبعد تناول الشاي غادرت الآنسة ماربل القوم ومضت إلى غرفة المكتبة، ولكنها ما كادت تجلس وتتناول إبرتيها حتى أقبل كريستيان غولبراندسن وجلس بجانبها وبدأها الكلام قائلاً: أظن أنك صديقة قديمة لعزيزتنا كاري لويز، أليس كذلك؟

- لقد كنا معاً في المدرسة بإيطاليا يا سيد غولبراندسن، وكان ذلك منذ سنين طويلة.

- وهل تحبينها؟

فقالت الآنسة ماربل بحرارة: طبعاً.

- أظن أن الجميع يحبونها. نعم، أظن ذلك حقاً. إن الجميع يحبونها، ولا غرو في ذلك؛ فهي تتمتع بشخصية ظريفة ساحرة، ومنذ أنت تزوجها أبي ونحن، أنا وأخوتي، نحبها كل الحب، فقد كانت لنا أختاً عزيزة، وكانت زوجة مخلصة لأبي ولمبادئه كلّها. لم تفكر في نفسها قط، ولكنها كانت تهتم بمصالح الغير ورفاهيتهم.

فقالت الآنسة ماربل: لقد كانت دائماً امرأة مثالية.

- مثالية؟ أجل، إنها كذلك، ولعلها بسبب ذلك لا تدرك حقاً ما في هذه الدنيا من شرور وآثام.

نظرت الآنسة ماربل إليه مشدوهة، وكانت ملامح وجهه تدلّ على الجدّ، وسألها يقول: أخبريني. هل صحتها على ما يرام؟

فاستبدت الدهشة بالآنسة ماربل وأجابت قائلة: هذا ما يبدو لي، فيما عدا التهاب المفاصل والروماتيزم.

- الروماتيزم؟ نعم. وقلبها؟ هل قلبها على ما يُرام؟

- نعم، بقدر ما أعرف.

وازدادت دهشة الآنسة ماربل وأردفت تقول: ولكنني حتى أمس لم أكن قد رأيتها منذ وقت طويل، وإذا كنت تريد أن تعرف كل شيء عن صحتها فيجب أن تسأل شخصاً يقيم بالبيت، كالآنسة بيلفر مثلاً.

- الآنسة بيلفر؟ نعم، الآنسة بيلفر، أو ربما ملدريد؟

- أو ملدريد كما تقول.

وبدا الارتباك على الآنسة ماربل، ونظر كريستيان غولبراندسن إليها ملياً ثم سألها قائلاً: لعله ليس بين الأم والابنة ودّ كبير، أليس كذلك؟

- بلى، أظن أنه لا يوجد بينهما ودّ كبير.

- إنني معك في ذلك، وهذا أمر يُرثى له، ولكن هذا هو الواقع. ولكن هل تعتقدين أن الآنسة بيلفر تحبها كثيراً؟

- نعم، كثيراً جداً.

- وهل تميل كاري لويز إليها؟

- أظن ذلك.

فعبس كريستيان غولبراندسن وتكلّم كما لو كان يخاطب نفسه أكثر مما لو كان يخاطب الآنسة ماربل فقال: ثم إن لدينا جينا الصغيرة، ولكنها ما زالت صغيرة، وإن من العسير...

وأمسك لحظة ثم استطرد يقول ببساطة: من العسير أحياناً أن نتصرف التصرف الصحيح، وأتمنى أن أوفّق فيما أنا قادم عليه. إن كل ما يهمّني هو أن أذود عن هذه السيدة العزيزة وأن أبعد عنها كل ضرر وشقاء، ولكن الأمر ليس سهلاً، ليس سهلاً مطلقاً.

وأقبلت السيدة ستريت إلى الغرفة في تلك اللحظة فقالت: يا إلهي! أهذا أنت يا كريستيان؟ كنا نتساءل أين ذهبت. إن الدكتور مافريك يريد أن يعرف هل تريد أن تتناقش معه في شيء.

- أهو ذلك الطبيب الجديد الشاب؟ لا، بل سأنتظر عودة لويس.

- إنه ينتظر في غرفة مكتب لويس. هل أقول له...؟

- سأتبادل معه كلمة أو كلمتين.

وأسرع غولبراندسن إلى الخارج، ونظرت السيدة ستريت إليه وهو يبتعد ثم تحوّلت إلى الآنسة ماربل وقالت: إنني أتساءل عما يحدث. إن كريستيان أمره غريب اليوم. هل قال لك شيئاً؟

- لقد سألني عن صحة أمّك فحسب.

فسألتها ملدريد بحدّة وقد احمرّ وجهها بصورة غريبة: صحّتها؟ لماذا؟

- لا أدري حقاً.

- إن صحّة أمي جيدة بشكل مدهش بالنسبة لامرأة في مثل سنّها، بل إن صحتها أحسن بكثير من صحتي أنا نفسي.

وأمسكت لحظة قبل أن تقول: أرجو أن تكوني قد قلت له ذلك.

فقالت الآنسة ماربل: لقد سألني عن قلبها.

- قلبها؟!

- نعم.

- ليس بقلبها أي شيء، ليس به أي شيء على الإطلاق.

- يسرّني أن أسمعك تقولين هذا يا عزيزتي.

- ما الذي وضع كل هذه الأفكار في رأس كريستيان؟

فقالت الآنسة ماربل بشرود: لا أدري.

* * *

# الفصل السابع

بدا اليوم التالي كأنه يمضي دون حادث ما، ولكن خُيل إلى الآنسة ماربل أن الجوّ متوتر. وقضى غولبراندسن النهار في زيارة المعهد برفقة الدكتور مافريك، وفحص معه نتائج الإجراءات التي اتُّخذت فيه، وفي بداية الأصيل أخذته جينا في نزهة بالسيارة. وقد لاحظت الآنسة ماربل أنه ما كاد يعود من نزهته حتى عرض على الآنسة بيلفر أن ترافقه إلى الحديقة لكي تريه شيئاً، وخُيل إليها أن هذا العرض إنما كان ذريعة لكي يتحدث مع تلك المرأة الكئيبة على حدة، ومع ذلك فإن كان كريستيان غولبراندسن قد عاد فجأة لأمور تتعلق بالعمل، فلماذا بحث عن رفقة الآنسة بيلفر مع أنها لا تهتمّ إلا بشؤون الخدمة في ستوني غيتس؟

كان في مقدور الآنسة ماربل أن تُقنع نفسها بأنها تترك العنان لخيالها، وقد وقع الحادث الوحيد المزعج في نحو الساعة الرابعة من بعد الظهر. كانت قد جمعت صوفها وإبرتَيها متأهّبة لتناول الشاي، وبينما هي تدور بإحدى الأشجار الضخمة ألفت نفسها وجهاً لوجه مع إدغر لاوسن، وكان يتقدم وهو يحدث نفسه بانفعال وأوشك أن يصطدم بها، فقال مسرعاً: أرجو معذرتك.

وأدهشتها نظرته الغريبة التي بدت في عينيه وسألته قائلة: ألست على ما يرام يا سيد لاوسن؟

- كيف تريدين مني أن أكون على ما يرام؟ لقد أُصبت بصدمة، صدمة عنيفة.

- كيف هذا؟

فألقى الشاب حوله نظرة تفيض بالقلق والجزع بحيث أحسّت الآنسة ماربل نفسها بشيء من الانفعال، وقال بشيء من الارتياب: هل أقول لك؟ إنني لا أدري في الواقع، ولكن بعضهم تجسّس عليّ.

فلم تتردد الآنسة ماربل وأخذته من يده بعزم قائلة: تعالَ إلى الأحراش؛ فلن يسمعنا أحد.

- أجل، إنك على حق.

وزفر زفرة عميقة وأحنى رأسه وقال بصوت يكاد يكون همساً: إنني اكتشفت شيئاً، شيئاً مروّعاً.

- وما هو؟

وبدأ الشاب يرتعش، وقال وهو يكاد يبكي: لا شيء غير الأكاذيب، شخص كذب عليّ لكي يمنعني من معرفة الحقيقة. لا أستطيع أن أحتمل ذلك، هذا فظيع! إن الشخص الوحيد الذي وضعت ثقتي فيه هو عدوّي الحقيقي! هو ذلك الذي أطلق خلفي هؤلاء الذين يتجسّسون علي، ولكنه لن يستطيع أن يتخلص مني بسهولة، فسأقول له إنني أعرف كل ما يفعله.

فسألته الآنسة ماربل قائلة: من هو؟

اعتدل إدغر لاوسن في وقفته، وكان في الإمكان أن يبدو رزيناً وقوراً ولكنه -والحق يقال- بدا مضحكاً إلى حدّ كبير، وقال: إنني أتكلّم عن أبي.

– هل تعني اللورد مونتغمري؟ أم لعلك تعني ونستون تشرشل؟

فرماها إدغر لاوسن بنظرة كلّها ازدراء وقال: إنهم جعلوني أعتقد هذا لكي يحولوا بيني وبين اكتشاف الحقيقة، ولكنني أعرف الآن، فإن لي صديقاً حميماً ذكر لي الحقيقة وجعلني أفهم إلى أيّ حدّ كنت مغفلاً. حسناً، سيعترف أبي ببنوّتي، سأواجهه بأكاذيبه، سأتحدّاه وأذكر له الحقيقة، وسنرى ما سوف يقول.

ثم ابتعد مسرعاً وهو يكاد يجري واختفى خلف الأشجار، فعادت الآنسة ماربل إلى البيت وقد ارتسمت أمارات الجدّ على وجهها. وكان الدكتور مافريك قد قال لها من قبل: إننا كلّنا مجانين تقريباً يا سيدتي العزيزة.

ولكن بدا لها في تلك اللحظة أن حالة إدغر لاوسن أخطر من ذلك بكثير.

* * *

عاد لويس سيروكولد في الساعة السادسة والنصف من مساء اليوم نفسه، وأوقف سيارته بجوار الباب ومضى إلى البيت على قدميه عبر الحديقة، ورأت الآنسة ماربل من نافذتها كريستيان غولبراندسن يذهب للقائه، وبعد أن شدّ كل منهما على يد الآخر راحا يذرعان أرض الشرفة جيئة وذهاباً.

وكانت الآنسة ماربل قد حرصت على إحضار نظارتها المكبرة معها، وقد أسرعت فبحثت عنها واستطاعت أن ترى أن الرجلين منزعجان جداً، وتناهت إلى أذنيها فقرات من حديثهما إذ سمعت غولبراندسن يقول: وكيف نجنّب كاري لويز معرفة ذلك؟

وعندما مرّا من تحت نافذتها للمرة الثانية كان سيروكولد هو الذي يتكلّم فقال: هذا إذا استطعنا تجنيبها ذلك، فإنني أوافقك على أنه يجب أن نوفّر عليها كلّ انفعال أو انزعاج.

وتناهت إلى أذنيها كلمات أخرى مثل: "هذا أمر على جانب كبير من الأهمية"، "لا يبرّره أي شيء"، "مسؤولية كبيرة يجب أن نتخذها"، "لعلنا يجب أن نأخذ مشورة شخص آخر". وسمعت كريستيان غولبراندسن يقول أخيراً: إن الجوّ يميل إلى البرودة الآن. يجب أن نعود إلى البيت.

غادرت الآنسة ماربل مكانها أمام النافذة وقد استبدّت بها الحيرة. كانت الفقرات التي سمعتها تكفي لكي تعرف مضمون الحديث الذي دار بين الرجلين، وهو مضمون يبرّر ذلك الخوف المبهم الذي راودها كما راود روث فان ريدوك قبلها، فمهما يكن من أمر الخطر الذي يحوم حول ستوني غيتس فإنه لا بدّ أن يصيب كاري لويز.

* * *

خيّم على العشاء في تلك الليلة جوّ ثقيل وغرق كل من لويس سيروكولد وغولبراندسن في أفكارهما، وبدا الشرود على والتر هد أكثر من ذي قبل، ولأول مرة لم يتبادل جينا وستيفن الحديث إلا لماماً وران عليهما الصمت ولم يشتركا في الحديث مع الآخرين، وكان الدكتور مافريك هو وحده الذي تحمّل عبء الحديث كلّه وهو يجادل السيد بومغارتن، أحد الأطباء المعالجين.

وعندما انتقلوا إلى البهو بعد العشاء اعتذر كريستيان غولبراندسن على الفور قائلاً إن لديه رسالة خاصة يريد تحريرها وأردف يقول: ولهذا أرجو أن تصفحي عني يا عزيزتي كاري لويز

إذا أنا أويت إلى غرفتي الآن.

- ألديك كل ما أنت بحاجة إليه؟ جولي.

- نعم، نعم، كل شيء موجود. لقد طلبت آلة كاتبة فجاءتني بها على الفور. إن الآنسة بيلفر ظريفة ورقيقة.

وغادر البهو الكبير من الباب الذي على اليسار والمؤدي إلى الردهة الصغيرة التي يقع الدرَج العمومي بها والتي تمتدّ إلى ممرّ طويل ينتهي إلى مسكن صغير مكوّن من غرفة نوم واحدة وغرفة حمّام.

وقالت كاري لويز بعد أن خرج كريستيان: ألا تذهبين إلى المسرح الليلة يا جينا؟

فهزّت الفتاة رأسها ومضت فجلست بجوار النافذة التي تطلّ على الممرّ والفِناء، أما ستيفن فقد ألقى إليها نظرة ثم مضى إلى البيان فجلس أمامه وراح يعزف لحناً حزيناً خافتاً، وألقى الطبيبان المعالجان السيد بومغارتن والسيد لاسي والدكتور مافريك تحية المساء ثم انصرفوا، وأدار والتر مفتاحاً ليضيء مصباحاً صغيراً فوق طاولة معدة للمطالعة، وما كاد يفعل حتى دوّت فرقعة وانطفأت أنوار البهو كلّها، فقال مزمجراً: إن هذا المفتاح اللعين يفسد دائماً. سأذهب لإصلاح العطل.

وتمتمت كاري لويز وهي تراه يبتعد قائلة: إن والي بارع في كل ما له صلة بالآلات الكهربائية. هل تذكرين كيف أصلح شواية الخبز؟

فأجابت ملدريد ستريت قائلة: إنه لا يصلح إلا لهذا العمل.

وأردفت تقول: هل أخذت دواءك يا أمّاه؟

فبدا الانزعاج على الآنسة بيلفر وقالت: أعترف أنني نسيت أمره تماماً.

وأسرعت إلى غرفة الطعام ولم تلبث أن عادت بعد قليل ومعها كوب صغير مملوء بمشروب ورديّ اللون، وابتسمت كاري لويز ومدّت يدها بهدوء وهي تقول مقطبة: هذا الدواء البغيض. ألا تنسونه أبداً؟

ولكن لويس تدخّل عندئذ بشكل غير متوقّع بأن قال: أظن أنه لا يجب أن تأخذي هذا الدواء الليلة يا عزيزتي. لست متأكداً من أنه علاج ناجح لك.

وأخذ الكوب من يد الآنسة بيلفر بذلك الهدوء وذلك اليقين اللذين اتصف بهما دائماً وألقاه فوق طاولة صغيرة على مقربة، فصاحت الآنسة بيلفر قائلة: ولكنني لا أوافقك يا سيد سيروكولد. لقد تحسّنت صحّة السيدة سيروكولد كثيراً منذ أن...

وأمسكت وأشاحت بوجهها عنه متبرّمة. في تلك اللحظة فُتح الباب بعنف ودخل إدغر لاوسن فبدا في البهو المظلم كما لو كان ممثلاً يدخل خشبة المسرح في قمة انتصاره، وبلغ وسط البهو واتخذ وقفة درامية، وكان مضحكاً في وقفته بعض الشيء، وصاح يقول بصوت مسرحيّ: أخيراً اكتشفت أمرك يا عدوّي.

وكان يوجّه حديثه إلى لويس سيروكولد، وبدت الدهشة على هذا الأخير وقال: ما الخبر يا إدغر؟

- لا توجد أية جدوى، لا يمكن أن تخدعني. إنني عرفت أمرك، لقد كذبت عليّ وتجسّست وتآمرت عليّ مع أعدائي.

- اهدأ يا بنيّ. حدثني بالأمر بهدوء. تعالَ معي إلى مكتبي.

وأمسكه من ذراعه وأجبره على اجتياز البهو وخرجا معاً من الباب الأيمن وأغلقه السيد سيروكولد خلفه، وما كاد يفعل حتى سمع الجميع صوت المفتاح وهو يدور في القفل من الداخل.

تبادلت الآنسة بيلفر والآنسة ماربل النظر وخطر لهما نفس الخاطر، فلم يكن السيد سيروكولد هو الذي أدار المفتاح. وقالت الآنسة بيلفر بخشونة: أعتقد أن هذا الشاب في طريقه إلى الجنون فعلاً، وفي هذا خطر كبير.

فقالت جينا: لقد كان في جيبه شيء لم يكفّ عن لمسه من وقت إلى آخر.

وكفّ ستيفن عن العزف وقال: لو أننا في فِلم سينمائي لكان هذا الشيء مسدساً بكل تأكيد.

وسعلت الآنسة ماربل وقالت وكأنها تعتذر: أعتقد أنه مسدّس فعلاً.

ولم يلبث أن سمع الجميع من خلال باب المكتب أصوات الرجلين بإبهام، ثم أخذت الكلمات تتكشّف وتتضح شيئاً فشيئاً، وكان صوت إدغر مرتفعاً في حين راح لويس يتكلّم بصوت هادئ رزين. قال إدغر: أكاذيب، أكاذيب. كلّها أكاذيب. أنت أبي وأنا ابنك. إنك سلبتني كل شيء. كان يجب أن يكون هذا البيت ملكاً لي. إنك تمقتني ولا تفكر إلا في التخلّص مني.

وارتفع صوت لويس الهادئ من جديد، ومن جديد ردّ عليه صوت الشاب وهو يزداد حدة. راح إدغر ينطق بكلمات نابية وهو لا يستطيع أن يملك نفسه، وقال لويس بهدوء: اهدأ يا صاحبي، هدّئ من حدتك. أنت تعلم جيداً أنه لا حقيقة لما تقول.

ولكن بدلاً من أن تخفف هذه الكلمات من حدّة الشاب وثورته زادت من حنقه وغضبه، وخيّم الصمت في البهو وراح الجميع ينصتون إلى ما يدور خلف الباب المغلق.

- سأرغمك على أن تصغي إليّ، سأحملك على أن تتخلى عن وقاحتك هذه، سأنتقم منك. نعم، سأنتقم. ستدفع لي ثمن كل ما سبّبته لي من عذاب.

وارتفع صوت لويس فجأة، وكان قاطعاً جافاً فقدَ هدوءه العادي وهو يصيح قائلاً: ألقِ هذا المسدس.

وصاحت جينا عندئذ قائلة: إدغر سيقتل لويس! ألا يمكن أن نفعل شيئاً، كأن ندعو الشرطة أو أي شيء آخر؟

فقالت كاري لويز برقة كما لو أن كل الذي سمعته لم يزعجها: لا تنزعجي يا جينا. إن إدغر يحبّ لويس. إنه يمثّل على نفسه، وهذا كل شيء.

وفي تلك اللحظة ارتفعت ضحكة إدغر من خلال الباب، فاضطرت الآنسة ماربل أن تعترف بينها وبين نفسها أنها ضحكة مخبول.

- نعم، إن معي مسدّساً، وهو محشوّ. لا تنطق بكلمة ولا تتحرك، أصغِ إليّ حتى النهاية. أنت الذي دبّرت كل هذه المؤامرة ضدّي، وستدفع الثمن الآن.

واستمرّ يردّد كلماته هذه بضع مرات وهو يصيح كالمجنون، وفجأة دوّى طلق ناريّ أثار دهشتهم جميعاً، وقالت كاري لويز: لا تخشوا شيئاً. إن هذا الطلق دوّى في الخارج، في الحديقة، أو لا أدري أين.

ومن خلف الباب كان إدغر لا يزال يصيح قائلاً: أنت جالس مكانك تنظر إليّ كما لو أن الأمر لا يهمّك. لماذا لا تجثو على ركبتيك وتطلب الرحمة؟ سأطلق النار. أقول لك إنني سأطلق النار وسأقتلك. أنا ابنك، الابن المحتقر الذي لم تشأ أن تعترف ببنوّته. كنت تريد أن أختفي بعيداً، ولعلك كنت تريد أن أموت. إنك أطلقت جواسيسك خلفي وطاردوني، وتآمرت ضدي. أنت أبي! ما أنا إلا لقيط، أليس كذلك؟ إنك حشوت رأسي بالأكاذيب، وكنت تتظاهر بالطيبة معي طَوال هذا الوقت. إنك لا تستحق أن تعيش، ولن أدَعك تعيش.

وتلت ذلك عبارات نابية مستفيضة، وتنبهت الآنسة بيلفر من جمودها فجأة وأسرعت نحو الباب وراحت تدق عليه بيديها الاثنتين، ولكن الباب كان ضخماً متيناً فلم يتأثر، وحين رأت ذلك دارت على عقبيها وغادرت البهو على عجل.

والظاهر أن إدغر كان قد سكت لكي يستردّ أنفاسه لأنه لم يلبث أن صاح من جديد قائلاً: ستموت، ستموت الآن. خذ هذه أيها الوحش. إليك هذه، وهذه.

ودوّت طلقتان ناريتان واحدة إثر الأخرى، ولم يكن ذلك في الحديقة هذه المرة ولكن خلف الباب المغلق. وصرخ أحدهم، فخامر الآنسة ماربل إحساس بأن ملدريد هي التي صرخت قائلة: يا إلهي! ماذا نفعل؟

وفي غرفة المكتب صدر صوت جسم يرتطم بالأرض وتبعه صوت آخر، وكان صوتاً أكثر هولاً مما سبق أن سمعه الجميع حتى تلك اللحظة. كان صوت شخص ينتحب نحيباً مؤلماً، فاندفع ستيفن وحاول أن يفتح الباب بالقوة وصاح قائلاً: افتح

الباب، افتح.

وعادت الآنسة بيلفر في تلك اللحظة إلى البهو وهي تلهث وفي يدها حلقة كبيرة من المفاتيح وقالت: حاولوا أن تجرّبوا هذه.

وفي نفس اللحظة سطعت المصابيح بالنور وتخلّص البهو من شبه العتمة التي كانت تخيّم به واستعاد صورته الحقيقة، في حين زاد النحيب الجنوني البائس خلف الباب وأصبح أكثر حدّة. وعاد والتر هد إلى القاعة في تلك اللحظة، وكان يسير ببطء وقال: حسناً، ما الخبر؟

وأجابته ملدريد وهي تبكي قائلة: إن هذا الشقي قتل السيد سيروكولد.

- أرجوك يا ملدريد.

وكانت كاري لويز هي التي تكلّمت، ونهضت ودخلت من باب المكتب وأبعدت ستيفن برفق وقالت: دعني أتحدث إليه.

ثم رفعت صوتها وقالت بهدوء: إدغر، إدغر. هلاّ فتحت الباب لي؟

وسمع صوت مفتاح يدور في القفل وفُتح الباب، ولكن لم يكن إدغر هو الذي فتحه وإنما لويس سيروكولد، وكان يتنفس بصوت مسموع كما لو كان قطع شوطاً كبيراً وهو يجري، ولم يكن يوجد ما يدلّ على انفعاله غير هذا. وقال: كل شيء على ما يرام.

فقالت الآنسة بيلفر بخشونة: حسبناه قتلك.

فعبس لويس سيروكولد وقال بشيء من الحدّة: ولكنه لم يقتلني.

وفي غرفة المكتب كان إدغر لاوسن متكوّماً بجوار المكتب وهو يلهث ويبكي في آنٍ واحد، وقد وقع مسدّسه فوق الأرض بجواره.

وقالت ملدريد: ولكننا سمعنا صوت الرصاص.

- أظن أنه أطلق رصاصتين.

- وأخطأك؟

فأجاب لويس بحدّة: طبعاً أخطأني.

وخامر الآنسة ماربل إحساس بأن الأمر غير طبيعيّ على الإطلاق؛ فقد أُطلقت الرصاصتان عن قرب، وكان لا بدّ من أن تصيبا الهدف. وقال لويس سيروكولد محنقاً: أين مافريك؟ نحن بحاجة إليه.

فقالت الآنسة بيلفر: سآتي به. هل أتصل بالشرطة كذلك؟

- الشرطة؟! لا طبعاً.

فصاحت ملدريد ستريت قائلة: بل يجب أن نتصل بالشرطة بكل تأكيد؛ فإن هذا الشاب شديد الخطر.

ولكن لويس سيروكولد قال متغطرساً: لا، إنه شاب مسكين. أيبدو خطيراً؟

كان لاوسن لا يبدو خطراً مطلقاً في تلك اللحظة، وإنما بدا شاباً في حالة يُرثى لها، وبدا منفراً وفقد التصنع في صوته وهو يقول: لم أقصد ذلك. لا أدري ما الذي دهاني ولا كيف نطقت بكل هذه البذاءات... لا ريب أنني جُننت.

تنفّست ملدريد ستريت بشدة في حين عاد إدغر يقول: لا ريب

أنني جننت حقاً. لم أقصد شيئاً من كل هذا. أرجو أن تصدّقني يا سيد سيروكولد. لم أقصد شيئاً حقاً.

فربت لويس سيروكولد على كتفه وقال: لا بأس يا بنيّ. لم يقع أيّ أذى.

- ولكن كان في مقدوري أن أقتلك يا سيد سيروكولد.

اجتاز والتر هد الغرفة ونظر خلف المكتب ثم قال: لقد استقرّت الرصاصتان هنا. ونظر إلى المكتب ثم إلى المقعد الذي خلفه واستطرد متجهماً يقول: لقد أخطأه.

- إنني فقدت عقلي. لم أدر ماذا كنت أفعل حقاً. لقد خُيل إليّ أنه سلبني كل حقوقي. خُيل إلي...

فقاطعته الآنسة ماربل وألقت السؤال الذي تتوق إلى أن تلقيه منذ وقت طويل فقالت: من الذي قال لك إن السيد سيروكولد أبوك؟

وللحظة خاطفة ظهر تعبير على وجه إدغر المذهول لم يلبث أن اختفى كالبرق وقال: لا أحد. لقد خطر لي ذلك في ذهني.

وكان والتر هد يحدق إلى المسدس الذي فوق الأرض فقال: من أين حصلت على هذا المسدس؟

- المسدس؟

وحدق إدغر إلى المسدس في حين قال والتر: يبدو أنه مسدّسي.

وانحنى والتقطه ثم قال: عجباً؛ إنه مسدسي فعلاً! إنك أخذته من غرفتي أيها الفأر الحقير.

وتدخّل لويس سيروكولد بين إدغر الذليل والأمريكي المهدّد وقال: يمكننا أن نتحدث في كل هذا فيما بعد. ها هو مافريك. هلا عنيت به يا مافريك؟

فتقدم الدكتور مافريك من إدغر بشيء من الحماسة المهنية وقال: لن ينفع هذا يا إدغر، لن ينفع هذا كما تعلم.

فقالت ملدريد بحدّة: إنه مجنون شديد الخطر، لقد راح يطلق المسدس ويهذي، ولقد أخطأ زوج أمي!

وصاح إدغر صيحة صغيرة وقال السيد مافريك مؤنباً: أرجو أن تتوخى الحذر يا سيد ستريت.

- إنني مللت كل هذا، مللت الطريقة التي تتبعونها كلّكم هنا. أقول لك إن هذا الرجل مجنون.

وبحركة مفاجئة تخلّص إدغر من الدكتور مافريك وجثا على الأرض عند قدمَي السيد سيروكولد وهتف قائلاً: ساعدني، ساعدني. لا تدَعهم يذهبون بي ويحبسونني، لا تدعهم، أرجوك.

وقالت الآنسة ماربل تحدث نفسها: إن المنظر مؤلم غير بهيج.

أما ملدريد فقالت محنقة: أقول لك إنه...

فقاطعتها أمّها وقالت باسترضاء: أرجوك يا ملدريد، ليس الآن؛ إنه يتألم.

وتمتم والتر قائلاً: مجانين.

وقال الدكتور مافريك: تعالَ معي يا إدغر، سأذهب بك إلى

فراشك وأعطيك منوّماً، وسنتكلم في كل هذا غداً، ولكن ثق بي الآن، تعالَ.

فنهض إدغر على قدميه وهو يرتجف قليلاً ونظر بشكّ إلى الطبيب الشاب ثم إلى ملدريد ستريت وقال: إنها تقول إنني مجنون.

- لا، لا. إنك لست مجنوناً.

وسمعوا وقع خطوات الآنسة بيلفر خارج البهو ولم تلبث أن ظهرت بشفتين مضمومتين متوترتين ووجه مضطرم وقالت بصوت كئيب: لقد اتصلت برجال الشرطة وسيأتون بعد دقائق.

فصاحت كاري لويز مذعورة قائلة: جولي!

وصرخ إدغر، وعبس لويس سيروكولد وقال محنقاً: قلت لك يا جولي إنني لا أريد أن تتصلي بالشرطة. هذه مسألة طبّية محضة.

فقالت الآنسة بيلفر: هذا جائز، ولكن لي رأيي الخاص، وكان لا بدّ من أن أتصل برجال الشرطة؛ فإن السيد غولبراندسن مات رمياً بالرصاص.

* * *

# الفصل الثامن

مضت بضع لحظات قبل أن يدرك أحد معنى الكلمات التي نطقت بها الآنسة بيلفر، وقالت كاري لويز وهي لا تصدّق أذنيها: كريستيان قُتل؟! هذا مستحيل بالتأكيد.

فقالت الآنسة بيلفر وهي تضغط على شفتيها مخاطبة كاري لويز والباقين في نفس الوقت: إذا كنتم لا تصدّقونني فاذهبوا وتحققوا بأنفسكم.

كانت غاضبة يتبدّى الغضب من لهجتها الحادة. وتقدّمت كاري لويز خطوة نحو الباب، ولكن لويس سيروكولد ألقى يداً على كتفها قائلاً: لا يا عزيزتي، سأذهب أنا.

وأسرع خارج الباب وتبعه الدكتور مافريك بعد أن رمى إدغر بنظرة مريبة، ومضت الآنسة بيلفر معهما. وحمّست الآنسة ماربل كاري لويز على أن تجلس في مقعد بكلّ رفق، فجلست وفي عينيها الحزن والأسى وقالت للمرة الثانية: كريستيان قُتل؟!

وكان صوتها صوت طفل جريح مذهول. وبقى والتر هد بجوار لاوسن لا يفارقه بعينيه وكان في يده المسدس الذي التقطه من الأرض، وقالت الآنسة سيروكولد بدهشة: ولكن من الذي يمكن أن يتمنى موته؟

وكان سؤالاً لا يحتاج إلى جواب، وتمتم والتر يقول بين أسنانه: مجانين، كلّهم مجانين.

وكان ستيفن قد دنا من جينا كما لو كان يريد حمايتها، وكان وجه الفتى المفزوع أكثر الوجوه حيوية وتألقاً. وفجأة فُتح الباب الرئيسي وهبّت منه نسمة من الهواء البارد، ودخل رجل يرتدي معطفاً ضخماً وقال بحماسة مثيرة للاشمئزاز: مرحباً بكم جميعاً. أرأيتم هذا الطقس؟ إن الضباب شديد وقد اضطررت إلى أن أقود سيارتي بكل بطء.

ومرّت لحظة مروّعة خُيل إلى الآنسة ماربل فيها أن بصرها يخدعها وأنها ترى نفس الرجل في مكانين مختلفين، فقد كان الرجل الذي دخل لتوّه هو نفس الرجل الواقف بجوار جينا، ولكنها لم تلبث أن تحققت من أن الأمر ما هو إلا مجرّد شبه. والحق أن الشبه لم يكن شديداً، فقد كان من الواضح أن الرجلين أخوان بينهما شبه عائليّ قويّ ولا شيء أكثر من ذلك، ففي حين كان ستيفن نحيفاً إلى حدّ الهزال كان الوافد الجديد يتدفق حيوية وصحّة، وكان المعطف الكبير ذو الياقة المصنوعة من الفراء يناسب جسمه القوي. كان شاباً وسيماً تدلّ ملامحه على الثقة والاعتداد بالنفس وبالنجاح في الحياة.

ولكن الآنسة ماربل لاحظت شيئاً، فهو لم يكَد يدخل حتى راحت عيناه تبحثان عن جينا، وقال بشيء من الشك: هل كنت تتوقعين حضوري؟ وهل وصلتك برقيتي؟

وكان يخاطب بقوله هذا كاري لويز، وأسرع إليها فبسطت يدها إليه بحركة آلية فأخذها وصافحها برفق، وكانت هذه إشارة تنمّ عن الحنان ولم تكن مجرّد مجاملة مسرحية.

وتمتمت تقول: طبعاً يا عزيزي أليكس، طبعاً. ولكن قد وقعت أشياء...

- أشياء؟

فأخبرته ملدريد بما حدث بشيء من التلذذ الكئيب الذي بدا بغيضاً إلى الآنسة ماربل، فقد قالت: كريستيان غولبراندسن، أخي كريستيان غولبراندسن قُتِل.

هتف قائلاً: يا إلهي! وبدا عليه الارتياع أكثر مما يجب وأسرع يقول: هل تعنين أنه انتحر؟

فأجابت كاري لويز على الفور قائلة: لا، لا يمكن أن يكون ذلك انتحاراً، لا يمكن أن يكون كريستيان قد انتحر.

وقالت جينا: إن العمّ كريستيان ما كان لينتحر أبداً.

وراح السيد ريستاريك ينقل بصره من الواحدة إلى الأخرى، وأومأ ستيفن إليه إيماءة قصيرة يؤكد له بها النبأ، وبادله والتر هد النظر بشيء من الامتعاض، وبقيت عينا أليكس على الآنسة ماربل بتقطيبه مفاجئة، وبدا كما لو أنه وجد وجهاً غير مرغوب فيه في إحدى المسرحيات، ونظر إليها كما لو كان يريد أن يعرف سبب وجودها، ولكن لم يخبره أحد بشيء عنها. وبقيت الآنسة ماربل بالنسبة له امرأة عجوزاً ظريفة مذهولة. وقال يسأل: متى؟ أعني متى حدث هذا؟

فأجابت جينا قائلة: قبل أن تأتي مباشرة، أظن منذ نحو ثلاث أو أربع دقائق. إننا سمعنا الطلقة، ولكننا لم نعلّق عليها أهمية.

- لم تعلقوا عليها أهمية؟ لماذا؟

- لقد كانت تجري أشياء أخرى عندئذ...

وقال والتر بتوكيد: أجل، كانت تجري أشياء أخرى.

وأقبلت جولييت بيلفر إلى البهو من باب المكتبة وقالت: يقترح السيد سيروكولد أن نذهب جميعاً إلى المكتبة، فيما عدا السيدة سيروكولد. إنك أُصبت بصدمة عنيفة يا كارا، وقد أصدرت أوامري لوضع بعض الزجاجات الساخنة في فراشك. سأرافقك إلى غرفتك و...

فنهضت كاري لويز على قدميها وهزّت رأسها قائلة: يجب أن أرى كريستيان أولاً.

- يا إلهي! لا يا عزيزتي، لا تزعجي نفسك.

فدفعتها كاري لويز جانباً برفق كبير وقالت: عزيزتي جولي، إنك لا تفهمين. ونظرت حولها وهي تقول: جين.

وحين أسرعت الآنسة ماربل إليها خاطبتها قائلة: هلا أتيت معي يا جين؟

وسارتا معاً نحو الباب، ودخل الدكتور مافريك في تلك اللحظة وأوشك أن يصطدم بها، وصاحت بيلفر: دكتور مافريك، لا تدَعها تذهب. هذا جنون!

فنظرت كاري لويز إلى الدكتور الشاب بهدوء، بل إنها رمته بابتسامة خفيفة، فقال الدكتور: هل تريدين أن تشاهديه؟

- بل يجب أن أراه.

أفسح لها الطريق وهو يقول: إذا كنت تعتقدين أنه يجب أن تشاهديه يا سيدة سيروكولد فلا بأس، ولكن أرجوك بعد ذلك أن تأوي إلى سريرك وأن تُعنى بك الآنسة بيلفر. إنك لا تشعرين

بالصدمة الآن، ولكنني أؤكد لك أنك سوف تشعرين بها بعد ذلك.

- نعم، أظن أنك على حق؛ سأكون عاقلة. تعالَي يا جين.

وخرجت المرأتان من الباب ومرّتا بالدرَج وعبرتا الدهليز إلى المطبخ على اليسار ومنه إلى الباب الجانبي، وخرجتا إلى الشرفة ومضتا إلى الجناح الذي خُصص لكريستيان غولبراندسن، وكان عبارة عن غرفة مفروشة لكي تكون غرفة معيشة أكثر منها غرفة نوم، مع سرير وُضع في فجوة في أحد الجدران الجانبية، وبها باب يؤدي إلى غرفة الاستحمام.

ووقفت كاري لويز على عتبة الباب. كان كريستيان غولبراندسن جالساً أمام المكتب الماهوغاني الكبير وأمامه آلة كاتبة يدوية صغيرة، وكان لا يزال جالساً ولكنه كان مسترخياً بشيء من الانحراف فوق المقعد وقد حالت يدا المقعد من وقوعه على الأرض. وكان لويس سيروكولد واقفاً بجوار النافذة، وكان قد أزاح الستار قليلاً وراح يحدق في ظلام الليل فاستدار وقطب جبينه وقال: ما كان يجب أن تأتي يا عزيزتي.

وأسرع إليها فمدّت يدها إليه، وارتدّت الآنسة ماربل خطوة إلى الوراء، وقالت كاري لويز: لا يا لويس، كان يجب أن... أراه. إن الإنسان يجب أن يعرف كيف تجري الأمور.

وسارت نحو المكتب ببطء فقال لويس محذراً: لا يجب أن تلمسي أي شيء. يجب أن يجد رجال الشرطة كل شيء كما وجدناه نحن.

- طبعاً. إذن فقد أطلق أحدهم النار عليه عمداً؟

-نعم.

وبدا لويس سيروكولد مشدوهاً بعض الشيء لإلقائها هذا السؤال، واستطرد قائلاً: حسبتك تعلمين ذلك.

- هو ذلك؛ فإن كريستيان ما كان لينتحر. لقد كان شخصاً متّزناً بحيث لا يمكن أن يكون موته هذا قد وقع نتيجة حادث عرَضي، وعلى هذا لا يمكن أن يكون الأمر إلا...

وترددت لحظة ثم أردفت قائلة: جريمة قتل.

وسارت خلف المكتب ووقفت تنظر إلى الرجل الميت وفي عينيها حزن وحنان كبيرين، وقالت: كريستيان العزيز. كان كريماً دائماً معي.

ولمست بأصابعها قمة رأسه برفق وقالت: ليباركك الله، وشكراً لك أيها العزيز كريستيان.

فقال لويس سيروكولد بشيء من الانفعال لم ترَ الآنسة ماربل مثيلاً له من قبل: كنت أتمنى من الله أن أجنّبك هذا يا كارولين.

فهزّت زوجته رأسها برقة وقالت: إنك لا تستطيع أن تجنّبني أي شيء حقاً. لا بدّ من مواجهة الأمور إن عاجلاً وإن آجلاً، ومن الخير أنت يكون ذلك عاجلاً. سأذهب إلى فراشي الآن. أظنك ستبقى هنا إلى أن يأتي رجال الشرطة يا لويس، أليس كذلك؟

- بلى.

فتحوّلت كاري خارجة وقد أحاطت الآنسة ماربل خصرها بذراعها.

❊ ❊ ❊

# الفصل التاسع

عندما أقبل المفتش كوري هو ورجاله كانت الآنسة بيلفر تنتظر في البهو، فأسرعت إليهم تقول: أنا جولييت بيلفر، وصيفة السيدة سيروكولد وسكرتيرتها.

- أأنت التي عثرت على الجثة واتصلت بنا هاتفياً؟

- نعم. أغلب أهل البيت موجودون في المكتبة، خلف هذا الباب. إن السيد سيروكولد بقي في غرفة السيد غولبراندسن لكي يحرص على أن لا يلمس أحد أي شيء، أما الدكتور الذي فحص الجثة أولاً فسيأتي بعد قليل، فقد اضطرّ إلى أن يُعني بحالة جديدة في الجناح الآخر. هل أريك الطريق؟

- إذا تفضّلت.

قال المفتش يحدث نفسه وخو يتبعها في الدهليز: امرأة قديرة، ويبدو أنها تعرف كيف تتصرف عند اللزوم.

وحفلت الدقائق العشرون التالية بالإجراءات البوليسية الروتينية، فقد التقط المصوّر الصور الضرورية، وأقبل الطبيب الشرعي، ولم يلبث أن لحق به الدكتور مافريك، وبعد نصف ساعة جاءت سيارة الإسعاف فنقلت جثمان كريستيان غولبراندسن وبدأ المفتش كوري استجوابه الرسمي.

وقاده لويس سيروكولد إلى المكتبة فألقى نظرة فاحصة على المجتمعين مسجّلاً ملاحظاته في ذهنه. امرأة عجوز ذات شعر أبيض، وسيدة متوسطة السنّ، وتلك الجميلة التي سبق أن رآها تقود سيارتها في الضواحي وزوجها، ذلك الشاب الأمريكي المتجهّم، ورجلان آخران يندمجان في الجماعة بطريقة ما، ثم تلك المرأة القديرة التي اتصلت به هاتفياً والتقت به عند وصوله.

وكان المفتش كوري قد أعدّ في ذهنه مسبقاً خطاباً صغيراً فنطق به كما أعدّه قائلاً: أخشى أن تكون هذه الجريمة قد سبّبت لكم إزعاجاً، وأرجو أن لا أستبقيكم الليلة كثيراً. سنستطيع أن نتعمّق في هذه المسألة غداً صباحاً. إن الآنسة بيلفر هي التي عثرت على السيد غولبراندسن ميتاً، وسأطلب منها أن تعطيني صورة عامة للموقف، وبهذا نتجنب التكرار. وإذا شئت أنت يا سيد سيروكولد أن تصعد إلى زوجتك فافعل، ولكني أريد أن أتحدث معك بعد أن أفرغ من الآنسة بيلفر. هل توجد غرفة صغيرة كي...؟

فقال لويس سيروكولد: مكتبي يا جولي.

فأومأت الآنسة بيلفر وقالت: كنت أنوي أن أقترح ذلك.

وتقدمت عبر البهو الكبير يتبعها المفتش كوري ومساعده الرقيب ليك، وبعد أن قدمت لهما مقعدين جلست هي الأخرى وكأنها هي التي ستقوم بالاستجواب لا المفتش كوري، ومع ذلك فلم تلبث أن جاءت اللحظة التي تولى هو فيها دفة الأمور. وكان المفتش كوري هادئ الصوت دمث الأخلاق، وكان بعض الناس يخطئون فيستخفّون به، ولكنه كان رجلاً قديراً على طريقته، كما كانت الآنسة بيلفر قديرة على طريقتها، غير أنه آثر أن لا يُظهر كفاءته ومقدرته في الوقت الحالي، فتنحنح وقال: لقد ذكر لي السيد

سيروكولد الوقائع الرئيسية. كان السيد كريستيان غولبراندسن الابن الأكبر للراحل إيريك غولبراندسن، مؤسس جمعية غولبراندسن والجمعيات التابعة لها، وكان واحداً من الأوصياء على هذه المؤسسة، وقد أقبل أمس على غير انتظار. هل هذا صحيح؟

- نعم.

سُرّ المفتش كوري لهذا الردّ الموجز واستطرد يقول: وكان السيد سيروكولد قد سافر إلى ليفربول وعاد هذا المساء بقطار الساعة السادسة والنصف.

- نعم.

- وبعد الفراغ من العشاء الليلة أبدى السيد غولبراندسن رغبته في العمل في غرفته وانصرف بعد أن تناول قهوته. أليس كذلك؟

- بلى.

- والآن يا آنسة بيلفر أرجو أن تذكري لي كيف عثرت عليه.

- لقد وقع حادث بغيض الليلة، فإن شاباً مضطرب العقل فقد عقله وهدّد السيد سيروكولد بمسدّس، وكان باب هذه الغرفة قد أُوصد عليهما، وقد أطلق الشاب الرصاص عليه. ويمكنك أن ترى ثقبَي الطلقتين اللتين أطلقتهما، ولحسن الحظ لم تصِب أي منهما السيد سيروكولد. وبعد أن أطلق الشاب النار انهار تماماً، وقد أرسلني السيد سيروكولد لكي أبحث عن الدكتور مافريك، وقد حاولت الاتصال به هاتفياً ولكنه لم يكن في غرفته، ووجدته مع إحدى مساعديه فذكرت له ما حدث فأقبل هنا على الفور. وفي طريق عودتي ذهبت إلى غرفة السيد غولبراندسن لأسأله إن كان يحتاج إلى شيء، لبن ساخن أو أي شيء آخر، قبل أن يأوي إلى

فراشه، وطرقت الباب ولكنني لم أسمع رداً، ففتحته ورأيت السيد غولبراندسن ميتاً، ثم اتصلت بك.

- كم عدد أبواب ومنافذ البيت؟ وكيف يتحكّمون فيها؟ وهل يمكن لأي شخص أن يدخل من غير أن يراه أحد؟

- يمكن لمن يريد أن يدخل من الباب الجانبي للشرفة؛ فإننا لا نغلقه عادة إلا حين نأوي جميعاً إلى غرف نومنا لأن القوم يستخدمونه في ذهابهم وإيابهم من وإلى مباني الكلّية.

- أظن أن في الكلّية نحو مئتين وخمسين شاباً منحرفاً؟

- ولكن مباني الكلّية تغلَق بالليل وتقام عليها حراسة تامة، ولا يمكن لأي أحد أن يخرج منها من غير أن يراه الحرّاس.

- سنتحقق من ذلك الأمر فيما بعد. هل صدر من السيد غولبراندسن ما يمكن أن يتسبّب في أن يحقد عليه البعض؟

فهزّت الآنسة بيلفر رأسها وقالت: لا، لا دخل للسيد غولبراندسن في إدارة الكلّية أو في الإجراءات الإدارية.

- ولماذا أتى؟

- لا أدري.

- ولكنه تضايق عندما وجد السيد سيروكولد غائباً وقرّر على الفور أن ينتظر حتى يعود، أليس كذلك؟

- بلى.

- وبهذا فإن المهمة التي جاء من أجلها كانت مع السيد سيروكولد بالذات؟

- نعم، ولكن من المؤكد تقريباً أن يكون قد أتى بسبب يتعلّق

بالمؤسسة.

– أجل، من المحتمل أن يكون الأمر كذلك. هل انفرد بالسيد سيروكولد؟

– لا، لم يتوفر وقت لذلك؛ فقد وصل السيد سيروكولد قُبيل العشاء هذه الليلة.

– ولكن بعد العشاء قال السيد غولبراندسن إن لديه رسائل هامة يريد كتابتها، وانصرف ولم يطلب الاجتماع بالسيد سيروكولد.

فتردّدت الآنسة بيلفر وهي تقول: لا، لا. لم يطلب ذلك.

– هذا غريب حقاً، خصوصاً وأنه تضايق لغياب السيد سيروكولد واضطرّ إلى انتظاره.

– أجل، كان هذا غريباً.

وبدا أن غرابة الأمر قد أثارت دهشة الآنسة بيلفر لأول مرة.

– ألم يصحبه السيد سيروكولد إلى غرفته؟

– نعم، فقد بقي في البهو.

– أليست لديك أية فكرة عن الساعة التي قُتل فيها السيد غولبراندسن؟

– من الجائز أننا سمعنا الطلقة، وإذا كان الأمر كذلك فإننا نكون قد سمعناها في الساعة التاسعة والدقيقة الثالثة والعشرين.

– سمعتم طلقة؟ ولم تشعروا بأي انزعاج؟

– لقد كانت الظروف غريبة.

وروت بالتفصيل الشجار الذي وقع بين لويس سيروكولد

وإدغر لاوسن، ثم قال المفتش: ولهذا لم يخطر لأحد أن تلك الطلقة قد حدثت داخل البيت.

– لا، لا أظن ذلك بالتأكيد. لقد شعرنا جميعاً بالارتياح عندما رأينا أن الطلقة لم تطلَق داخل غرفة المكتبة.

وأردفت الآنسة بيلفر تقول متجهّمة الأسارير: لم نتوقع حدوث جريمة قتل وشروع في جريمة قتل أخرى في نفس الليلة، بل في نفس اللحظة.

أقرّ المفتش كوري هذه الحقيقة، وقالت الآنسة بيلفر فجأة: ومع ذلك فهذا هو السبب الذي جعلني أذهب إلى غرفة السيد غولبراندسن فيما بعد، فقد أدرت أن أسأله إن كان بحاجة إلى شيء، ولكن كان ذلك في الواقع سبباً لكي أتأكد أن كل شيء على ما يرام.

فتفرّس المفتش كوري فيها لحظة ثم قال: وما الذي جعلك تعتقدين بأن شيئاً ما قد لا يكون على ما يرام؟

– لا أدري. أظن أن السبب هو تلك الطلقة التي سمعناها في الخارج. لم نفكر في معناها في بادئ الأمر، ولكنني لم ألبث أن تذكرت أمرها فيما بعد فقلت لنفسي إنها قد تكون فرقعة أفلتت من سيارة السيد ريستاريك...

– سيارة السيد ريستاريك؟

– نعم، فقد أقبل أليكس ريستاريك في سيارته هذه الليلة، ووصل بعد أن وقع كل هذا بقليل.

– نعم، فهمت. وعندما عثرتِ على جثة غولبراندسن، هل لمست شيئاً ما في الغرفة؟

فأجابت الآنسة بيلفر بلهجة العتاب قائلة: بالطبع لا؛ فقد كنت أعرف طبعاً أنه لا يجب أن ألمس أي شيء أو أن أنقله من مكانه. لقد قُتل السيد غولبراندسن بطلق ناريّ أصابه في رأسه، ولكنني لم أرَ أي سلاح في الغرفة، وعلى هذا عرفت أنها جريمة قتل.

- حسناً. وعندما ذهبت بنا إلى غرفة المكتبة منذ لحظات، هل كان كل شيء كما هو عندما عثرت على الجثة؟

فراحت الآنسة بيلفر تفكر وقد اضطجعت إلى الوراء مطبقة عينيها نصف إطباقة، وخطر لكوري أن لها ذاكرة قوية تسجّل كل صغيرة. وقالت أخيراً: شيء واحد كان يختلف. لم يكن يوجد شيء على الآلة الكاتبة.

فقال المفتش كوري: هل تعنين أنك عندما ذهبت أول مرة كان السيد غولبراندسن يكتب رسالة وأن هذه الرسالة قد اختفت؟

- نعم. إنني أكاد أكون واثقة أنني رأيت حافة الورقة البيضاء تبرز من الآلة الكاتبة.

- مَن غيرك ذهب إلى هذه الغرفة قبل قدومنا؟

- السيد سيروكولد بالطبع، وقد بقي هناك عندما أتيت للقائك، كما أن السيدة سيروكولد والآنسة ماربل دخلتا الغرفة أيضاً، وقد أصرّت السيدة سيروكولد على الدخول.

قال المفتش كوري: السيدة سيروكولد والآنسة ماربل؟ من منهما الآنسة ماربل؟

- السيدة العجوز ذات الشعر الأبيض. إنها صديقة السيدة سيروكولد وكانت معها في المدرسة، وقد أقبلت لزيارتها منذ نحو أربعة أيام.

- حسناً، أشكرك يا آنسة بيلفر. إن كل ما قلته لنا واضح تماماً، وسأناقش المسألة مع السيد سيروكولد. ولكن لعل الآنسة ماربل سيدة متقدّمة في السن، أليس كذلك؟ سأراها أولاً إذن لكي تستطيع أن تأوي إلى فراشها.

وأردف يقول برقة: فإن من القسوة أن نبقي امرأة مسنّة مثلها إلى وقت متأخر من الليل. لا ريب أن هذه الجريمة كانت صدمة شديدة لها.

- هل أقول لها إنك تريد أن تراها؟

- إذا تكرّمت.

خرجت الآنسة بيلفر ونظر المفتش إلى السقف وقال: غولبراندسن؟ ولماذا غولبراندسن؟ مئتان من الشباب المنحرفين في المكان ولا يوجد أي دافع يدفع أياً منهم إلى قتله. من المحتمل أن أحدهم هو الذي قتله، ولكن لماذا غولبراندسن وهو الغريب الوحيد في البيت؟

فقال الرقيب ليك: لم نعرف شيئاً على الإطلاق حتى الآن.

ونهض واقفاً مجاملاً عندما دخلت الآنسة ماربل، وبدت هذه الأخيرة منفعلة بعض الشيء فأسرع يهدئ من روعها قائلاً: لا تزعجي نفسك يا سيدتي.

وقال يحدّث نفسه: إن النساء المتقدمات في السنّ يروقهن أن ندعوهن كذلك، وضباط الشرطة بالنسبة لهن من الطبقة الدنيا ويجب عليهم أن يظهرن لهن كل احترام.

واستطرد يقول: كل هذا مؤلم جداً، ولكن لا بدّ لنا من استيضاح الحقائق وأن نجلو سرّ هذه الجريمة.

فقالت الآنسة ماربل: أجل، أعلم ذلك. هذا أمر جدّ عسير، أليس كذلك؟ أعني استيضاح كل شيء؛ لأنك إذا كنت تنظر إلى شيء ما فإنه لا يمكنك أن تنظر إلى شيء آخر، والمرء دائماً ما ينظر إلى حيث لا يجب أن ينظر لأنه إما أن يفعل ذلك مصادفة وإما أن يوحى إليه بذلك. إن من العسير جداً التحقق من الأمر، والسحرة يطلقون على هذا تعبير «التوجيه الكاذب». وهم قوم أذكياء حقاً، أليس كذلك؟ لم أعرف قط كيف يفلحون في لعبة السمك الملوّن، فهي لعبة استغلقت عليّ تماماً.

طرفت عينا المفتش كوري قليلاً وقال برقة: لقد ذكرت لي الآنسة بيلفر تقريراً عما حدث يا سيدتي، وإنني واثق أنكم قضيتم وقتاً مزعجاً.

- أجل، إنها لمأساة حقاً.

فقال المفتش: ذلك الشجار الذي وقع أولاً بين السيد سيروكولد وذلك المدعو إدغر لاوسن.

فقالت الآنسة ماربل: إنه فتى غريب الأطوار جداً، وقد أحسست طَوال الوقت أنه غير طبيعي.

فقال المفتش كوري: إنني واثق من ذلك. وبعد أن انتهى ذلك الشجار وما اكتنفه من انفعال أعقبه موت السيد غولبراندسن، وقد سمعت أنك ذهبت أنت والسيدة سيروكولد لرؤية الجثة؟

- نعم، لقد طلبت مني أن أصحبها، فنحن صديقتان قديمتان.

- وذهبتما معاً إلى غرفة السيد غولبراندسن. هل لمستما شيئاً حين كنتما هناك؟

- لا؛ فقد حذّرنا السيد سيروكولد من أن نفعل.

- هل اتفق أن لاحظت يا سيدتي إذا كانت توجد رسالة أو ورقة ما على الآلة الكاتبة؟

فأسرعت الآنسة ماربل تقول: لم يكن هناك أي شيء، وقد لاحظت ذلك على الفور لأن الأمر بدا لي غريباً. كان السيد غولبراندسن جالساً أمام الآلة الكاتبة مما يدلّ على أنه كان يكتب شيئاً. نعم، لقد بدا لي ذلك غريب جداً.

فنظر المفتش كوري إليها بحدّة وقال: هل تبادلت الحديث مع السيد غولبراندسن في أثناء وجوده؟

- تبادلت معه حديثاً قصيراً.

- ألا يوجد شيء خاص أو ذو معنى يمكن أن تتذكريه؟

فكّرت الآنسة ماربل قليلاً ثم قالت: لقد سألني عن صحة السيدة كاري وعن قلبها بوجه خاص.

- قلبها؟ أيوجد ما تشكو منه؟

- لم أسمعها تشكو قط.

سكت المفتش كوري لحظة ثم قال: هل سمعت طلقة هذه الليلة في أثناء الشجار الذي وقع بين السيد سيروكولد وإدغر لاوسن؟

- لم أسمعها أنا بالذات؛ فأنا صمّاء تقريباً، ولكن السيدة سيروكولد سمعتها كما لو كانت قد وقعت في الحديقة.

- قيل لي إن السيد غولبراندسن غادر البهو عقب الفراغ من طعام العشاء، فهل هذا صحيح؟

- نعم. قال إنه يريد كتابة بعض الرسائل.

- ألم يُبدِ أية رغبة في أن يتناقش مع السيد سيروكولد بخصوص العمل؟

- لم يُبدِ رغبة لأنهما تناقشا قبل ذلك.

- حقاً؟ متى؟ إنني فهمت أن السيدة سيروكولد عاد من السفر قبل تناول العشاء.

- هذا صحيح، ولكنه أقبل عبر الحديقة، وقد خرج السيد غولبراندسن للقائه وقضيا بعض الوقت في الشرفة.

- ومن يعلم غيرك بهذا؟

فأجابت الآنسة ماربل قائلة: لا يعلم به أحد على ما أعتقد، إلا إذا كان السيد سيروكولد قد أطلع زوجته، فقد اتفق إن كنت أطلّ من النافذة ورأيتهما.

فقال المفتش برقة: ألم تسمعي شيئاً من حديثهما مصادفة واتفاقاً؟

- سمعت بضع كلمات.

- وما هي؟

لزمت الآنسة ماربل الصمت لحظة ثم قالت: لا أعرف موضوع الحديث الذي دار بينهما، ولكنّ همّهما الأكبر كان محصوراً على كتمان الأمر عن السيدة سيروكولد لتجنيبها كل ألم، وهذه هي الكلمات التي استخدمها السيد غولبراندسن بالذات، وقد أجابه السيد سيروكولد بقوله: "إنني أوافقك على أنه ينبغي أن نفكّر في سلامتها". وسمعت أيضاً كلمة «مسؤولية» وأنهما ربما اضطرّا

إلى استشارة خارجية.

وأمسكت ثم قالت: وأظن أن من الأوفق أن تسأل السيد سيروكولد نفسه عن ذلك.

- سوف أفعل يا سيدتي. أيوجد شيء آخر أثار اهتمامك تلك الليلة؟

فكّرت الآنسة ماربل قليلاً ثم قالت: كل ذلك غير عاديّ، إذا كنت تدرك ما أعنيه.

- تماماً، تماماً.

وعاد شيء إلى ذهن الآنسة ماربل فأسرعت تقول: لقد وقع شيء آخر غريب، فإن السيد سيروكولد منع السيدة سيروكولد من أن تأخذ دواءها، وقد انزعجت الآنسة بيلفر لذلك كثيراً.

وابتسمت بشيء من الاستنكار وقالت: ولكن هذا شيء تافه بالطبع.

- أجل، بالطبع. حسناً، أشكرك يا آنسة ماربل.

وبينما كانت الآنسة ماربل تغادر الغرفة قال الرقيب ليك: إنها عجوز ولكنها متوقدة الذكاء.

* * *

# الفصل العاشر

ما إن أقبل لويس سيروكولد إلى غرفة المكتب حتى تغيّر كل شيء على الفور، فقد استدار ليغلق الباب جاعلاً بذلك جواً من العزلة والسرّية، ومضى فجلس، لا على المقعد الذي غادرته الآنسة ماربل وإنما على مقعده هو بالذات خلف المكتب. وكانت الآنسة بيلفر قد أجلست المفتش كوري في مقعد آخر جرّته بنفسها بجوار المكتب كما لو كانت قد أرادت بلا وعي منها أن تحتفظ بمقعد لويس سيروكولد لحين قدومه.

وبعد أن جلس لويس سيروكولد نظر إلى رجلَي الشرطة بتفكير، وكان وجهه يدل على التعب والإرهاق، فكان وجه رجل يمرّ بمحنة قاسية، وقد أثار دهشة المفتش كوري قليلاً لأنه على الرغم من أن موت كريستيان غولبراندسن كان صدمة للويس سيروكولد بلا شك إلا أن غولبراندسن لم يكن صديقاً حميماً له أو قريباً وثيق الصلة به، ولم يكن يزيد عن كونه ابن الزوج الأسبق لزوجته.

وبطريقة غريبة بدا كأن الأدوار قد انقلبت، فقد بدا كأن لويس سيروكولد لم يأتِ إلى المكتب ليردّ على أسئلة الشرطة، بل ليدير دفة التحقيق.

وقد أحنق ذلك المفتش كوري بعض الشيء فقال بحدة: والآن يا سيد سيروكولد.

وبدا كأن لويس لا يزال غارقاً في أفكاره فتنهّد وقال: ما أشقّ أن يعرف المرء ما يجب عليه أن يفعل.

فقال المفتش كوري: أظن أننا نحن الذين نستطيع أن نصدر رأينا في ذلك يا سيد سيروكولد. والآن بخصوص السيد غولبراندسن، فهمت أنه أقبل على غير انتظار، فهل تقرّ هذا؟

- تماماً.

- ألم تكن تعرف أنه قادم؟

- لم تكن لديّ أدنى فكرة عن قدومه.

- ألم تعرف لماذا أقبل؟

فأجاب لويس سيروكولد بهدوء قائلاً: بلى، كنت أعرف لماذا أقبل لأنه أخبرني بذلك.

- متى؟

- لقد جئت من المحطة سيراً على الأقدام، وكان يترقّبني وهو في البيت فأسرع للقائي وذكر لي عندئذ السبب الذي حمله على المجيء.

- أظن أن هذا السبب له صلة بمؤسسة غولبراندسن، أليس كذلك؟

- نعم، لم يكن له أية صلة.

- إن الآنسة بيلفر تعتقد أنه جاء لهذا الغرض.

- طبعاً؛ فقد كان هذا هو السبب المفروض، ولم يفعل غولبراندسن شيئاً لتصحيح هذا الوضع، ولا أنا.

- ولماذا يا سيد سيروكولد؟

فقال لويس سيروكولد ببطء: لأنه بدا لكل منا أن من المهم أن لا يعرف أحد الدافع الحقيقي لزيارته.

- وماذا كان الدافع الحقيقي؟

فلزم لويس سيروكولد الصمت لحظة ثم قال وهو يتنهد: إن غولبراندسن يزورنا مرتين في السنة للاجتماع بمجلس الإدارة، وكان الاجتماع الأخير منذ شهر واحد فقط، وبناءً على ذلك لم يكن من المتوقع حضوره قبل مرور خمسة أشهر أخرى. وأظن مع ذلك أن أي شخص يمكن أن يعتقد أن العمل الذي حمله على المجيء لا بدّ وأن يكون عملاً على جانب كبير من الأهمية، ولكنني ما زلت أعتقد أن الافتراض العادي هو أنه جاء لعمل خاص بالمؤسسة. وبقدر ما أعلم لم يكذّب غولبراندسن هذا الإحساس أو ظن أنه لم يكذّبه، ومع ذلك فإن هذا السبب أقرب إلى الحقيقة، فقد ظن أنه يكذّبه.

- أخشى يا سيد سيروكولد أنني لا أفهم تماماً ما تعنيه.

لم يُجِب لويس سيروكولد على الفور ولكنه حين تكلّم قال بلهجة خطيرة: إنني أدرك تماماً أنني بموت غولبراندسن -وهو موت جاء نتيجة جريمة قتل لا شك فيها- لا بدّ لي من أن أضع الحقائق أمامك، ولكنني صراحة أهتمّ قبل كل شيء بسعادة زوجتي وصفاء ذهنها، وليس لي أن أملي عليك شيئاً ما أيها المفتش، ولكن إذا رأيت أن بإمكانك أن تكتم عنها بعض أقوالي بقدر ما تستطيع

فسوف أكون ممتناً لك، وإليك السبب الحقيقي أيها المفتش كوري. إن كريستيان غولبراندسن أقبل هنا خصيصاً ليخبرني بأنه يعتقد أن شخصاً ما يريد أن يدسّ السمّ لزوجتي عمداً.

- ماذا؟!

وانحنى كوري إلى الأمام غير مصدّق، فأومأ سيروكولد برأسه وقال: نعم، هذه هي الحقيقة، وقد كان للأمر وقع شديد علي، فلم أكن أشكّ أنا نفسي في شيء من هذا القبيل، ولكن ما إن أخبرني كريستيان بذلك حتى أدركت أن بعض الأعراض التي تشكو منها زوجتي تشبه تماماً أعراض التسمّم بالزرنيخ.

- لقد أدلت لنا الآنسة ماربل بأن كريستيان غولبراندسن سألها عن قوة قلب السيدة سيروكولد.

- هل سألها عن ذلك؟ هذا أمر له أهميته. أظن أنه كان يعتقد أن بعضهم يستخدم سماً يؤثر على القلب بحيث تقع الوفاة فجأة دون إثارة أي شيء، ولكنني أنا نفسي أظن أنه يستخدم سمّ الزرنيخ.

- إذن فأنت تظن أن شكوك كريستيان غولبراندسن كانت على أساس، أليس كذلك؟

- بلى، أظن ذلك، وذلك لسبب واحد هو أن غولبراندسن ما كان ليأتي إلي بمثل هذا الادّعاء ما لم يكن واثقاً من وقائعه، فقد كان رجلاً حريصاً عنيداً من العسير إقناعه، ولكنه كان متوقد الذكاء.

- وما الدليل الذي استند عليه؟

- إن الوقت لم يتّسع لنا لكي ندخل في التفصيلات، فقد

تبادلنا حديثاً قصيراً وسريعاً تناول سبب زيارته فحسب واتفاقاً مشتركاً على أن نكتم عن زوجتي كل شيء حتى تتأكد شكوكنا.

- ومن الشخص الذي كان يشتبه في أنه كان يدسّ السم لزوجتك؟

- لم يقل لي ذلك، وأنا شخصياً أعتقد الآن أنه لم يكن يعرف. ربما كان يشك في أحد، وأظن الآن أنه كان يشك في شخص ما في الواقع، وإلا فلماذا قُتل؟

- ألم يذكر لك أي اسم؟

- نعم، وقد اتفقنا على أن نتحرى الأمر بدقة، واقترح أن يطلب مشورة الدكتور غالبرايث، أسقف كرومر؛ فهو صديق قديم لآل غولبراندسن وأحد الأوصياء على المؤسسة، وهو رجل واسع الحكمة والتجارب ويمكنه أن يقدّم أكبر العون لزوجتي، إذا كان من الضروري أن نطلعها على شكوكه، وكنا ننوي أن نعتمد على نصيحته فيما إذا كان يجب أن نبلغ الشرطة أم لا.

فقال كوري: هذا غريب.

- وقد غادرنا كريستيان بعد تناول العشاء ليكتب رسالة إلى الدكتور غالبرايث، وكان يكتب رسالته عندما أصابه الطلق الناري.

- وكيف عرفت ذلك؟

فأجاب لويس بهدوء قائلاً: لأنني أخذت الرسالة من فوق الآلة الكاتبة، وهي معي الآن.

وأخرج من جيب معطفه ورقة مطوية وناولها لكوري، فقال

هذا الأخير بحدّة: ما كان يجب أن تأخذها أو أن تلمس أي شيء في الغرفة.

– لم ألمس شيئاً آخر. أعرف أنني ارتكبت إثماً كبيراً في نظرك بأن أخذت هذه الرسالة، ولكن كان لديّ سبب قويّ يدفعني إلى ذلك، فقد كنت شديد الثقة بأن زوجتي ستصرّ على المجيء إلى الغرفة وخشيت أن تقرأ شيئاً مما جاء فيها. وإنني أقرّ بأنني أخطأت ولكنني أعتقد أنني لن أتردّد عن ذلك ثانية، وإنني لأفعل أي شيء في سبيل الإبقاء على سعادة زوجتي.

لم ينطق المفتش كوري بالمزيد وأكتفي بأن أخذ الرسالة وقرأها، وكان هذا نصّها:

عزيزي الدكتور غالبرايث. إذا كان في وسعك أن تأتي إلى ستوني غيتس فأرجو أن تفعل بأسرع ما يمكن بمجرّد استلامك رسالتي هذه؛ فقد وقعت أزمة شديدة الخطر ولا أدري كيف أواجهها. إنني أعرف مدى تعلّقك بعزيزتنا كاري لويز ومدى اهتمامك بكل ما يمكن أن يصيبها، ولا أرى ما يجب أن أطلعها وما يجب أن أكتمه عنها. هذه هي الأسئلة التي يتعذر عليّ الإجابة عليها.

وحتى لا أحوم كثيراً حول الموضوع فإن لديّ من الأسباب ما يحملني على الاعتقاد بأن شخصاً ما يريد أن يدسّ السمّ لهذه السيدة الرقيقة البريئة، وقد اشتبهت في هذا الأمر لأول مرة عندما...

وتوقفت الرسالة عند هذه الكلمات، وقال كوري: وعندما بلغ هذه النقطة من رسالته أصابه الطلق الناري؟

- نعم.

- ولكن لماذا ترك القاتل هذه الرسالة على الآلة الكاتبة؟

- لا أرى غير سببين اثنين، أولهما أن القاتل لم يكن يدري أن غولبراندسن كان يكتب رسالة ما أو أنه لم يكن يعرف ما هو موضوع الرسالة، والثاني أنه ربما لم يجد متسعاً من الوقت لكي يأخذها، فلعله سمع شخصاً قادماً فآثر الفرار قبل أن يراه.

- ألم يذكر لك غولبراندسن فيمن كان يشتبه، هذا إذا كان قد اشتبه في أحد؟

فتردّد لويس قليلاً قبل أن يجيب قائلاً: لم يفعل.

- وكيف تظن أن هذا السم، سواء كان زرنيخاً أو أي شيء آخر، قد أُعطي للسيدة سيروكولد؟

- لقد فكرت في هذا الأمر وأنا أستبدل ثيابي لتناول العشاء، وخُيل إليّ أن الطريقة الوحيدة المعقولة التي استُخدمت هي أن يكون قد دسّ في الدواء؛ لأنه من ناحية الطعام فإننا جميعاً نشترك في تناوله من نفس الأطباء، ولا يوجد أي طعام مخصوص يُعَدّ لزوجتي، ولكن أي شخص يمكن أن يضيف الزرنيخ إلى زجاجة الدواء.

- يجب أن نأخذ الدواء ونحلّله إذن.

فقال لويس بهدوء: لقد أخذت عيّنة منه هذا المساء بعد العشاء.

وأخرج قنّينة صغيرة من دُرج مكتبه بها سائل أحمر، فقال المفتش كوري وهو يرميه بنظرة غريبة: إنك تفكر في كل شيء يا

سيد سيروكولد.

- إنني أؤمن بالعمل السريع، وقد منعت زوجتي الليلة من تناول جرعتها العادية وما زالت الجرعة في الكوب على منضدة البهو، أما زجاجة الدواء نفسها فموجودة في غرفة الطعام.

فانحنى كوري إلى الأمام فوق المكتب وخفض صوته وهو يقول بلهجة بعيدة عن الرسميات وتدلّ على أنه يثق بمخاطبه: ألتمس معذرتك يا سيد سيروكولد، ولكن لماذا تحرص على كتمان هذا الأمر عن زوجتك؟ هل تخشى أن يتملّكها الذعر؟ إن من مصلحتها بكل تأكيد أن تعرف ذلك لكي تكون على حذر.

- أجل، أجل. هذا جائز، ولكني لا أعتقد أنك تفهم تماماً، ومن المتعذر أن تفهم ذلك ما لم تعرف زوجتي كارولين أولاً. إن زوجتي أيها المفتش مثالية تثق بالغير إلى حدّ كبير، ويمكن أن نتكلّم عنها فنقول إنها لا ترى شرّاً ولا تسمع شرّاً ولا تضمر شرّاً، وهي لا يمكن أن تتصور أنه يوجد من يريد قتلها. ولكن يجب أن أذهب إلى أبعد من هذا، فإن الأمر لا يتعلق بشخص غريب، وإنما هي حالة تتعلق بشخص وثيق الصلة بها.

- إذن فهذا ما تعتقده؟

- يجب أن نواجه الحقائق، فغير بعيد منا مئتان من الفتية المنحرفين والمرضى عبّروا عن أنفسهم بكل ما في العنف من فظاعة وقسوة، ولكن طبقاً لطبيعة الظروف نفسها لا يمكن أن نشتبه في أي واحد منهم في هذه الحالة بالذات؛ فإن الذي يدسّ السمّ البطيء المفعول لا يمكن إلا أن يكون وثيق الصلة بالأسرة وأن يعيش في كنفها. فكّر في الأشخاص الذين يعيشون في هذا البيت، كزوجها وابنتها وحفيدتها وزوج هذه الأخيرة وابن زوجها

الذي تعتبره ابنتها والآنسة بيلفر وصديقتها منذ أعوام التي تُدعى الآنسة ماربل، كلّهم قريبون إليها وعزيزون عليها، ومع ذلك فإن الشك يجب أن يرقى إلى أي واحد منهم.

فقال كوري ببطء: ولدينا جماعة من الغرباء أيضاً.

- إلى حدّ ما. لدينا الدكتور مافريك واثنان أو ثلاثة من الموظفين يقضون أوقاتهم معنا في أغلب الأحيان، ولدينا الخدم، ولكنني صراحة لا أرى دافعاً يدفع أحدهم إلى ارتكاب جريمة القتل.

فقال المفتش كوري: ولدينا ذلك الشاب... ما اسمه؟ نعم، إدغر لاوسن.

- أجل، ولكنه لم يكن أكثر من زائر عرَضي أقبل أخيراً، ثم إنه شديد التعلق بكارولين، شأنه في ذلك شأن الجميع هنا.

- ولكنه مضطرب العقل، ثم ما قصة اعتدائه عليك الليلة؟

فأتى سيروكولد بحركة من يده تدلّ على نفاد الصبر وقال: عمل صبياني، ولم يكن في نيته أن يضرّني.

- والطلقتان اللتان أطلقهما عليك وأحدثتا هذين الثقبين في الحائط؟

- لم يكن يريد إصابتي. إنه مجرّد لهو لا أكثر.

- ولكنه نوع خطير من اللهو يا سيد سيروكولد.

- أنت لا تستوعب الحالة تماماً، ويجب أن تتحدث مع طبيبنا النفساني الدكتور مافريك. إن إدغر ابن غير شرعي، وقد واسى نفسه عن افتقاره إلى أب وعن وضاعة أصلة بأن راح يدّعي

أنه ابن رجل مشهور. وأؤكد لك أن هذه ظاهرة معروفة، وكانت حالته آخذه في التحسن إلى حدّ كبير، ولكنه انتكس فجأة بسبب لا أعرفه، فقد تصوّر أنني أبوه وهاجمني هجوماً استعراضياً وشهر في يده مسدساً وأخذ يهدّدني، ولم أشعر بأقل خوف، وعندما أطلق النار انهار تماماً وراح ينتحب. وقد أخذه الدكتور مافريك إلى مكان آخر وأعطاه منوماً، وسيكون في حالة طبيعية غداً صباحاً.

- ألا تريد أن تتهمه؟

- إن هذا سيكون أسوأ شيء، أعني بالنسبة له.

- صراحة يا سيد سيروكولد يبدو لي أنه كان يجب أن يُعتقل؛ فإن الرجل الذي يشهر مسدساً ويطلق النار ليدعم غروره يجب أن يوضع عند حدّه. يجب أن يفكر الإنسان في الغير كما تعلم.

فقال لويس: تكلّم في هذا الموضوع مع الدكتور مافريك، وسيذكر لك وجهة نظره العلمية. ومهما يكن من أمر فإن إدغر المسكين لم يطلق النار على غولبراندسن بكل تأكيد؛ فقد كان واقفاً هنا يهدّدني بإطلاق النار.

- هذه هي النقطة التي كنت سأصل إليها يا سيد سيروكولد. لقد فحصنا ما بالخارج، وإن في مقدور أي شخص أن يأتي من الخارج وأن يطلق النار على السيد غولبراندسن ما دام باب الشرفة لم يوصد بالمفتاح، ولكن الحقل ضيّق داخل البيت، وعلى ضوء ما ذكرته لي الآن فإنه يبدو لي أنه لا بدّ أن نهتمّ بهذه النقطة بالذات، فإنه يبدو من المحتمل -باستثناء الآنسة العجوز، وأعني بها الآنسة ماربل التي اتفق أن كانت تطلّ من نافذة غرفتها- أن ما من أحد قد عرف أنك تبادلت أنت وغولبراندسن حديثاً خاصاً قبل موته، ولو صحّ هذا فإن من الجائز أن يكون غولبراندسن قد قُتل

حتى لا يتمكّن من الإفضاء بشكوكه إليك. وبالطبع لا يزال الوقت مبكراً لمثل هذا القول؛ فقد نكتشف دوافع أخرى. أظن أن السيد غولبراندسن كان رجلاً ثرياً، أليس كذلك؟

– بلى، كان رجلاً واسع الثراء وله أولاد وبنات وأحفاد، وكل منهم سيستفيد من موته بلا ريب، ولكنني لا أظن أن أحداً منهم موجود في هذا البلد، ثم إنهم كلّهم أناس موثوق بهم ومحترمون، وبقدر ما أعلم ليس بينهم من يضمر له شراً.

– هل له أي أعداء؟

– لا أظن ذلك. إنه لم يكن من هذا النوع من الرجال حقاً.

– إذا لم يكن له أعداء فمن من الداخل يمكن أن يكون قد قتله؟

فقال سيروكولد ببطء: يتعذر علي أن أجيب على هذا؛ فلدينا الخدم وأفراد الأسرة والضيوف كذلك، وكل منهم يمكن أن يكون القاتل من وجهة نظرك. وأظن أنني أستطيع أن أذكر لك أن الجميع باستثناء الخدم، بقدر ما أعرف، كانوا مجتمعين في البهو الكبير عندما انصرف كريستيان، ولم يغادر أحد منهم البهو في أثناء وجودي معهم.

– ألم يغادره أي واحد منهم؟

– أظن ذلك.

وقطب لويس جبينه وهو يبذل جهده لكي يتذكر ثم أردف قائلاً: نعم، تذكرت. إن بعض الأنوار أصابها التلف فخرج السيد والتر كي يصلحها.

- أهو ذلك السيد الأمريكي الشاب؟

- نعم. لا أعرف بالطبع ماذا جرى بعد أن دخلت أنا وإدغر غرفة المكتب.

- ألا تستطيع أن تكون أكثر إيضاحاً من ذلك يا سيد سيروكولد؟

فهزّ لويس سيروكولد رأسه وقال: نعم، أخشى أنني لا أستطيع ذلك. إن الأمر كله غريب بعيد عن التصديق.

تنهّد المفتش كوري وقال: لقد قُتل السيد غولبراندسن بمسدّس ألّي صغير. هل تعرف إذا كان في البيت من يملك مسدساً من هذا النوع؟

- ليست لدي أية فكرة.

وتنهد المفتش كوري للمرة الثانية وقال: يمكنك أن تقول للجميع إن يأووا إلى غُرف نومهم، وسأتحدث إليهم غداً صباحاً.

وعندما غادر سيروكولد الغرفة قال المفتش كوري يخاطب الرقيب ليك: حسناً، ما رأيك؟

فأجاب ليك قائلاً: إنه يعرف، أو يظن أنه يعرف، من الذي قتل غولبراندسن.

- أجل، إنني أوافقك. ولا يروقه هذا مطلقاً.

* * *

# الفصل الحادي عشر

عندما نزلت الآنسة ماربل في صباح اليوم التالي لتتناول طعام الإفطار اندفعت جينا إليها تحييها وقالت: لقد جاء رجال الشرطة ثانية، وهم في المكتبة هذه المرة، ووالي مفتون جداً بهم، فهو لا يستطيع أن يفهم كيف يحتفظون بهدوئهم ويتحفّظون هكذا. وأظن أن جريمة القتل قد أثارت اهتمامه جداً، أما أنا فلم أهتمّ بها وإنما أمقتها، وأظن أن الأمر كلّه فظيع.

ثم تعلّقت جينا بذراع الآنسة ماربل وجرّتها إلى غرفة الطعام وهي تقول: إن جولي شديدة الاضطراب، وأظن أن السبب في ذلك هو أن رجال الشرطة موجودون في البيت ولأنها لا تستطيع أن تتحكم فيهم كما تتحكم في الآخرين. أما أليكس وستيفن فإنهما لا يباليان.

فقال أليكس: هذا القول غير جميل منك يا عزيزتي جينا. صباح الخير يا آنسة ماربل. إنني لا أبالي كثيراً بما يحدث، وفيما عدا أنني أكاد لا أعرف العمّ كريستيان فإنني المشبوه رقم واحد، وأظنك تدركين هذا.

- ولماذا؟

- لأنني كنت أقود سيارتي بجوار البيت في الوقت الذي وقعت

فيه الجريمة، وقد استقصوا الأمر ويبدو أنني استنفدت وقتاً أكثر من اللازم بين الكوخ والبيت، وقتاً يسمح بأن أجري حول البيت وأن أدخل من الباب الجانبي وأطلق النار على كريستيان ثم أعود ركضاً من جديد.

- وماذا كنت تفعل حقاً؟

- أظن أن الفتيات يتعلّمن في صغرهن أن لا يُلقين مثل هذا السؤال الذي يبعد عن الذوق السليم. لقد وقفت كالمغفل بضع دقائق أتأمل تأثير ضوء مصباحَي السيارة الأماميين في الضباب وأنا أتساءل كيف يمكنني أن أنقل هذا التأثير على خشبة المسرح في مسرحيتي الراقصة الجديدة.

- ولكن يمكنك أن تقول لهم ذلك.

- طبعاً، ولكنك تعرفين رجال الشرطة. إنهم يقولون لك: «أشكرك» بكل أدب ويسجّلون عليك أقوالك في مفكراتهم، ولا يمكن أن تعرفي فيمَ يفكّرون حقاً إلا أنك تشعرين بأنهم متشكّكون.

وقال ستيفن وهو يبتسم ابتسامة تشوبها القسوة: إنه ليطربني أن أراك في مأزق يا أليكس، أما أنا فمطمئنّ تماماً لأنني لم أغادر البهو أمس قط.

فصاحت جينا قائلة: ولكن لا يمكن أن يخطر لهم أن القاتل واحد منا.

وامتلأت عيناها ذعراً، وقال أليكس وهو يأخذ كمّية كبيرة من المربى: لا تقولي على الأخص إنها جريمة أقدم عليها صعلوك يا عزيزتي؛ فإن مثل هذا القول مبتذل.

وفتحت الآنسة بيلفر الباب وقالت: الآنسة ماربل. هل لك أن تذهبي إلى المكتبة بعد أن تفرغي من تناول إفطارك؟

فقالت جينا: أنت للمرة الثانية، قبل أي واحد منا!

وبدت كما لو أنها أُهينت بعض الشيء، وقال أليكس: اسمعوا، ما هذا الصوت؟

فقال ستيفن: أنا لم أسمع شيئاً.

- لقد كانت طلقة نارية.

فقالت جينا: إنهم يطلقون النار في الغرفة التي قُتل فيها العمّ غولبراندسن، وأيضاً يطلقون النار في الحديقة.

فُتح الباب مرة أخرى ودخلت ملدريد، وكانت ترتدي ثياب الحِداد ومعها عِقد من العقيق، ونطقت بتحية الصباح دون أن تنظر إلى أحد بالذات ثم قالت بصوت خافت: أعطني قدحاً من الشاي يا جينا وقطعة واحدة من الخبز المحمّص، ولا شيء آخر.

ولمست أنفها وعينيها بمنديلها الذي تمسكه في يدها برقّة، ثم رفعت عينيها إلى الأخوين ريستاريك كما لو كانت لا تراهما، فبدا عليهما الضيق وخفت صوتاهما إلى حدّ الهمس ولم يلبثا أن نهضا وغادرا الغرفة. وقالت ملدريد تخاطب الباقين: ولا حتى ربطة عنق سوداء؟

فقالت الآنسة ماربل مبرّرة: لا أظن أنهما كانا يعرفان مسبقاً أن جريمة قتل ستقع.

فصدر من جينا صوت مكتوم فنظرت ملدريد إليها بحدّة وقالت: أين والتر؟

فاحمرّ وجه جينا وقالت: لا أدري، لم أرَه.

وتملّكها القلق كالطفل المذنب، ونهضت الآنسة ماربل قائلة: سأذهب إلى المكتبة الآن.

* * *

كان لويس سيروكولد يقف بجوار النافذة في غرفة المكتبة ولم يكن هناك أحد غيره، فتحوّل إلى الآنسة ماربل وهي تدخل وأسرع لملاقاتها وأخذ يدها في يده قائلاً: أرجو أن لا تكون هذه الصدمة قد أزعجتك، فإن جريمة القتل تجرِبة قاسية لأي شخص لم يسبق أن وجد نفسه مشتركاً في مثل هذا العمل.

ومنع التواضع الآنسة ماربل من أن تقول إنها اعتادت على جرائم القتل، واكتفت بأن قالت إن الحياة في قرية سانت ماري ميد لا تخلو من الأحداث التي تقع في المدن كما يظن البعض، وأردفت قائلة: إن أشياء بغيضة جداً تقع في المدن كذلك، وتوجد فرص كثيرة لكي يدرس المرء الطبيعة البشرية هناك أكثر مما في المدن الكبيرة.

أصغى لويس سيروكولد إلى كلامها باهتمام ولكن بنصف أذن، ثم قال ببساطة: إنني أنشد مساعدتك.

- لك هذا بالطبع يا سيد سيروكولد.

- إنها مسألة تتعلق بزوجتي، تتعلق بكارولين، وأظنك تحبّينها بها.

- هذا صحيح، والجميع يحبّونها جداً.

- هذا ما كنت أعتقده، ولكن يبدو لي أنني مخطئ. لقد سمح

لي المفتش كوري أن أذكر لك أمراً لا يعرفه أحد بعد، أو لعلّني يجب أن أقول إن شخصاً واحداً يعرفه.

وروى لها بإيجاز ما ذكره للمفتش كوري في الليلة الماضية، وبدا الذعر في عينَي الآنسة ماربل وقالت: لا أستطيع أن أصدّق هذا يا سيد سيروكولد. الواقع أنني لا أستطيع تصديقه.

– هذا هو نفس الإحساس الذي أحسست به عندما أخبرني كريستيان غولبراندسن بذلك.

– إنني على استعداد لأن أقسم أن كاري لويز العزيزة ليس لها أي عدوّ في العالم.

– لا أستطيع أن أصدّق أن لها أعداء حقاً، ولكن ماذا نستطيع أن نفعل إزاء هذا الاتهام؟ السمّ، السمّ البطيء. إنها مسألة عائلية محضة، ولا يوجد أي شك في أنه واحد من الذين يعيشون في البيت.

– هذا إذا كان الأمر صحيحاً، ولكن هل أنت واثق أن السيد غولبراندسن لم يكن مخطئاً؟

– لم يكن كريستيان مخطئاً، فهو رجل جدّ حريص ولا ينطق بمثل هذا القول دون أساس، ثم إن رجال الشرطة أخذوا قنّينة دواء كارولين ورفعوا منه عيّنة، وقد وجدوا زرنيخاً في الاثنتين، ولم يكن الزرنيخ موصوفاً في العلاج. وسيقتضي معرفة الكمّية الحقيقية الموجودة منه وقتاً ما، ولكن الحقيقة التي لا جدال فيها هي أن الزرنيخ موجود.

– إذن فالروماتيزم وصعوبة السير وكل هذا...

– أجل، تقلّص الساقين له دلالته، ثم إن كارولين أصابتها أزمة

أو أزمتان معويّتان حادتان قبل قدومك، ولم أفطن إلى الحقيقة قط قبل أن يذكر لي كريستيان ذلك...

وأمسك، فقالت الآنسة ماربل برفق: لقد كانت روث على حق إذن.

- روث؟!

وارتسمت أمارات الدهشة على ملامح لويس سيروكولد، واحمرّ وجه الآنسة ماربل وقالت: يوجد شيء يجب أن أخبرك به. إن قدومي هنا لم يكن بمحض المصادفة. سأشرح لك الأمر إذا أردت، ولكنني أخشى أن لا أستطيع إجادة ذلك، وأرجو أن تتذرّع بالصبر.

أصغى لويس سيروكولد إليها وهي تحدثه عن مخاوف روث ومطالبها، ثم قال: هذا غريب؛ لم أكن أعلم شيئاً من هذا!

فقالت الآنسة ماربل: كان الأمر كلّه غامضاً، حتى روث نفسها لم تعرف سبب إحساسها هذا، ولا ريب أن لديها سبباً؛ فقد علّمتني التجارب أنه لا بدّ من سبب لكل شيء، وقد كان في الجوّ شيء غير طبيعي أحسّت به.

فقال لويس سيروكولد بكآبة: حسناً، يبدو أنها كانت على حق، ومهما يكن من أمر فإنني في مأزق كما ترَين يا آنسة ماربل. هل يجب أن أخبر كاري لويز بالأمر؟

فأسرعت الآنسة ماربل تقول مذعورة: يا إلهي! لا.

ولم يلبث أن اضطرم وجهها ونظرت إلى لويس بشكّ، فهزّ رأسه وقال: إذن فأنت ترَين ما أراه وما رآه كريستيان غولبراندسن. أيكون هذا إحساسنا لو أن كاري لويز امرأة عادية؟

- ليست كاري لويز امرأة عادية. إنها تحيا حياتها على الثقة والإيمان بالطبيعة البشرية. آه يا عزيزي، إنني لا أحسن التعبير، ولكنني أشعر بأننا ما لم نعرف من هو المذنب...

فقاطعها قائلاً: أجل، هنا بيت القصيد. ولكن من المخاطرة أن نكتم هذا الأمر كما ترَين يا آنسة ماربل.

- ولهذا تريد مني... تريد أن أرعاها وأحافظ عليها؟

فقال لويس ببساطة: إنك الشخص الوحيد الذي أستطيع أن أثق به. كل شخص هنا يبدو مخلصاً، ولكن هل هو كذلك حقاً؟ ثم إن صداقاتك لها ترجع إلى سنوات طويلة.

فقالت الآنسة ماربل: ثم إنني أتيت منذ بضعة أيام فحسب.

فابتسم لويس سيروكولد وقال: تماماً.

فقالت الآنسة ماربل مبرّرة: إنها مسألة جشع، ولكن من الذي يستفيد من موت كاري لويز؟

فأجاب لويس بمرارة قائلاً: المال. المال هو المحور دائماً.

- حسناً، أظن أنه هو سبب ارتكاب هذه الجريمة؛ لأن كاري لويز امرأة رقيقة جداً وعلى جانب كبير من السماحة ولا يمكن أن يخطر لأحد أن يكرهها حقاً، أعني أنه لا يمكن أن يكون لها عدوّ واحد، وهكذا نجد أن المال هو المحور دائماً. إذن لا حاجة بك يا سيد سيروكولد إلى أن تقول إن الناس لا يُحجمون عن شيء في سبيل المال.

- أظن ذلك.

واستطرد لويس سيروكولد قائلاً: ومن الطبيعي أن المفتش

كوري قد اهتمّ بهذه الناحية، والسيد غيلفروي قادم اليوم، وسيأتي معه بكل الإيضاحات اللازمة. وغيلفروي أحد أصحاب مكتب جيمس وغيلفروي للمحاماة، وهو مكتب مشهور متخصّص في الأعمال القانونية، وكان غيلفروي أحد مديري المؤسسة، وقد حرّر وصية كارولين كما حرّر الوصية الأصلية لإريك غولبراندسن، وسأذكر لك الأمر في بعض النقاط.

قالت الآنسة ماربل: شكراً لك. طالما أثارت النقاط القانونية حيرتي.

- بعد أن طبّق إريك غولبراندسن نظام الوقف على المؤسسة والمباني الملحقة بها والجمعيات الخيرية التي تتبعها أوصى بمبالغ مساوية لابنته ملدريد وابنته بالتبنّي بيبا، والدة جينا، وأوصى بأن تستفيد كاري لويز بأرباح الباقي طوال حياتها.

- وبعد وفاتها؟

- تقسّم التركة مناصفة بين ملدريد وبيبا أو بين أولادهما إذا تُوُفّيتا قبل كارولين.

- الخلاصة أن التركة كلّها تؤول إلى ملدريد وجينا؟

- نعم، وكارولين نفسها تملك ثروة لا بأس بها وإن كان لا يمكن مقارنتها بثروة غولبراندسن، وقد منحتني نصف هذه الثروة منذ أربع سنوات. أما النصف الباقي فقد أوصت بعشرة آلاف منه لجولييت بيلفر، على أن يقسّم الباقي بالتساوي بين أليكس وستيفن ريستاريك.

فقالت الآنسة ماربل: يا إلهي! هذا سيء، بل إنه أمر بالغ السوء.

- ماذا تعنين؟

- أعني أن لكل فرد في البيت دافعاً مالياً.

- أجل، ومع ذلك فإنني لا أستطيع أن أصدّق أن شخصاً واحداً بينهم يقدم على جريمة قتل، لا أستطيع أن أصدّق هذا مطلقاً؛ فملدريد ابنتها، وهي تملك ثروة ضخمة، وجينا تقدّس جدّتها، وهي كريمة وشديدة الإسراف ولكنها لا تحبّ المال، وجولي بيلفر مخلصة جداً لكارولين، وكل من الأخوين ريستاريك يحبها كما لو كانت أمه حقاً، وهما لا يملكان ثروة خاصة بهما ولكنّ جزءاً كبيراً من دخل كارولين ينتقل إليهما لتمويل مشروعاتهما، وعلى الأخصّ مشروعات أليكس، ولا أستطيع أن أصدّق أن يدسّ أحد هذين الشابين السمّ لها عمداً لكي يرثها بعد موتها، لا أستطيع أن أصدّق شيئاً من هذا يا آنسة ماربل.

- وماذا عن زوج جينا؟

فقال لويس بلهجة الجدّ: أجل، زوج جينا.

- إنك لا تعرف عنه الكثير حقاً، ولا يمكن إلا أن نرى أنه شاب تعيس جداً.

فتنهّد لويس وقال: إنه لم يألف الحياة في ستوني غيتس. ولماذا يألفها؟ إنه لا يبدي أي اهتمام ولا أي ميل إلى المهمة التي أخذناها على عاتقنا، ومع ذلك فإنني أعرف أنه استبسل في الحرب.

فقالت الآنسة ماربل بلهجة ساذجة: إن هذا لا يعني شيئاً؛ فإن الحرب شيء والحياة اليومية شيء آخر، والواقع أنني أعتقد أن المرء لا بدّ أن يكون شجاعاً لكي يرتكب جريمة القتل، ما لم يدفعه الغرور إلى ذلك.

- ولكني لا أستطيع أن أرى دافعاً كافياً يدفع والتر هد إلى ذلك.

فقالت الآنسة ماربل: حقاً؟ إنه يكره الإقامة هنا ويريد أن يغادر ستوني غيتس، يريد أن يغادرها ومعه جينا، وإذا كان يريد الحصول على المال حقاً فإنه من المهم أن تحصل جينا عليه قبل أن تتعلق برجل آخر نهائياً.

فقال لويس بصوت يدلّ على الدهشة: رجل آخر؟!

تعجّبت الآنسة ماربل لغفلة هذا المصلح الاجتماعي وقالت: نعم. إن الأخوين ريستاريك واقعان في هواها كما تعلم.

فقال لويس بشرود: لا أظن ذلك. إن ستيفن ممتاز لا يقدّر بمال، وإن الطريقة التي عالج بها هؤلاء الأولاد وأثار بها اهتمامهم طريقة رائعة. إنهم قدّموا في الشهر الماضي مسرحية رائعة من حيث الإخراج والديكور والملابس وكل شيء. وهذا يثبت كما قلت لمافريك أن نقص العنصر الوراثيّ في حياتهم هو الذي يدفعهم إلى ارتكاب الجريمة. إن الغريزة الطبيعية في الطفل تحمله على التظاهر والتمثيل، وإن مافريك يقول إن هذا صحيح.

وأمسك لحظة ثم عاد يقول: أريد أن يرى مافريك المفتش كوري بخصوص إدغر. إن هذا الأمر كلّه سخيف.

- ماذا تعرف عن إدغر لاوسن يا سيد سيروكولد؟

فأجاب لويس بهدوء قائلاً: كل شيء، كل ما ينبغي أن أعرفه، أصله ونشأته والظروف التي كان يعيش فيها، وعدم الثقة في النفس و...

قاطعته الآنسة ماربل قائلة: ألا يمكن أن يكون إدغر لاوسن

هو الذي يدسّ السمّ للسيدة سيروكولد؟

– هذا غير معقول؛ فهو هنا منذ أسابيع قلائل، ومهما يكن فهذا أمر مضحك. لماذا يدسّ إدغر السمّ لزوجتي؟ وما الذي يستفيده من ذلك؟

– إنني أدرك أنه لا فائدة مادية من هذا، ولكن لعل لديه دافعاً. إنه غريب الأطوار كما تعلم.

– أتعنين أنه مختلّ العقل؟

– أظن ذلك. لا، لا أظن هذا حقاً، وكل ما أعنيه أنه غير طبيعي.

لم يكن هذا هو التعبير الحقيقي الذي كانت تريد أن تنطق به، ولكن لويس سيروكولد قبِل كلماتها على علاتها وقال وهو يتنهد: أجل. إن الفتى المسكين غير طبيعي، ومع ذلك فقد أبدى تحسّناً كبيراً. الحق أنني لا أستطيع أن أفهم لماذا انتكس هكذا فجأة!

فانحنت الآنسة ماربل إلى الأمام وقالت: أجل، هذا هو ما أردت أن أعنيه. إذا كان...

وأمسكت عن الكلام عندما دخل المفتش كوري الغرفة.

* * *

# الفصل الثاني عشر

خرج لويس سيروكولد، ورمى المفتش كوري الآنسة ماربل بابتسامة غريبة وقال: إذن فقد طلب منك السيدة سيروكولد أن تقومي بدور الحارس، أليس كذلك؟

- بلى، وأرجو أن يكون الأمر سيّان لديك.

- هو ذلك، بل إنني أظن أنها فكرة طيبة. هل يعرف السيد سيروكولد أنك كفء لهذه المهمة حقاً؟

- إنني لا أفهمك تماماً أيها المفتش.

- إنه يظن أنك مجرّد سيدة مسنّة ظريفة جداً كانت في المدرسة مع زوجته.

وهزّ رأسه وهو ينظر إليها واستطرد قائلاً: إننا نعرف أنك أكثر قليلاً من ذلك يا آنسة ماربل، أليس كذلك؟ إن الجريمة هي مجالك الحقّ. إن السيد سيروكولد لا يعرف إلا جانباً واحداً من جوانب الجريمة هو جانب المبتدئين الذين هم مشاريع مجرمين. ربما كنت مخطئاً وذا عقلية قديمة الطراز، ولكنّ حولنا كثيراً من الصْبية الشرفاء، صبية يمكن أن ينجحوا إذا ما توفّرت لهم فرصة ليبدؤوا حياتهم، ومع ذلك فإن على الشرف أن يكافئ نفسه بنفسه،

فأصحاب الملايين لا يتركون أموالهم لمساعدة ذوي القيمة. حسناً، حسناً. لا تُلقي بالاً لكلامي؛ فأنا من الطراز القديم. لقد رأيت فتياناً وفتيات وقف كل شيء في وجههم، بيوت سيئة وحظ عاثر وكل ما يمكن تتخيّليه من معوقات، ومع ذلك كانت لديهم الشجاعة ليشقّوا طريقهم بنجاح. ذلك هو النوع الذي سأترك له ثروتي، إن كان لي أن أجمع أية ثروة، ولكن ذلك هو ما لن أستطيع فعله بالطبع، فلن يكون لديّ إلاّ راتبي التقاعديّ وحديقة صغيرة جميلة.

ثم هزّ رأسه كمن يفيق من شرود ثم قال: حسناً، لقد حدّثني مدير الشرطة عنك ليلة أمس فقال إن لك خبرة كبيرة في الجوانب البشرية السيئة. إذن دعينا نعرف الآن وجهة نظرك. من الذي قتل السيد غولبراندسن في رأيك؟ أهو ذلك الشاب الأمريكي؟

فقالت الآنسة ماربل: إن هذا يلائم الجميع.

ابتسم كوري برفق وقال: إن ذلك الأمريكي وضع يده على أجمل فتاة، وأنا متحامل طبعاً، ولكن سلوكه غير حميد. لنرَ الآن الأمر من وجهة نظر الهواة، مَن الذي يدسّ السمّ خلسة وبانتظام للسيدة سيروكولد؟

فقالت الآنسة ماربل بإنصاف: إذا نظرنا إلى الطبيعة البشرية فإن الإنسان يميل دائماً إلى أن يفكر في الزوج، وإذا ما انقلبت الأمور فإنه يفكر في الزوجة. لكنني بصراحة لا أستطيع أن أفكّر جدّياً في السيد سيروكولد لأنه مخلص جداً لزوجته كما تعلم، وهو يستطيع أن يتظاهر بذلك طبعاً، ولكنه لا يتظاهر فعلاً. إنه رجل هادئ وصادق وخالٍ من الرياء والتكلّف ويحب زوجته، وأنا واثقة تماماً أنه لا يمكن أن يفكر في قتل زوجته بالسمّ.

– هذا فضلاً عن أنه لا توجد أسباب أخرى تحمل الرجل على

التخلّص من زوجته؛ فقد حوّلت ملكية أموالها له من قبل.

فقالت الآنسة ماربل بتأنق: توجد بالطبع أسباب أخرى تجعل الرجل راغباً في إزاحة زوجته عن الطريق، كتعلّقه بفتاة أخرى مثلاً، ولكني لا أرى حقاً أية إشارة لذلك في هذه القضية، فإن السيد سيروكولد لا يتصرف كما لو كان ذهنه مشغولاً بامرأة أخرى. والواقع أنني أخشى أنه لا بدّ لنا من استبعاده.

فقال المفتش: هذا أمر يؤسف له.

وابتسم ابتسامة عريضة وقال: مهما يكن من أمر فهو لم يستطع قتل غولبراندسن، ويبدو لي أن الجريمتين مرتبطتان بعضهما ببعض، وأن الشخص الذي دسّ السمّ للسيدة سيروكولد هو نفسه الذي قتل غولبراندسن؛ وذلك لكي يمنعهم من التبليغ عنه. وإن ما نحتاج إليه الآن هو أن نكتشف من الذي قتل غولبراندسن الليلة الماضية، والمشبوه رقم واحد هو الشاب والتر هد، ولا شك في ذلك؛ فهو الذي ساهم في إتلاف النور لكي يجد الفرصة للخروج من البهو بحجّة إصلاحه، وفي أثناء تغيبه دوّى صوت الطلق الناري في الحديقة، وبناء عليه فهو المشبوه رقم واحد، كما أن الظروف تدلّ على أنه هو الذي ارتكب جريمة القتل.

فسألته الآنسة ماربل: ومَن المشبوه رقم اثنين؟

- أليكس ريستاريك، وكان وحده في سيارته وأخذ وقتاً طويلاً لكي يقطع الطريق من الكوخ إلى البيت.

- ومَن المشبوهون الآخرون؟

وانحنت الآنسة ماربل إلى الأمام يدفعها الفضول وأردفت: إنها لمكرمة منك أنت تخبرني بكل ذلك.

فقال كوري: ليست المسألة مسألة كرم؛ فإنني بحاجة إلى مساعدتك، وقد وضعت إصبعك على الأمر عندما قلت «الآخرون» لأنه يجب أن أركن إليك في هذه النقطة؛ فإنك كنت هنا في البهو في الليلة الماضية ويمكنك أن تقولي لي من الذي غادره.

- أجل، لكنك تعرف كيف كانت الظروف.

- هل تعنين أنكم كنتم جميعاً تصغون إلى الشجار الدائر خلف باب مكتب السيد سيروكولد؟

فأومأت الآنسة ماربل بقوة قائلة: نعم، لقد كنا جميعاً خائفين في الواقع؛ فقد بدا السيد لاوسن أشبه بالمجنون، وقد خشينا كلّنا أن يصيب السيد سيروكولد بأذى، وكانت السيدة سيروكولد هي التي احتفظت بكل هدوئها. لقد كان يصيح وينطق بأفظع الكلمات وكنا نسمعهما بكل وضوح، ثم إن الأنوار كانت قد انطفأت. الواقع أنني لم ألاحظ شيئاً آخر غير ذلك.

- أتعنين أنه في أثناء ذلك الشجار كان في إمكان أي شخص أن يتسلل من البهو وأن يمضي إلى الممرّ ويطلق النار على السيد غولبراندسن ثم يعود أدراجه؟

- أظن أن هذا كان ممكناً.

- هل يمكنك أن تقولي لي بالتحديد من منهم بقي في البهو طَوال الوقت؟

فكرت الآنسة ماربل لحظة ثم قالت: أستطيع أن أقول هذا عن السيدة سيروكولد لأنني كنت أراقبها. لقد كانت جالسة بجوار باب المكتب ولم تبرح مكانها قط، وقد أدهشني أن أراها محتفظة بهدوئها.

- والآخرون؟

- خرجت الآنسة بيلفر، ولكنني أظن، بل أكاد أكون واثقة أنها خرجت بعد الطلقة النارية. أما السيدة ستريت فلا أدري حقاً؛ فقد كانت جالسة خلفي، وكانت جينا تقف في الناحية الأخرى بجوار النافذة، وأظن أنها بقيت مكانها طَوال الوقت، ولكنني لست واثقة بالطبع. وكان ستيفن جالساً أمام البيانو، وقد توقف عن العزف عندما بدأ الشجار.

قال المفتش كوري: لا يجب أن نعلّق أهمية كبرى على اللحظة التي سمعت فيها الطلقة النارية؛ فهذه خدعة سبق أن قام بها البعض، فهُم يعتمدون على إطلاق عيار ناريّ لكي نعتقد أن الجريمة قد ارتُكبت في ذلك الوقت فتقوم بتحرياتنا على أساس خاطئ. وإذا كانت الآنسة بيلفر قد دبّرت شيئاً كهذا (وهو أمر قليل الاحتمال، ولكنه وارد) فإنها تكون قد غادرت البهو علانية بعد إطلاق النار، وعليه فإنه لا يمكننا أن نستند على هذه الطلقة. إن الوقت المحدود الذي يجب أن نهتمّ به هو الذي انقضى بين اللحظة التي غادر فيها كريستيان غولبراندسن البهو واللحظة التي عثرت الآنسة بيلفر عليه ميتاً، ويمكننا عندئذ استبعاد جميع الأشخاص الذين لم يجدوا الفرصة لقتله، ومن بين هؤلاء الأشخاص لويس سيروكولد وإدغر لاوسن في المكتب، والسيدة سيروكولد في البهو، وإنه مما يؤسف له حقاً أن يُقتل غولبراندسن في نفس الليلة التي وقعت فيها المشادة بين سيروكولد ولاوسن الشاب.

فتمتمت الآنسة ماربل قائلة: هل تقول: «مما يؤسف له»؟ هل تعتقد هذا حقاً؟

- ماذا تظنين؟

- لقد خطر لي أن هذا الأمر مدبّر.

- أهذا هو رأيك إذن؟

- حسناً، يبدو أن جميع أهل البيت يستغربون أن ينتكس إدغر لاوسن هكذا فجأة. إنه مصاب بعقدة غريبة (أو سمِّها كما تريد إذا شئت) بخصوص أبيه، ونستون تشرشل أو اللورد مونتغمري، وكل هذا محتمل تماماً في حالته الذهنية، وكذا أي رجل مشهور يتفق أن يفكر فيه، ولكن لنفرض أن بعضهم أوحى إليه أن لويس سيروكولد هو أبوه الحقيقي وأنه هو الذي كان يضطهده وأن من حقه أن يكون وليّ العهد لقصر ستوني غيتس، ففي حالته الذهنية الضعيفة سيقبل هذه الفكرة ولا يلبث أن يصدّقها ويثير فضيحة إن عاجلاً أو آجلاً، وستكون المشاجرة التي لا بدّ أن تقع خير ستار؛ فسيكون الاهتمام كلّه منصبّاً على هذا الموقف الخطر، لا سيّما إذا حرص محرّضه على تزويده بمسدّس.

- أجل، مسدّس والتر هد.

فقالت الآنسة ماربل: أجل. وقد فكرت في ذلك، وإن والتر كما تعرف فظّ ودائم التذمّر، ولكني لا أظن حقاً أنه غبيّ.

- إذن فأنت لا تظنين أنه والتر، أليس كذلك؟

- أظن أن الجميع سيتنفسون الصعداء لو أن والتر هو القاتل، وهذا ردّ فعل قاسٍ جداً، ولكن مصدره أن والتر رجل أجنبيّ.

فسألها المفتش كوري: وماذا بخصوص زوجته؟ هل ستتنفس الصعداء هي الأخرى؟

لم تُجِب الآنسة ماربل؛ فقد كانت تفكر في جينا وستيفن ريستاريك كما رأتهما واقفين معاً أول يوم جاءت فيه، وكانت تفكر

في الطريقة التي وقعت فيها عينا أليكس ريستاريك على جينا مباشرة وهو يدخل البهو في الليلة السابقة. تُرى ما هو موقف جينا؟

بعد ذلك بساعتين مال المفتش كوري بمقعده إلى الوراء ثم تمطّى وتنهّد قائلاً: حسناً، لقد جلونا كثيراً من النقاط.

وأقرّه الرقيب على ذلك قائلاً: إن الخدم مستبعَدون؛ فقد كانوا مجتمعين كلّهم معاً في اللحظة الحرجة، أعني الذين يقضون الليل هنا، أما الباقون فكانوا قد غادروا الدار إلى مساكنهم.

فأومأ كوري برأسه. كان متعباً ذهنياً، فقد استجوب الأطباء النفسانيين والمدرّسين والمسجونَين -على حدّ تعبيره هو- اللذين كان عليهما الدور لتناول العشاء ليلة أمس مع الأسرة، وقد تطابقت كل أقوالهم وتحقق من صحّتها، وكان قد احتفظ بالدكتور مافريك للنهاية، فقد رأى أنه هو المسؤول عن المعهد.

وقال يخاطب ليك: سنراه الآن يا ليك.

وهكذا دخل الطبيب الشاب بادي الانفعال، وكان أنيقاً ومهذباً وقاسياً خلف نظارته. وقد أيّد مافريك أقوال رجاله واتفق مع كوري فيما وصل إليه من نتائج، فلم يكن يوجد أي إهمال ولا غموض فيما يتعلق بالكلّية، ولم يكن لموت كريستيان غولبراندسن أية صلة بالشبان المنحرفين. ولكن المرضى يبقَون مرضى أيها المفتش.

وكانت ابتسامته تشي بالإحساس بالتفوق، فأحس كوري بالامتعاض بسببها بعض الشيء. وقال: والآن يا دكتور مافريك، هل تستطيع أن تذكر لي كيف قضيت وقتك أنت بالذات؟

- طبعاً. لقد دوّنت لك كل ما فعلته وحدّدت وقت كل شيء بالتقريب.

كان الدكتور مافريك قد غادر البهو الكبير بعد الساعة التاسعة بخمس عشرة دقيقة مع السيد لاسي والدكتور بومغارتن، ومضوا جميعاً إلى غرفة الدكتور بومغارتن وبقوا يتشاورون في بعض طرق العلاج حتى جاءتهم الآنسة بيلفر مسرعة وطلبت من الدكتور مافريك أن يأتي معها إلى البهو الكبير، وكان ذلك في نحو التاسعة بالتقريب، وقد أسرع إلى البهو على الفور ووجد إدغر لاوسن في حالة من الانهيار التام.

تحرّك المفتش كوري قليلاً وقال: لحظة واحدة يا دكتور مافريك. هل هذا الشاب مصاب بمرض ذهنيّ حقاً؟

فابتسم الدكتور مافريك ابتسامة التفوّق للمرة الثانية وقال: كل منا مصاب بمرض ذهنيّ أيها المفتش كوري.

كان رداً غبياً كما رأى المفتش؛ فإنه كان يعرف تماماً أنه هو بالذات ليس مريضاً بأي مرض ذهنيّ على الرغم من قول الدكتور مافريك.

- هل هو مسؤول عن أفعاله؟ أظن أنه يعرف ماذا يفعل.

- تماماً.

- إذن فقد كان إطلاقه النار على السيد سيروكولد شروعاً في قتل؟

- لا، لا أيها المفتش، لا شيء مما تقول.

- ولكنني رأيت ثقبَي الرصاصتين في الحائط، ولا ريب أنهما مرّا بجوار رأس السيد سيروكولد، وقد نجا منهما بأعجوبة.

- هذا صحيح، ولكن السيد لاوسن لم يكن ينوي قتل السيد

سيروكولد أو حتى إصابته بأي خدش؛ فهو يحبه جداً.

وابتسم الدكتور مافريك ثانية، وقد كره المفتش كوري ابتسامته تلك، وقال الدكتور: كل شيء يفعله المرء مقصود، وفي كل مرة ننسى اسماً أو وجهاً فذلك لأنك على غير وعي من أنك تتمنى أن تنساه.

فبدا المفتش كوري متشككاً، وقال الدكتور: في كل مرة يزلّ فيها لسانك تكون لتلك الزلّة معناها. لقد كان إدغر لاوسن يقف على بُعد خطوات قلائل من السيد سيروكولد، وكان في مقدوره بسهولة أن يصيبه في مقتل، ولكنه بدلاً من ذلك أخطأه، فلماذا أخطأه؟ لأنه كان يريد أن يخطئه. وهكذا ترى أن الأمر بسيط، فلم يكن السيد سيروكولد في خطر ما، وكان هو نفسه يدرك ذلك، وقد فهم حركة إدغر على حقيقتها، حركة تحدٍّ واستياء ضدّ عالم حرمه من ضروريات الحياة التي يتمتع بها كل طفل، الحب والأمان.

- أظن أنني أودّ أن أرى هذا الشاب.

- بالطبع، إذا أردت. إن هياج أمس كانت له نتيجة علاجية، فهو اليوم أحسن بكثير. وسيكون السيد سيروكولد مسروراً جداً.

تفرّس كوري فيه ولكن الدكتور مافريك كان جاداً كدأبه دائماً، فتنهد وقال: ألديك زرنيخ؟

- زرنيخ؟

أخذ السؤال الدكتور مافريك على غرة وكان واضحاً أنه لم يكن يتوقعه.

- هذا سؤال غريب جداً. ولماذا الزرنيخ بالتحديد؟

- أجب على سؤالي فحسب من فضلك.

- لا، ليس لديّ أي زرنيخ.

- ولكن لديك بعض الأدوية.

- طبعاً، كالمسكّنات والمورفين وحامض البربيتوريث والأشياء العادية.

- هل تعالج السيدة سيروكولد؟

- لا؛ فإن الدكتور غنتر بماركت كيمبل هو طيب الأسرة. إن معي شهادة طبية ولكنني لا أمارس إلا الطب النفساني.

- حسناً، أشكرك كثيراً يا دكتور مافريك.

وبينما كان الدكتور مافريك يغادر الغرفة تمتم المفتش كوري يقول مخاطباً ليك إن الأطباء النفسانيين يجعلونه يحسّ بالألم في عنقه، وأردف يقول: والآن إلى الأسرة. سأبدأ بالشاب والتر هد.

كان والتر هد حذراً، وبدا أنه يتأمل المفتش بشيء من الاحتراس، ولكنه كان متعاوناً جداً، وقد قال إن التركيبات الكهربائية في ستوني غيتس قديمة جداً، وإن أكثر الأسلاك في حالة سيئة وإنهم لا يحتفظون في الولايات المتحدة بمثل هذه التركيبات البالية. فقال المفتش كوري بابتسامة خفيفة: أظن أنها ركّبت في عهد السيد غولبراندسن عندما كانت الأنوار الكهربائية لا تزال شيئاً حديثاً.

- ولم تُستبدل بعد ذلك قط.

وأردف والتر هد فقال إن أداة الأمان التي ترتبط بها كل مصابيح البيت تقريباً قد تلفت فذهب لكي يحاول إصلاحها.

- وكم استنفدت من الوقت في سبيل ذلك؟

- لا أستطيع أن أذكر ذلك على وجه التحديد. إن الصندوق الذي يضمّ أداة الأمان يقع في مكان غير مناسب، وكان لا بدّ لي من أن أبحث عن شمعة وسُلّم، وربما استنفد مني كل ذلك نحو عشر دقائق أو ربما ربع ساعة.

- هل سمعت طلقة نارية؟

- لا، لم أسمع شيئاً كهذا؛ فالأبواب التي تؤدي إلى المطبخ مزدوجة وأحدها مبطن باللباد.

- وماذا رأيت عندما عُدت إلى البهو؟

- كانوا كلّهم متجمعين أمام باب مكتب السيد سيروكولد، وقالت السيدة سترايت إن السيد سيروكولد قُتل رمياً بالرصاص، ولكن ذلك لم يكن صحيحاً؛ فإن السيد سيروكولد كان على ما يرام لأن ذلك المعتوه قد أخطأه.

- هل عرفت المسدس؟

- بالطبع، لقد كان مسدسي.

- متى رأيته لآخر مرة؟

- منذ يومين أو ثلاثة.

- وأين تضعه عادة؟

- في الدرج بغرفتي.

- من يعرف أنك تحتفظ به في ذلك الدرج؟

- لا أدي ماذا يعرف الناس في هذا البيت.

- ماذا تقصد بهذا القول يا سيد هد؟

- إنهم كلّهم مجانين.

- هل كان الجميع موجودين في البهو عندما عدت إليه؟

- ماذا تقصد بقولك «الجميع»؟

- نفس القوم الذين كانوا مجتمعين فيه عندما ذهبت لإصلاح النور.

- لقد كان جينا هناك هي والسيدة العجوز ذات الشعر الأشيب والآنسة بيلفر. أنا لم أرَها شخصياً، ولكن أظن هذا.

- السيد غولبراندسن أقبل أمس الأول فجأة، أليس كذلك؟

- بلى، أظن ذلك. وقد قيل لي إن هذه ليست عادته.

- هل بدا الجزع على أحد لقدومه؟

فأخذ والتر هد لحظة أو لحظتين قبل أن يردّ ثم قال: لا، لا أظن ذلك.

ومرة أخرى كانت في ردّه لمسة من الحذر.

- أليست لديك أية فكرة عن قدومه؟

- أظن أنه جاء لعمل يتصل بمؤسسة غولبراندسن.

- إذن فليست لديك أية فكرة عن قتل السيد غولبراندسن.

- لا ريب أنه أحد هؤلاء الفتية المنحرفين الذين يحاولون إصلاحهم في الكلّية.

- لا يا سيد هد، هذا أمر مستبعَد؛ فإن الكلية على الرغم

مما يسودها من جوّ الحرّية أشبه بالسجن في إدارتها، ولا يمكن لأحد من الفتية الذين بها أن يخرج منها بعد أن تظلم الدنيا فيرتكب جريمة القتل.

- لا أدري من يمكن أن يكون إذا لم يكن واحداً منهم، ولكن إذا أردت أن تبحث بين أهل البيت فإنني أراهن على أنه أليكس ريستاريك.

- لماذا تقول هذا؟

- لأنه كانت لديه الفرصة، فقد أتى بمفرده في سيارته.

- ولماذا يقتل كريستيان غولبراندسن؟

فهزّ والتر كتفيه وقال: أنا أجنبيّ ولا أعرف أسرار الأسرة. لعل غولبراندسن سمع عنه شيئاً يمسّه وكان ينوي أن يُطلع آل سيروكولد عليه.

- وماذا كان يهدف من ذلك؟

- ربما خشي أن يمنعوا عنه المال وهو في حاجة قصوى إليه.

- أتعني مشروعاته المسرحية؟

- هكذا يسمّيها.

- هل تريد الإيحاء بأنها كانت غير ذلك؟

فهزّ والتر هد كتفيه مرة أخرى وقال: لا أدري.

* * *

# الفصل الثالث عشر

كانت أليكس ريستاريك زلق اللسان، وراح يتكلّم وهو يأتي بحركات من يديه فقال: إنني أعلم، إنني أعلم، فأنا المشبوه المثالي. لقد وصلت هنا بمفردي في سيارتي، وفي الطريق الذي يقطع الحديقة رأيت منظراً خلاباً. لا أتوقع منك أن تفهم ما أعنيه؛ فإن هذا محال.

فقال كوري بجفاء: ربما استطعت أن أفهم.

ولكن أليكس استطرد يقول: إنه أحد هذه الأشياء الغريبة التي تفاجئ المرء من غير أن يعرف متى ولا كيف، ويكون من تأثيرها أن توحي إليه بفكرة، فكرة رائعة يختفي كل شيء عداها كما تختفي السحب. إنني أقوم بإخراج مسرحية «بيت الكلس»، وستُعرض في الشهر القادم، وقد رأيت فجأة ليلة أمس ديكوراً رائعاً يصلح لها، الأضواء المطلوبة تماماً، فقد كانت أشعة المصباح تبدو كأنها تحاول اختراق الطلقات النارية والخطوات الراكضة ودويّ المولّد الكهربائي الذي كان يبدو كهدير باخرة تعبر نهر التايمز. وظننت أنني قد وجدتها، ولكن ماذا أفعل لكي أنقل هذا الجوّ على خشبة المسرح و...؟

قاطعه كوري: تقول إنك سمعت طلقات نارية؟ أين؟

فهزّ أليكس يديه في الهواء، وهما يدان ممتلئتان يُعنى بهما، وقال: في جوف الضباب أيها المفتش، في جوف الضباب. كان هذا أروع جانب في الديكور.

- ألم يخطر ببالك أنه ربما وقع شيء خطير؟

- خطير؟ لماذا؟

- هل الطلقات النارية أمر عاديّ؟

- نعم، كنت أعلم أنك لن تفهمني. إن الطلقات تلاءمت مع المشهد الذي أفكّر في خلقه، فقد كنت أريد طلقات وخطراً وأعمالاً جنونية. ماذا كان يهمّني لو أنها كانت حقيقية؟ لعلها كانت صوتاً صدر من محرّك سيارة في الطريق، أو لعل صياداً أطلق النار لاصطياد أرنب، أو لعله طفل يلهو بإطلاق صاروخ ناريّ، بل إنه لم يخطر لي أنها طلقات نارية. كنت شارداً في «بيت الكلس»، أو بالأحرى على خشبة المسرح في «بيت الكلس».

- كم طلقة سمعتها؟

فقال أليكس: ربما طلقتان أو ثلاث طلقات. بل هما طلقتان متتابعتان. إنني أتذكر ذلك.

فأومأ المفتش وقال: والخطوات الراكضة، أظنك سمّيتها كذلك، أين كانت؟

- لقد تناهت إلى أذني من جوف الضباب، من مكان ما على مقربة من البيت.

فقال المفتش كوري برقة: إن هذا يوحي بأن قاتل كريستيان غولبراندسن قد أتى من الخارج.

- بالطبع. لا أظنك تريد أن تقول إنه جاء من داخل البيت.

فقال المفتش بنفس الرقة: يجب أن نفكر في كل شيء.

فقال أليكس ريستاريك بسماحة: أظن ذلك. يا لمهنتك الشاقة! الاستجوابات والتفصيلات والأوقات والأماكن وغيرها من الأشياء التافهة، وفي النهاية ما جدوى كل ذلك؟ هل يعيد كل ذلك كريستيان غولبراندسن المسكين إلى الحياة؟

- إننا نشعر بالارتياح حين نلقي القبض على القاتل يا سيد ريستاريك. هل كنت تعرف السيد غولبراندسن معرفة وثيقة؟

- لم أكن أعرفه بما فيه الكفاية لكي أقتله أيها المفتش. كنت ألتقي به ما بين فترة وأخرى في أثناء إقامتي هنا وأنا طفل، وكان يأتي من وقت إلى آخر ولكنه لم يكن يبقى كثيراً. إنه أحد أقطاب صناعتنا، ولم يكن الرجل نفسه يهمّني.

تفرس المفتش كوري فيه بتفكير ثم سأله قائلاً: هل تهتمّ بالسموم يا سيد ريستاريك؟

- السموم؟ ولكن يا صاحبي العزيز هو لم يمُت بالسمّ أولاً ثم قُتل بالرصاص بعد ذلك، ولو صحّ هذا فإنها ستكون قصة بوليسية مثيرة جداً.

- إنه لم يمُت بالسمّ. ولكنك لم تُجِب على سؤالي.

- ليست لي دراية خاصة بهذا الموضوع.

- هل كان معك زرنيخ في أي وقت من الأوقات؟

- لا.

- هل تأتي هنا كثيراً يا سيد ريستاريك؟

- أحياناً أغيب أسابيع كثيرة، ولكنني أحاول المجيء لقضاء عطلة نهاية الأسبوع عندما أستطيع، فإنني أعتبر ستوني غيتس دائماً بيتي الحقيقي.

- هل شجّعتك السيدة سيروكولد على ذلك؟

- أنا لن أستطيع أن أفيَها حقّها من الشكر لما بذلته لي من حبّ وإدراك ومودّة.

- ومبالغ طائلة من النقد كذلك على ما أعتقد.

فارتسمت أمارات التقزّز شيئاً ما على ملامح أليكس ريستاريك وقال: إنها تعاملني كما لو كنت ابناً لها، وهي تؤمن بعملي.

- هل حدث أن كلّمتك عن وصيتها؟

- بالتأكيد. ولكن هل لي أن أسأل عن الغرض من كل هذه الأسئلة أيها المفتش؛ فالسيدة سيروكولد لم يُصِبها أي مكروه.

فقال المفتش بتجهّم: من الأفضل أن لا يحدث لها مكروه.

وقال أليكس: ما الذي قد تعنيه بذلك؟

- إذا كنت لا تعرف فخير، أما إن كنت تعرف فإنني أنذرك.

وعندما خرج أليكس قال الرقيب ليك: إنه يكذب.

فهزّ كوري رأسه وقال: من الصعب أن نقول ذلك. قد يكون ذا موهبة خلاقة، وربما كان يحبّ الحياة السهلة والأقوال الكبيرة. لا يمكن أن نعرف. إنه يقول إنه سمع خطوات تجري. أنا مستعدّ لأن أراهن بأنه جاء بهذا القول من عنده.

- ولأي سبب؟

- لسبب شخصيّ. إننا ما زلنا نتخبط، ولكننا سوف نعرفه.

- على كل حال ربما خرج أحد هؤلاء الفتية ليلاً خلسة، ولا ريب أن بينهم بعض اللصوص، وإذا كان الأمر كذلك...

- هذا ما يريدوننا أن نعتقده، وهو أمر مناسب جداً، ولكن إذا كان الأمر كذلك يا ليك فإنني على استعداد لأكل قبّعتي الجديدة.

* * *

قال ستيفن ريستاريك: لقد كنت جالساً أمام البيانو، وكنت أداعب المفاتيح بهدوء عندما بدأ الشجار بين لويس وإدغر.

- وما رأيك في هذا الشجار؟

- إذا أردت الحقيقة فإنني لم أنظر إليه نظرة جدّية؛ فإن الفتى المسكين عرضة لمثل هذه الأزمات، وهو ليس معتوهاً حقاً، فكل هذه السخافات ما هي إلا نوع من إخراج الكبت النفسي. والحقيقة أننا جميعاً نضايقه، وخصوصاً جينا.

- جينا؟ هل تعني السيدة هد؟ ولماذا تضايقه؟

- لأنها امرأة جميلة، ولأنها تظنّ أنه معتوه. إنها نصف إيطالية كما تعرف، والإيطاليون قوم مفطورون على القسوة. إنهم لا يشعرون بأي عطف أو شفقة تجاه أي رجل مسنّ أو دميم أو غريب الأطوار في ناحية من النواحي. إنهم يشيرون بأصابعهم ويتهكّمون، وهذا ما تفعله جينا، وأنا أتكلّم مجازاً. إنها لا تستطيع أن تطيقه، فقد كان مضحكاً مغروراً يفتقد الثقة في نفسه إلى حدّ كبير، وكان يريد أن يؤثر فيها ولكنه لم يفلح إلا في إظهار رغباته. وما كان

يهمّها في شيء أن يتألم الفتى المسكين.

فسأله المفتش كوري: هل تريد أن تقول إن إدغر لاوسن يحب السيدة هد؟

فأجاب ستيفن بمرح قائلاً: نعم. والواقع أننا نحبّها جميعاً بالتقريب، وهي يروقها هذا.

- وهل هذا يروق زوجها أيضاً؟

- إنه لا يكاد يلحظ الأمر، فإن الشاب المسكين يتعذّب هو الآخر. لا يمكن أن يدوم الأمر بينهما، أعني أن زواجهما سيفشل في وقت قصير؛ فقد كان زواج حرب.

فقال المفتش: هذا أمر هام جداً، ولكننا بعدنا عن الموضوع، وهو مقتل كريستيان غولبراندسن.

فقال ستيفن: أجل، ولكنني لا أستطيع أن أحدثك بأي شيء عنه؛ فقد كنت جالساً أمام البيانو ولم أبرح مكاني حتى عادت جولي العزيزة ومعها المفاتيح وراحت تجرّبها كلّها لكي تفتح باب المكتب.

- بقيت أمام البيانو؟ هل مضيت في العزف؟

- لا. لقد توقفت عن العزف عندما اشتدّ بينهما الشجار، ولم يكن ذلك لجزعي من النتيجة، فإن لويس له عين أستطيع أن أقول عنها إنها ديناميكية، وإنه يستطيع أن يتغلب على إدغر بالنظر إليه فحسب.

- ومع ذلك فإن إدغر لاوسن أطلق عليه عيارين ناريين.

فهزّ ستيفن رأسه برفق وقال: أراد أن يبالغ فحسب وأن يمتع

نفسه. لقد كانت أمي العزيزة معتادة ذلك، وقد ماتت أو هربت مع رجل آخر عندما كنت في الرابعة، ولكنني أتذكر تهديدها بالمسدس إذا ما أزعجها شيء ما، وقد أطلقت الرصاص مرة في ملهى ليليّ ولكن الرصاصة طاشت واستقرّت في الحائط. لقد كانت تجيد إصابة الهدف، وقد تسبّبت في الانزعاج بعضاً من الوقت. كانت راقصة روسية.

– حقاً؟ هل تستطيع أن تقول لي يا سيد ريستاريك من الذي غادر البهو ليلة أمس حين كنتم هناك، في أثناء الوقت الذي يهمّنا؟

– لقد غادر والي لإصلاح النور، وجولييت بيلفر للبحث عن مفتاح لتفتح به باب المكتب، ولم يغادره شخص آخر بقدر ما أعلم.

– وهل كنت ستلاحظ الأمر إذا كان أحد آخر قد غادر البهو؟

فكّر ستيفن لحظة ثم قال: بالطبع لا، هذا إذا كان أحد قد خرج ثم عاد ثانية؛ فقد كان البهو مظلماً ولم نكن نهتمّ بشيء آخر غير الشجار الدائر في غرفة المكتب.

– هل يوجد أحد يمكنك أن تؤكد أنه لم يغادر البهو طَوال الوقت؟

– السيدة سيروكولد وجينا. نعم، ويمكنني أن أقسم على ذلك.

– أشكرك يا سيد ريستاريك.

وسار ستيفن نحو الباب، ولما بلغه تردّد ثم عاد وقال: ما هذا

الكلام الذي سمعته عن الزرنيخ؟

- من الذي حدّثك به؟

- أخي.

- آه، نعم.

فقال ستيفن: هل كان أحد يدسّ السمّ للسيدة سيروكولد؟

- ولماذا تذكر السيدة سيروكولد بالتحديد؟

- لقد قرأت عن أعراض التسمّم بالزرنيخ، وهي نفس أعراض التهاب المفاصل، وهي الآلام التي تشكو منها السيدة سيروكولد أخيراً، ثم إن لويس اختطف الدواء منها أمس. أهذا ما يدور حقاً؟

فقال المفتش كوري بلهجة رسمية: إننا نتحرّى الأمر.

- هل تعرف هي نفسها ذلك؟

- لا. لقد كان السيد سيروكولد حريصاً على أن لا يزعجها.

- إزعاجها؟ هذه كلمة ليست في محلّها أيها المفتش؛ فلا شيء هنا يمكن أن يزعج السيدة سيروكولد أبداً. أهذا هو سبب موت كريستيان غولبراندسن؟ هل اكتشف أنه يوجد من يحاول تسميمها؟ ولكن كيف كان يمكنه ذلك؟ مهما يكن فإن الأمر كما يبدو بعيد الاحتمال ولا معنى له.

- إنه يثير دهشتك كثيراً يا سيد ريستاريك، أليس كذلك؟

- بلى، بالطبع. وعندما حدثني أليكس لم أصدّقه بسهولة.

- مَن في رأيك يمكن أن يدسّ السم للسيدة سيروكولد؟

بدت ابتسامة على وجه ستيفن الوسيم لحظة ثم قال: ليس الشخص المألوف في هذه الحالة. يمكنك استبعاد الزوج؛ فإن لويس سيروكولد لن يجني من موتها شيئاً، ثم إنه يعشقها ولا يمكنه أن يطيق أن يراها تتألم أقلّ الألم.

- مَن إذن؟ ألديك أية فكرة؟

- نعم، بل إنني على يقين.

- تكلّم من فضلك.

فهز ستيفن رأسه وقال: إنني أتكلّم مستنداً إلى علم النفس وليس لدي أي دليل على ذلك، وقد لا توافقني على رأيي.

وخرج ستيفن بغير اكتراث، وراح المفتش كوري يرسم بعض القطط على ورقة بيضاء أمامه. كان يفكر في ثلاثة أشياء: أولاً في أن ستيفن ريستاريك معتدّ بنفسه جداً، وثانياً أنه وأخوه يكوّنان جبهة واحدة، وثالثاً أن ستيفن ريستاريك كان رجلاً وسيماً في حين أن والتر دميم. وفكّر في نقطتين أخريين: ماذا كان ستيفن يعني بقوله «مستنداً إلى علم النفس»؟ وهل كان ستيفن يستطيع أن يرى جينا وهو جالس في مقعده أمام البيانو؟ وفكر في أنه لم يكن يستطيع أن يراها من مكانه.

* * *

في عتمة غرفة المكتبة جاءت جينا بوميض غريب، وحتى المفتش كوري طرفت عيناه قليلاً أمام الشابة المشرقة التي جلست أمامه وانحنى قليلاً فوق المكتب. وقالت جينا مترقّبة: حسناً أيها المفتش، ماذا تريد مني؟

فتأمل المفتش قميصها القرمزي وبنطالها الأخضر الداكن وقال

بجفاء: أرى أنك لا تلبسين ثياب الحِداد.

- ليس لديّ ثياب سوداء. أعرف أن كل إنسان يجب أن يكون لديه ثوب أسود وأن يلبسه مع عقد من اللؤلؤ، ولكني لا أملك شيئاً منها؛ فإنني أكره اللون الأسود لأنني أعتقد أنه لون بشع، وأن المضيفين والخدم ومَن في حكمهم هم الذين يجب أن يلبسوه. ومهما يكن فإن كريستيان غولبراندسن لم يكن قريباً لي، فهو ابن زوج جدّتي فحسب.

- وأظن أنك لم تعرفيه معرفة وثيقة؟

فهزت جينا رأسها وأجابت قائلة: لقد جاء هنا ثلاث أو أربع مرات وأنا لا أزال طفلة، ولكنني ذهبت إلى أمريكا في أثناء الحرب ولم أعُد للإقامة هنا إلا منذ نحو ستة أسابيع فقط.

- وعدت للإقامة بصفة نهائية؟ أنت لست مجرّد زائرة إذن؟

- في الواقع أنا لم أفكر في هذا الأمر بعد.

- هل كنت في البهو الكبير في الليلة الماضية عندما انصرف السيد غولبراندسن إلى غرفته؟

- نعم. ألقى علينا تحية المساء ثم انصرف، وقد سألته جدّتي إن كان لا ينقصه شيء فأجابها بأن جولي أتته بكل ما يريد وقال إنه يريد أن يكتب بعض الرسائل.

- وبعد؟

فوصفت جينا الشجار الذي وقع بين لويس وإدغر لاوسن. كانت نفس القصة التي سمعها المفتش أكثر من مرة، ولكنها أخذت هذه المرة على لسان جينا لوناً آخر وسمة جديدة، فقد تكلّمت

عنها فوصفتها بأنها دراما، وقالت: كان المسدّس مسدّس والي. لقد بلغت الجرأة بإدغر إلى أن يتسلّل إلى غرفة والي وأن يأخذ مسدّسه! ما كنت أظن أن الجرأة تبلغ به هذا الحدّ.

– هل انزعجت عندما ذهبا إلى غرفة المكتبة وعندما أغلق لاوسن الباب بالمفتاح؟

فقالت جينا وقد اتسعت عيناها الرماديتان: لا، بل إنني استمتعت بذلك. إنه ممثل غير بارع كما تعلم ومتكلّف إلى حدّ الجنون، وكل ما يفعله إدغر يثير الضحك ولا يمكن أن يأخذه أحد مأخذ الجدّ لحظة واحدة.

– ومع ذلك فقد أطلق المسدّس؟

– نعم، وقد حسبنا كلّنا أنه أصاب لويس.

لم يستطع المفتش كوري أن يمنع نفسه من أن يسألها: وهل استمتعت بذلك أيضاً؟

– لا، بل كنت خائفة عندئذ، كنا جميعاً خائفين فيما عدا جدّتي، فهي لا تنزعج أبداً.

– هذا أمر ملفت للنظر.

– مطلقاً؛ فهذا طبعها. إنها لا تعيش في هذا العالم، بل إنها من ذلك النوع الذي لا يصدّق أن الشرّ يمكن أن يقع. إنها رقيقة.

– من الذي كان في البهو في أثناء ذلك الشجار؟

– كنا هناك جميعاً فيما عدا العمّ كريستيان بالطبع.

– لا تقولي: «جميعاً» يا سيدة هد؛ فقد كان الناس يدخلون ويخرجون.

فقالت جينا بإبهام: حقاً؟

- زوجك مثلاً خرج لإصلاح النور.

- أجل، إن والي يجيد إصلاح الأشياء.

- وفي أثناء غيابه دوّى طلق ناريّ، طلق حسبتم جميعاً أنه صدر من الحديقة.

- لا أتذكّر هذا... لا، بل أتذكّر. لقد كان ذلك بعد أن عاد النور وبعد أن عاد والي.

- هل غادر البهو أحد آخر؟

- لا أظن ذلك، لا أتذكّر.

- أين كنت تجلسين يا سيدة هد؟

- بجوار النافذة.

- على مقربة من باب المكتبة؟

- نعم.

- هل غادرت أنت نفسك البهو في أي وقت من الأوقات؟

- غادرت البهو؟! وأترك ذلك الشجار المثير؟ بالطبع لا.

وبدا أن جينا قد روّعتها هذه الفكرة.

- أين كان يجلس الآخرون؟

- أغلبهم حول الموقد، فكانت خالتي ملدريد تحبك الصوف وكذلك العمة جين، أعني الآنسة ماربل، أما جدّتي فكانت جالسة فحسب.

- والسيد ستيفن ريستاريك؟

- ستيفن؟ كان يعزف على البيانو، ولا أدري أين ذهب بعد ذلك.

- والآنسة بيلفر؟

- كانت تدور في المكان كعادتها. إنها لا تجلس مطلقاً، وقد كانت تبحث عن مفاتيح أو عن شيء ما.

وقالت فجأة: ما هذه الضجة التي حدثت بخصوص دواء جدّتي؟ هل أخطأ الصيدلاني في تحضيره أم ماذا؟

- لماذا تظنين ذلك؟

- لأن زجاجة الدواء اختفت، ولأن الآنسة بيلفر تبحث عنها في كل مكان وهي تكاد تجنّ، وقد أخبرها لويس أن رجال الشرطة أخذوها، فهل هذا صحيح؟

وبدلاً من أن يجيب المفتش قال: هل تقولين إن الآنسة بيلفر انزعجت؟

قالت جينا بغير اكتراث: إن جولي مصدر للقلق دائماً، ثم إنها تنزعج دائماً لأقل شيء، وأحياناً أتساءل كيف تطيقها جدّتي.

- سؤال آخر يا سيدة هد، أليست لديك أية فكرة عمن قتل كريستيان غولبراندسن ولماذا قتله؟

- لا بدّ أنه أحد المجانين. إن القتَلة وقُطّاع الطرق قوم حساسون في الواقع، أعني أنهم يقتلون ضحاياهم ليسلبوهم أموالهم أو جواهرهم لا لمجرّد اللهو والتسلية، أما المجنون أو مضطرب العقل فهو يقتل لمجرّد اللهو. لا أستطيع أن أرى أي سبب

آخر يمكن أن يدفع أحداً إلى قتل العم كريستيان، لم يكن ذلك إلا لمجرد اللهو. على الأقل لا أعني اللهو تماماً ولكن...

- ألا تفكّرين في حافز ما؟

- بلى، هذا ما أعنيه؛ فهو لم يُسرق، أليس كذلك؟

- ولكنك تعرفين يا سيدة هد أن أبواب الكلّية كانت مغلقة وأن أحداً لا يستطيع الخروج بغير إذن؟

فضحكت جينا بمرح وقالت: لا تصدّق هذا؛ فإن هؤلاء الفتية يمكنهم الخروج من كل مكان. إنهم علّموني خدعاً كثيرة.

قال الرقيب ليك بعد أن خرجت جينا: إنها فتاة مرحة، ويبدو أنها استمتعت بكل ما حدث.

- سواء كان ستيفن ريستاريك على حقّ أم لا بخصوص فشل زواجها فإنني أرى أنها كذبت لكي تقول إن والتر هد عاد إلى البهو الكبير قبل أن يسمع الجميع صوت الطلق الناري.

- وهذا لا يتفق مع ما ذكره الآخرون.

- تماماً.

- وهي لم تقُل كذلك إن الآنسة بيلفر غادرت لكي تبحث عن مفتاح.

فقال المفتش بتفكير: أجل، إنها لم تقُل ذلك.

* * *

# الفصل الرابع عشر

بدت السيدة ستريت في مكانها الطبيعي في غرفة المكتبة أكثر بكثير من جينا، فلم يكن فيها أي شيء أجنبيّ، وكانت ترتدي ثوباً أسود مع دبّوس زينة من العقيق وتضع على رأسها شبكة لفّت بها شعرها الأشيَب بعناية كبيرة. وقد انعكست صورتها في عينَي المفتش كوري فبدت صورة صحيحة لما يجب أن تكون عليه زوجة كاهن بإحدى الكنائس الرسمية، وقد كان هذا في حدّ ذاته غريباً لأن قلائل من الناس يبدون عادة كما هم في الواقع حقاً، ومع ذلك فقد بدا واضحاً أنها متضايقة. وأسرعت تقول: كنت أحسب أنك ستخبرني متى تريد أن تراني أيها المفتش. إنني اضطررت إلى الجلوس بالخارج والانتظار طَوال فترة الضحى.

أدرك كوري أن إحساسها بالأهمية هو الذي أصيب في الصميم، فأسرع يسكب بعض الزيت على البحر الهائج ليهدأ موجه قائلاً: أنا آسف يا سيدة ستريت، ولكن لعلك لا تعرفين الوسائل التي نلجأ إليها في عملنا، فإننا نبدأ أولاً بأقوال الشهود الذين نرى أنهم دون الأهمية، ونجمع منهم معلوماتهم لكي نتخلّص منهم في البداية لأنه من المفيد جداً أن نترك الشهود الذين نرى أننا نستطيع الاعتماد عليهم إلى النهاية؛ فمن المعروف أنهم يتميزون بقوة الملاحظة، وبذلك يتسنى لنا أن نتحقق منهم من مدى أهمية

الأقوال التي بدأنا بسماعها.

رقّت قسمات السيدة ستريت بوضوح وقالت: حسناً، إنني أفهم ما تعنيه. لم أكن أدري هذا حقاً.

- إنك امرأة ناضجة الحكم يا سيدة ستريت، امرأة تفهمين الحياة، ثم إن هذا البيت بيتك. أنت ابنة البيت، وعلى هذا يمكنك أن تخبريني بكل شيء عن القوم الذين يعيشون فيه.

فأجابت السيدة ملدريد ستريت قائلة: أستطيع أن أفعل هذا حقاً.

وبهذا ترَين أنني حين أتعرّض لمعرفة مَن الذي قتل كريستيان غولبراندسن فإنك تستطيعين أن تقدّمي لنا أكبر العون.

- ولكن هل توجد حاجة إلى مثل هذا السؤال؟ إن الذي قتل أخي واضح لكل ذي عينين.

فانحنى المفتش كوري إلى الأمام وربت بيده على شاربه الصغير الأنيق وقال: حسناً، يجب أن نتوخّى الحرص. هل تظنين أن الأمر واضح؟

- بالطبع. إنه ذلك الأمريكي البغيض، زوج جينا المسكينة؛ فهو الرجل الأجنبيّ الوحيد هنا، ونحن لا نعرف عنه شيئاً، ولا ريب أنه من رجال العصابات.

- ولكن هذا لا يدلّ على أنه هو الذي قتل كريستيان غولبراندسن، ثم لماذا يقتله؟

- لأن كريستيان اكتشف شيئاً يتعلق به، وهذا هو السبب في أنه جاء هكذا مبكّراً بعد زيارته الأخيرة.

- هل أنت واثقة مما تقولين يا سيدة ستريت؟

- يبدو لي أن هذا واضح كل الوضوح. إنه حملنا على الاعتقاد بأن لزيارته علاقة بالمؤسسة، ولكن هذا هراء؛ فقد كان هنا منذ شهر واحد فقط ولم يقع شيء ذو أهمية منذ ذلك الحين، ولهذا لا بدّ أن يكون قد أتى لأمر خاص. لقد رأى والتر في زيارته الأخيرة، ولعله تعرّف عليه أو ربما تحرى عنه في الولايات المتحدة -فإن له عملاء في كل بقاع العالم بالطبع- واكتشف شيئاً يضرّ بموقفه. وجينا فتاة حمقاء جداً، وكانت كذلك دائماً، وإن من خصالها حقاً أن تتزوج رجلاً لا تعرف عنه أي شيء؛ فهي مجنونة بالرجال، ولا ريب أنه رجل يبحث عنه رجال الشرطة أو لعله متزوّج من قبل أو ربما كان من رجال العصابات. لكن أخي كريستيان لم يكن بالرجل الذي يمكن خداعه بسهولة، وأنا واثقة أنه عاد لكي يعيد الأمور إلى نصابها. أراد أن يكشف أمره وأن يظهره على حقيقته، ولهذا قتله والتر بالتأكيد.

أضاف المفتش كوري شارباً ضخماً إلى أحد القطط التي رسمها وقال: حسناً.

- ألا توافقني على أن هذا هو ما لا بدّ قد حدث؟

فقال المفتش: هذا جائز.

- وهل يمكن أن يكون أمامنا حلّ آخر؟ لم يكن لكريستيان أعداء، وإن الشيء الذي لا أستطيع أن أفهمه هو لماذا لم تُلقِ القبض على والتر حتى الآن.

- ليس لدينا أي دليل على أنه هو القاتل يا سيدة ستريت.

- يمكنك أن تحصل على هذا الدليل بسهولة طبعاً، إذا أنت

أبرقت إلى أمريكا.

- أجل، سوف نتحرّى عن السيد والتر هد ويمكنك أن تتأكدي من ذلك، ولكننا لا نستطيع القبض عليه ما لم نتأكّد من أنه هو القاتل. لقد كانت الفرصة مواتية له طبعاً.

- إنه خرج في أثر كريستيان مدّعياً أنه ذاهب لإصلاح النور.

- ولكنه أصلح النور فعلاً.

- كان في إمكانه أن يعمل على إتلافه قبل ذلك بسهولة.

- هذا صحيح.

- وبهذا وجد عذراً يبرّر به خروجه، فتبع كريستيان إلى غرفته وأطلق النار عليه ثم أصلح النور وعاد إلى البهو من جديد.

- لقد قالت زوجته إنه عاد قبل أن تسمعوا دويّ الطلقة في الخارج.

- لا، إن جينا تقول أي شيء. إن الإيطاليين قوم لا يوثَق بهم أبداً.

- هل تظنين أن زوجته مشتركة معه في هذا الأمر؟

- لا، لا أظن هذا.

وبدت عليها خيبة الأمل لأنها لا تظنّ العكس، واستطردت تقول: لا ريب أن هذا هو الدافع لارتكاب الجريمة جزئياً. لقد أراد أن لا تعرف جينا الحقيقة عنه؛ فهي في النهاية مورد رزقه.

- وهي فتاة جميلة جداً.

- أجل. طالما قلت إن جينا جميلة جداً، وهو أمر معروف عن

الإيطاليين بالطبع، ولكن إذا أردت رأيي فإن والتر هد لم يتزوجها إلا من أجل مالها، وهذا هو سبب قدومه هنا وتعلّقه بأذيال سيروكولد.

- إن السيدة هد ثرية جداً على ما أعتقد، أليس كذلك؟

- ليس في الوقت الحالي. لقد أوصى أبي بمبلغ مساوٍ لي ولأمّ جينا، ولكن هذه الأخيرة اتخذت جنسية زوجها بالطبع، وأظن أن القانون قد تغيّر الآن، وبعد ما تكلفته الحرب لم يتبقّ لجينا إلا القليل. إن أمي تدلّلها وخالتها الأمريكية السيدة فان ريدوك تنفق عليها مبالغ خيالية، وقد اشترت لها كلّ ما أرادت في أثناء الحرب، ومع ذلك (ومن وجهة نظر والتر) لا يمكنه أن يضع يده على الكثير إلا بعد وفاة أمّي، حيث ترث جينا عندئذ ثروة كبيرة.

- وكذلك أنت يا سيدة ستريت.

بدا لون خفيف على وجنتَي ملدريد ستريت وقالت: ولي أيضاً، كما تقول. لقد عشت أنا وزوجي دوماً حياة هادئة جداً، ولم يكن ينفق شيئاً تقريباً إلا على كتبه، فقد كان مثقفاً جداً. أما ثروتي الخاصة فقد تضاعفت تقريباً، وهي أكثر مما يكفيني ولكن يمكن للإنسان استخدام المال لصالح الغير، والمال الذي سيأتيني سأعتبره وديعة مقدّسة.

فقال كوري وهو يتظاهر بأنه أساء الفهم: ولكنه لن يكون وديعة كما تقولين، بل سيكون ملكاً لك بغير منازع.

- نعم، إذا أردت، سيكون ملكاً لي بغير منازع.

أثارت اللهجة التي نطقت بها ملدريد تلك الكلمات الأخيرة دهشة المفتش كوري فنظر إليها بحدّة، ولكن السيدة ستريت

لم تكن تنظر إليه، فقد كانت عيناها تومضان وفمها الطويل الرفيع كان مقوّساً بابتسامة ظافرة. وقال المفتش كوري بشيء من الاحترام: إذن فمن وجهة نظرك -وقد كانت أمامك بالطبع فرص كثيرة للحكم- فإن السيد والتر هد يريد المال الذي سترثه زوجته بعد وفاة السيدة سيروكولد. وبهذه المناسبة، إن السيدة سيروكولد لا تتمتع بصحة جيدة.

- إن أمي كانت رقيقة دائماً.

- هو ذلك، ولكن الإنسان الرقيق يعيش غالباً أطول من الذي يتمتع بصحة جيدة.

- أجل، أظن ذلك.

- ألم تلحظي أن صحّة أمّك قد تدهورت في الأيام الأخيرة؟

- إنها تشكو من الروماتيزم، ولكن هذه أعراض تقدّم السنّ وكل امرئ عرضة لها، وأنا لا أشفق على القوم الذين يشْكون ويتذمرون من الأوجاع والآلام التي لا بدّ منها.

- وهل تشكو السيدة سيروكولد أو تتذمر؟

لزمت ملدريد الصمت لحظة ثم قالت أخيراً: إنها لا تشكو ولا تتذمر، ولكنها معتادة على أن ينزعج الآخرون من أجلها. وزوجها شديد القلق عليها، أما الآنسة بيلفر فهي تجعل من نفسها أضحوكة تماماً، ثم إنها على أية حال أعطت نفسها نفوذاً وسلطاناً كبيرين في هذا البيت. إنها أقبلت هنا منذ سنوات عديدة، وإخلاصها لأمي عظيم في حدّ ذاته، ولكنه أصبح في الواقع كارثة كبيرة؛ فهي تضطهد أمي في الواقع وتشرف بنفسها على كل شيء في البيت

وتأخذ على عاتقها كل شيء، وأظن أن ذلك يضايق لويس في بعض الأحيان، ولن أستغرب أبداً إذا ما أمرها ذات يوم بمغادرة البيت. إنها لا تتمتع بأية لباقة أو كياسة، وإنه لمن الشاقّ أن يرى الرجل زوجته تخضع كلّية لامرأة دكتاتورية.

أومأ المفتش كوري برأسه برفق وقال: أجل، أجل.

وتأمل بتفكير وقال: يوجد شيء لا أفهمه تماماً يا سيدة ستريت، وهو موقف الأخوين ريستاريك.

– زيادة في العواطف الحمقاء. إن أباهما تزوّج أمي طمعاً في مالها، وبعد سنين هرب مع مغنّية يوغوسلافية لا أخلاق لها. وكان رجلاً تافهاً جداً وأمي امرأة رحيمة القلب فأشفقت بالولدين؛ فقد كان من المستحيل أن يقضيا إجازتهما مع امرأة ليس لها أي قسط من الأخلاق، فتبنّتهما أمي تقريباً وأصبحا يعيشان عالة على هذا البيت منذ ذلك الوقت. إن في هذا البيت كثيراً من الطفيليين، وأستطيع أن أؤكّد لك هذا.

– لقد كان لدى أليكس ريستاريك الفرصة لقتل كريستيان غولبراندسن؛ فقد كان في السيارة وحده يسوقها من الكوخ إلى البيت. لكن ماذا بشأن ستيفن؟

– كان ستيفن معنا في البهو. إن سلوك أليكس لا يروقني؛ فإنه يزداد غلظة يوماً بعد يوم، وأظن أنه يعيش حياة غير مستقرّة. لكنني لا أراه في الواقع قاتلاً، ثم لماذا يقتل أخي؟

قال المفتش كوري برفق: إننا نعود دائماً إلى نفس السؤال، ما الذي كان يعرفه كريستيان غولبراندسن بخصوص شخص ما مما اضطرّ ذلك الشخص إلى قتله؟

فقالت السيدة ستريت ظافرة: لا بدّ أنه والتر هد.

- ما لم يكن شخص آخر غيره.

فقالت ملدريد بحدّة: ماذا تقصد بهذا القول؟

فأجاب المفتش كوري ببطء قائلاً: لقد كان السيد غولبراندسن شديد الاهتمام بصحة السيدة سيروكولد في أثناء وجوده هنا.

عبست أسارير السيدة ستريت وقالت: إن الرجال يزعجون أنفسهم دائماً بصحة أمي لأنها تبدو هشّة، وأظن أن هذا يروقها، إلا إذا كان كريستيان قد أصغى إلى جولييت بيلفر.

- ألا تنزعجين أنت نفسك على صحة أمك يا سيدة ستريت؟

- لا، وأرجو أن أكون على حق. إن أمّي ليست شابة بالطبع و...

فقال المفتش كوري مكملاً: والموت حقّ علينا جميعاً. ولكن ليس قبل الأوان، وهذا هو ما نحاول الحيلولة دونه.

كان يتكلّم بلهجة لها مغزاها، فاستولى الانفعال على ملدريد فجأة وصاحت قائلة: يا إلهي، هذا فظيع! إن أحداً هنا لا يهتم بهذا. ولماذا يهتمون؟ فأنا الوحيدة التي كانت تربطني بكريستيان غولبراندسن رابطة الدم، ولم يكن بالنسبة إلى أمي غير ابن زوجها، ولا تربطه بجينا صلة القرابة. لقد كان أخي أنا.

فقال المفتش كوري: كان أخاً غير شقيق.

- أجل، ولكننا من آل غولبراندسن على الرغم من اختلاف السنّ.

فقال كوري برفق: أجل، أجل. إنني أفهم وجهة نظرك.

وخرجت ملدريد ستريت وعيناها مغرورقتان بالدموع، ونظر كوري إلى ليك وقال: إنها واثقة أن القاتل هو والتر هد، ولن يزحزحها عن رأيها هذا أية فكرة أخرى.

- وقد تكون على حق.

- هذا جائز طبعاً؛ فإن والي تنطبق عليه جميع الظروف والملابسات تماماً، فهو إذا كان يريد أن يحصل على المال بسرعة حقاً فلا بدّ من أن تموت أمّ زوجته، ولهذا عبث بدوائها، ورآه كريستيان غولبراندسن وهو يفعل ذلك أو سمع عن ذلك بطريقة ما. نعم، كل هذا ينطبق تماماً.

وأمسك لحظة ثم قال: وبهذه المناسبة، إن ملدريد ستريت تحبّ المال. من الجائز أنها لا تنفقه ولكنها تحبه، وقد تكون بخيلة تحبّ جمع المال، ومن الجائز أنها تحب القوة التي يمنحها المال، وربما كانت تحبه لعمل الخير. إنها من آل غولبراندسن، ومن الجائز أنها تريد أن تحاكي أباها.

فقال الرقيب ليك: هذا أمر معقّد.

وحك رأسه، فقال المفتش كوري: من الخير أن نرى ذلك الشاب المعتوه لاوسن، ثم نذهب بعد ذلك إلى البهو الكبير ونفحص المكان على الطبيعة ونحاول أن نتبيّن أين كان موقع كل فرد. لقد استمعنا اليوم إلى شيء أو شيئين لهما أهميتهما.

* * *

أخذت الأفكار تتوالى على ذهن المفتش كوري وهو ينظر إلى إدغر لاوسن. إن من العسير حقاً أن يبني المرء رأياً حقيقياً عن

شخص ما طبقاً لما يرويه عنه الغير، فقد وصف أناس كثيرون إدغر لاوسن صباح ذلك اليوم، ولكنه وهو ينظر إليه في تلك اللحظة كان شعوره الخاص يختلف عنهم بطريقة تكاد تدعو إلى الضحك، فلم يبدُ له إدغر غريباً أو شديد الخطر أو وقحاً أو حتى غير طبيعي، بل بدا له شاباً عادياً جداً شديد التواضع، شاباً في مقتبل العمر عادياً ومثيراً للشفقة. كان لا همّ له إلا أن يتكلّم وأن يبدي اعتذاره.

- أعلم أنني أسأت التصرف جداً، ولا أدري حقاً ما الذي حدث لي وما الذي حداني إلى إحداث هذا الشجار وهذه الضجة، وإلى إطلاق النار على السيد سيروكولد بالذات وهو الرجل الطيّب الذي عاملني بكل كرم وكل صبر.

وراح يلوي يديه بعصبية، وهما يدان تثيران الشفقة بعض الشيء، وقال: إذا كان لا بدّ من مساءلتي فإنني على استعداد للذهاب معكم على الفور. إنني أستحقّ ذلك، وسوف أقرّ بذنبي.

فقال المفتش بلهجة جافة: لم يتّهمك أحد بشيء، وبهذا لا يمكننا إدانتك بأي شيء، فطبقاً لأقوال السيد سيروكولد كانت الطلقات النارية بغير قصد.

- إنه رجل كريم حقاً، لم أرَ رجلاً كريماً مثله قط. إنه بذل لي كل شيء، وقد رددت له جميله بتصرفي الأحمق هذا.

- ما الذي دفعك إلى مثل هذا التصرف؟

فبدا الضيق على وجه إدغر وقال: لا شيء غير غبائي.

وقال المفتش بجفاء: هذا ما يبدو. إنك قلت للسيد سيروكولد أمام شهود إنك اكتشفت أنه أبوك، فهل هذا صحيح؟

- لا.

- مَن الذي وضع هذه الفكرة في رأسك؟ هل أوحى أحد بها إليك؟

- هذا أمر من الصعب تفسيره.

فنظر المفتش كوري إليه بتفكير ثم قال بصوت رقيق: حاول أن تفعل. إننا لا نريد أن نسبّب لك أية متاعب.

- حسناً، إنني قضيت طفولة بائسة تعسة، وكان الصبْية يسخرون مني لأني لم أكن أعرف لي أباً ويقولون لي إنني لقيط، وهو قول لا يبعد عن الحقيقة طبعاً، فلم أكن أرى أمّي إلا وهي ثملة، وكانت سيئة السمعة، وأظن أن أبي كان بحاراً أجنبياً. كان البيت قذراً دائماً وأشبه بالجحيم، وعندئذ رحت أفكّر وأقول لنفسي إن أبي ليس بحاراً بسيطاً وإنه رجل مهم، ورحت أتصوّر أموراً وأموراً وأخذت أقول لنفسي إنني لست ابن بحار عاديّ وإنما ابن رجل عظيم وإنني وريثه الشرعي. ثم انتقلت إلى مدرسة جديدة وحاولت التلميح مرة أو مرتين بأن أبي كان في الحقيقة قبطاناً في البحرية. وانتهى بي الأمر إلى أنني اعتقدت ذلك أنا نفسي ولم أعد أشعر بأي بؤس.

وسكت لحظة ثم استطرد قائلاً: وبعد ذلك تصوّرت أشياء أخرى، وكنت أنزل في بعض الفنادق فأروي قصصاً سخيفة فأقول إنني طيار مقاتل أو إنني أعمل في المخابرات السرّية، ورحت أخترع قصصاً كثيرة ولم أعد أعرف كيف أكفّ عن الكذب. لكنني لم أكن أقصد أن أحصل على أموال بهذه الطريقة، وإنما كنت أقصد أن أضفي على نفسي شيئاً من الأهمية. لم أكن أريد أن أكون كاذباً، وسيقول لك السيد سيروكولد والدكتور مافريك ذلك؛

فإنهما يعرفان عني كل شيء.

هز المفتش كوري رأسه؛ فقد اطّلع على ملفّ إدغر وبطاقة أحواله الشخصية. واستطرد إدغر يقول: وأنقذني السيد سيروكولد أخيراً وجاء بي هنا. قال لي إنه يحتاج إلى سكرتير لمساعدته، وقد ساعدته حقاً، ولكن الآخرين راحوا يسخرون مني.

- الآخرون؟ من تعني؟ السيدة سيروكولد؟

- لا، إنما أعني جينا؛ فقد كانت تعاملني أسوأ معاملة، وكذلك ستيفن ريستاريك، وكانت السيدة ستريت تزدريني لأنني لست سيداً محترماً، وكذلك فعلت معي الآنسة بيلفر. وماذا تكون هذه الأخيرة؟ إنها ليست أكثر من وصيفة مأجورة.

لاحظ المفتش كوري أن الانفعال تملّك الشاب فقال: ألم تجد منهم أي عطف أو ودّ؟

فصاح إدغر محتداً: نعم، ذلك لأنني لقيط. لو أنني كنت ابناً شرعياً لما أساؤوا معاملتي هكذا.

- ولهذا نسبت لنفسك أبوين شهيرين، أليس كذلك؟

احمرّ وجه إدغر وقال: يبدو أنني كنت لا أكفّ عن الكذب.

- وأخيراً قلت إن السيد سيروكولد هو أبوك، فلماذا؟

- لأنني ظننت أن ذلك قد يسكتهم إلى الأبد، فهو إذا كان هو أبي فإنهم لا يستطيعون أن يسيؤوا معاملتي فيما بعد.

- ولكنك اتهمته بأنه عدوّك وأنه يضطهدك.

فحكّ إدغر جبينه وقال: إنني أخطأت التصرف. توجد أوقات لا أحسن فيها التصرف ويضطرب فيها عقلي.

- وأخذت المسدّس من غرفة السيد هد.

فبدا الارتباك على إدغر وقال: حقاً؟ هل أخذته من هناك؟

- ألا تتذكر من أين حصلت عليه؟

فقال إدغر: لقد أردت استخدامه في تهديد السيد سيروكولد. كنت أقصد إخافته، وكان الأمر كلّه لهو أطفال.

فقال المفتش كوري بنفاد صبر: كيف حصلت على المسدس؟

- لقد قلت ذلك أنت نفسك، من غرفة والتر.

- هل تذكر ذلك الآن؟

- لا بدّ أنني أخذته من غرفته. لا يمكن أن أكون حصلت عليه بأية وسيلة أخرى، أليس كذلك؟

فقال المفتش كوري: لا أدري. ربما أعطاك أحد إياه.

فلزم إدغر الصمت وقد خلت عيناه من كل تعبير، فكرّر المفتش سؤاله قائلاً: أهذا ما حدث؟

فأجاب إدغر بحدّة قائلاً: لا أذكر؛ فقد كنت منفعلاً. لقد مشينا في الحديقة وأنا في حالة من الهياج، وظننت أن الناس يتجسّسون عليّ ويراقبونني، حتى تلك السيدة العجوز الظريفة ذات الشعر الأشيب. لا أستطيع أن أفهم كيف حدث ذلك لي. لا ريب أنني كنت مجنوناً! لا أذكر أين كنت ولا ماذا كنت أفعل شطراً من الوقت.

- ولكنك تذكر بالتأكيد من الذي قال لك إن السيد سيروكولد هو أبوك.

خلت عينا إدغر من كل تعبير للمرة الثانية وهو يقول بصوت حزين: لم يقُل لي أحد ذلك، وإنما هي فكرة طرأت على ذهني.

فتنهّد المفتش كوري. لم يكن راضياً، ولكنه رأى أنه لا يستطيع أن يظفر منه بأكثر من ذلك في الوقت الحاضر فقال: حسناً، توخّ الحذر في المستقبل.

- حسناً يا سيدي، سوف أفعل ذلك حقاً.

وغادر إدغر الغرفة في حين كان المفتش يهزّ رأسه ويقول: يا لهؤلاء الشبان المرضى.

فقال ليك: هل تظن أنه مجنون حقاً؟

- إنه أقل جنوناً مما كنت أتصوّر. إنه ضعيف العقل وكذاب، ولكنّ فيه شيئاً من السذاجة المحبوبة، وأعتقد أنه قابل للتأثير عليه.

- هل تظن أن أحداً حرّضه على أن يفعل ما فعل؟

- نعم. إن الآنسة ماربل كانت على حق في هذه النقطة. إنها امرأة ذكية، ولكني أتمنى أن أعرف من الذي حرّضه. إنه لن يعترف بذلك. لو استطعنا أن نعرف... تعالَ يا ليك، سنقوم بتمثيل الكيفية التي وقعت بها هذه الجريمة.

* * *

- هذا يوضّح كل شيء.

كان المفتش كوري جالساً أمام البيانو في حين جلس الرقيب ليك في مقعد بجوار النافذة التي تطلّ على البحيرة. واستطرد كوري يقول: إذا أوليت ظهري إلى النصف هكذا فوق مقعد البيانو ناظراً

إلى غرفة المكتب فإنني لا أستطيع أن أراك.

فنهض الرقيب ليك بهدوء ومضى إلى باب المكتبة، وقال المفتش: كل هذا الجانب من الغرفة كان مظلماً، وكانت الأنوار الوحيدة المضاءة هي التي بجوار باب غرفة المكتب. لا يا ليك، إنني لم أرَك وأنت تخرج، وإذا ما وجدت نفسك في المكتبة فإنك تستطيع حينئذ أن تخرج من الباب المؤدي إلى الممرّ، ولن يتطلب الأمر أكثر من دقيقتين لكي تركض إلى غرفة غولبراندسن وتقتله ثم تعود من خلال باب المكتبة إلى مقعدك بجوار النافذة.

– والنساء اللاتي كنّ يجلسن بجوار الموقد كنّ يولين ظهورهن لك. كانت السيدة سيروكولد جالسة هنا، على يمين الموقد بجوار باب غرفة المكتب، وقد أجمع الجميع على أنها لم تتحرك، وكانت هي الوحيدة التي يمكن رؤيتها في هذا المكان. وكانت الآنسة ماربل جالسة هنا، وكانت تنظر إلى غرفة المكتب، وكانت السيدة ستريت جالسة على يسار الموقد بجوار الباب المؤدي إلى الممرّ، وهو مكان مظلم جداً، وكان في مقدورها أن تخرج وتعود. نعم، هذا ممكن.

فضحك كوري فجأة وقال: وفي مقدوري أن أخرج أنا أيضاً.

ونهض واقفاً ومشي بمحاذاة الحائط وتسلل من الباب واستطرد قائلاً: والشخص الوحيد الذي كان يمكنه أن يرى أنني لم أكن في مكاني هو جينا، وأنت تذكر ما قالته، فقد قالت: "كان ستيفن جالساً أمام البيانو وقد بدأ في العزف، ولا أدري أين كان بعد ذلك".

– إذن فأنت تظن أن ستيفن هو القاتل؟

فقال كوري: لا أعرف من هو القاتل. إنه ليس إدغر لاوسن ولا السيدة سيروكولد ولا الآنسة جين ماربل، أما عن الآخرين...

وتنهّد ثم استطرد قائلاً: من المحتمل أنه ذلك الأمريكي. إن أداة الأمان الكهربائية قد احترقت في الوقت المناسب وبدا أنها مصادفة، ومع ذلك فإنني أميل إلى هذا الشاب، ثم إن أداة الأمان ليست دليلاً.

ونهض ثم مضى إلى مقعد البيانو ورفع غطاءه وقال: هذه هي النوتة الموسيقية الكلاسيكية. معزوفة «لارغو» لهاندل، وتدريبات للموسيقار تشيرني، وهذه مقطوعة «إنني أعرف حديقة رائعة» التي كنت أسمعها عندما كنت صبياً. كل هذا يعود بنا إلى عصر غولبراندسن.

وأمسك عن الكلام فجأة والصفحات الصفراء للنوتات الموسيقية في يده، فقد كان على نوتة «مقدمات شوبان» مسدس آليّ صغير، فصاح الرقيب ليك بابتهاج قائلاً: ستيفن ريستاريك.

ولكن المفتش كوري أسرع يقول: لا تقفز إلى النتائج سريعاً هكذا. أراهنك أن هذا هو نفس ما يريدون أن نعتقده.

* * *

# الفصل الخامس عشر

صعدت الآنسة ماربل الدرَج وطرقت باب السيدة سيروكولد قائلة: هل أستطيع أن أدخل يا كاري لويز؟

- طبعاً يا عزيزتي.

كانت كاري لويز جالسة أمام طاولة الزينة تمشط شعرها الفضّي، ونظرت من فوق كتفها وقالت: هل يطلبني رجال الشرطة؟ سأكون على استعداد بعد دقائق قليلة.

- هل أنت على ما يرام؟

- نعم، بالطبع. لقد أصرّت جولي على أن أتناول طعام الإفطار وأنا في الفراش، وقد جاءتني به جينا وهي تمشي على أطراف أصابعها كما لو كنت على وشك الموت. لا أظن أن أحداً يدرك أن الأشخاص المسنّين يحتملون أكثر من غيرهم حادثاً مفجعاً كموت كريستيان غولبراندسن لأن الأيام حنّكتهم بحيث أصبحوا يعرفون أن أي شيء يمكن أن يقع وأن كل ما يقع في هذه الدنيا لا يستحقّ كل تلك الأهمية.

فقالت الآنسة ماربل بغير اقتناع: ربما.

- ألا تشعرين بنفس هذا الشعور يا جين؟

فأجابت الآنسة ماربل ببطء قائلة: إن كريستيان قد قُتل.

- نعم، إنني أفهم ما تقصدين. هل تظنين أن هذا أمر هام؟

- ألا تظنين أنت ذلك؟

فقالت كاري لويز ببساطة: لم يعد ذلك بالأمر الذي يهمّ كريستيان، وإنما أصبح يهمّ الشخص الذي قتله.

- ألديك فكرة من يكون؟

فهزّت السيدة سيروكولد رأسها بشيء من الحيرة وقالت: لا، ليست لدي أية فكرة، بل إنني لا أستطيع حتى أن أفكر في السبب. لا ريب أن لمقتله صلة بما حداه إلى المجيء هنا في الشهر الماضي، فأنا أعتقد أنه ما كان ليأتي ثانية لولا أن لديه سبباً خطيراً، ومهما يكن من أمر هذا السبب فلا ريب أنه كان موجوداً وقتئذ، وقد فكرت كثيراً ولكن محاولاتي راحت عبثاً؛ فإنني لا أستطيع أن أتذكر شيئاً غير عاديّ.

- من كان موجوداً في البيت؟

- نفس الأشخاص الموجودين الآن. نعم، لقد كان أليكس قد أقبل من لندن في ذلك الوقت، وقد كانت روث هنا.

- روث؟

- كانت قد أقبلت في زيارتها العادية الخاطفة.

وعادت الآنسة ماربل تفكر بروث للمرة الثانية. ونشط ذهنها؛ كريستيان غولبراندسن وروث؟ لقد غادرت روث ستوني غيتس وشعور من الخوف والقلق يتملّكها دون أن تدري السبب، وكان كل ما قالته هو أن شيئاً غير عادي يجري هناك. وتملك كريستيان

غولبراندسن نفس الشعور كذلك، ولكن هذا الأخير عرف أو شكّ في شيء لم تعرفه روث وسمعته هي الأخرى وعجزت عن تقدير معناه الحقيقي.

تمنّت الآنسة ماربل أن تعرف ذلك، وكانت تحسّ إحساساً غامضاً أن الأمر لا دخل لإدغر به ما دامت روث لم تذكر اسمه.

تنهدت الآنسة ماربل بعد هذا التفكير، وقالت كاري لويز: إنكم جميعاً تخفون عني أشياء.

جفلت الآنسة ماربل قليلاً حين سمعت ذلك الصوت الهادئ وقالت: لماذا تقولين هذا؟

- لأنكم، فيما عدا جولي، تخفون عني شيئاً. حتى لويس جاء وأنا أتناول طعام الإطار وتصرف تصرفاً غريباً جداً فشرب من قهوتي، بل إنه أكل قطعة من الخبز المحمص والمربى، وهذا أمر غير معقول منه لأنه يشرب الشاي دائماً ولا يحب المربى، ولهذا لا بدّ أنه كان يفكر في شيء آخر. وأظن أنه نسى أن يتناول إفطاره؛ فهو ينسى أشياء كثيرة كالطعام، ثم إنه يبدو قلقاً منزعجاً.

بدأت الآنسة ماربل تقول: إن جريمة القتل...

ولكن كاري لويز قاطعتها وقالت بهدوء: إنني أعرف. إنه شيء فظيع! لم أشترك قط في جريمة قتل قبل الآن، ولكن أنت يا جين، هل سبق أن اشتركت في جرائم قتل؟

فاعترفت الآنسة ماربل قائلة: نعم.

- هكذا حدثتني روث.

فسألتها الآنسة ماربل بفضول قائلة: هل قالت لك ذلك في آخر زيارة لها؟

- لا، ليس في تلك المرة. إنني لا أتذكر.

تكلّمت كاري لويز بغموض وهي تكاد تكون شاردة الذهن، فسألتها الآنسة ماربل قائلة: فيمَ تفكرين يا كاري لويز؟

وابتسمت السيدة سيروكولد وبدا كأنها عادت من رحلة طويلة وقالت: كنت أفكر في جينا وفيما قلت لي عن ستيفن ريستاريك. إن جينا فتاة غالية، وهي تحبّ والي حقاً، وأنا واثقة من ذلك.

لم تنطق الآنسة ماربل، وعادت السيدة سيروكولد تقول مدافعة: إن الفتيات أمثال جينا يَتُقنَ إلى الاستمتاع بأوقاتهن، فهنّ في مقتبل العمر ويروقهن إظهار جاذبيتهن، وهذا أمر طبيعي. أنا أعرف أن والتر ليس الزوج الذي كنا نتمناه لجينا، وبالطبع لم يكن ينبغي أن تلتقي به مطلقاً، ولكنها التقت به ووقعت في هواه، والمفروض أنها تعرف ما يوافقها خيراً منا.

فقالت الآنسة ماربل: هذا جائز.

- ولكن المهم هو أن تكون جينا سعيدة.

فنظرت الآنسة ماربل إلى صديقتها بفضول وقالت: أظن أن المهم هو أن يكون الجميع سعداء.

- أجل، ولكن جينا حالة خاصة جداً، فعندما تبنّينا أمها بيبا أحسسنا أننا نقوم بتجرِبة لا بدّ من أن تنجح، فإن أمّ بيبا...

أمسكت كاري لويز فقالت الآنسة ماربل: من كانت أمّ بيبا؟

قالت كاري لويز: لقد اتفقت أنا وإريك على أن لا نتكلّم عنها أبداً. إن بيبا نفسها لم تعرف ذلك.

فقالت الآنسة ماربل: وددت لو عرفت.

فنظرت السيدة سيروكولد إليها بشكّ فقالت الآنسة ماربل: ليس هذا فضولاً، ولكنني أريد أن أعرف، وأستطيع أن أحتفظ بالسرّ كما تعلمين.

فقالت كاري لويز وهي تبتسم: إنك احتفظت بأسرار كثيرة يا جين. إن الدكتور غالبرايث يعرف ذلك، ولكن لا أحد غيره يعرف. إن أمّ بيبا كانت كاثرين إيلزويرث.

- إيلزويرث؟ أهي تلك المرأة التي دسّت السمّ لزوجها؟ لقد كان قضية مشهورة.

- نعم.

- هل أُعدمت؟

- نعم، ولكن ليس من المؤكد أنها هي التي قتلت زوجها؛ فقد كان الزوج معتاداً على تناول الزرنيخ، وكان هذا أمراً غير مفهوم في ذلك الوقت.

- لقد كانت تنقع الورق في الزرنيخ لقتل الذباب.

- كانت شهادة الخادمة كما نعرف جميعاً شهادة قائمة على الحقد.

- وكانت بيبا ابنتها؟

- نعم. وقد صمّمنا أنا وإريك على أن نعطي تلك الطفلة بداية جديدة في الحياة بالحبّ والرعاية وكل ما تحتاج إليه الطفلة، وقد نجحنا. كانت بيبا هي بيبا، أجمل وأسعد فتاة في العالم.

لزمت الآنسة ماربل الصمت لحظة، وتحوّلت كاري لويز عن طاولة الزينة وقالت: إنني على استعداد الآن. هل لك أن تطلبي

من المفتش أن يصعد إلى غرفة الاستقبال الخاصة بي؟ أنا واثقة أنه لن يغضب.

* * *

لم يغضب المفتش كوري، والواقع أنه رحّب بالفكرة لأن الفرصة قد عرضت له لكي يرى السيدة سيروكولد في الإطار الخاص بها. وبينما هو واقف يردّد البصر حوله بفضول رأى أن الغرفة تختلف عما رسمه في ذهنه عن غرفة نوم امرأة ثرية، فقد كان الفراش من الطراز القديم والمقاعد غير المريحة يرجع عهدها إلى عصر الملكة فيكتوريا، والرياش قديمة باهتة وإن كانت من نوع ثمين نفيس. كان الغرفة صغيرة ولكنها كانت مع ذلك أكبر بكثير من غرف الجلوس في المنازل الحديثة، وكانت تبدو مزدحمة بمناضدها وتحفها وصورها.

نظر كوري إلى صورة فوتوغرافية لفتاتين، إحداهما شقراء جميلة والأخرى دميمة تنظر إلى الدنيا نظرة متجهّمة، وكان قد رأى نفس النظرة صباح ذلك اليوم بالذات. وكان مكتوباً تحت الصورة هذان الاسمان: «بيبا وملدريد». وكانت توجد صورة فوتوغرافية لإريك غولبراندسن معلّقة على الحائط في إطار من خشب الأبنوس الثمين. وكان كوري قد وقعت عيناه على صورة لرجل وسيم ذي عينين مجعدتين بسبب الضحك افترض أنها صورة جون ريستاريك عندما فتح الباب ودخلت السيدة سيروكولد.

كانت ترتدي ثوباً أسود فضفاضاً، وكان وجهها الدقيق الوردي اللون والأبيض يبدو صغيراً بصورة غريبة تحت تاج من الشعر الفضّي، وكانت تبدو هشة ضعيفة بحيث تأثر المفتش كوري وأدرك في تلك اللحظة بالذات ما خفي عليه في الصباح. لقد أدرك

لماذا ينزعج الجميع ويحرصون على تجنيبها كل ما يستطيعون تجنيبها إياه، ومع ذلك فقد رأى أنها ليست من ذلك النوع الذي يثير الضجة حول نفسه.

ألقت إليه بالتحية وسألته أن يجلس وأخذت مقعداً بجواره، وبدا كأنه هو الذي يريد أن يطمئنها على عكس ما يتطلب الموقف في مثل هذه الحالة. وبدأ يلقي أسئلته وراحت تردّ عليها على الفور وبلا تردّد، وحدثته عن العطل الذي أصاب النور وعن الطلق الناري الذي سمعوه.

- ألم يبدُ لك أن هذا الطلق قد انطلق في الداخل؟

- نعم، بل خطر لي أنه انطلق في الخارج، وظننت أنه ربما كان فرقعة صادرة من محرك إحدى السيارات.

- هل لاحظت أن أحداً ما قد غادر البهو في أثناء الشجار الذي دار بين زوجك وذلك الشاب لاوسن في غرفة المكتبة؟

- كان والي قد غادره لإصلاح النور، ومضت الآنسة بيلفر بعده بقليل لتبحث عن شيء لا أستطيع أن أتذكره الآن.

- من غيرهما غادر البهو؟

- لا أحد بقدر ما أعرف.

- وهل كنت ستلحظين لو أن أحداً خرج؟

فكرت لحظة ثم قالت: لا، ما كنت لألحظ ذلك.

- كنت مأخوذة إذن بما يقع في الغرفة؟

- نعم.

- وكنت شديدة القلق مما قد يقع فيها؟

- لا، لا أقول هذا؛ فلم أكن أظن أن شيئاً قد يقع حقاً.

- ولكن لاوسن كان معه مسدّس وكان يهدّد به زوجك.

- أجل، ولكنه لم يكن يعني ما يقول.

أحسّ المفتش كوري بشيء من السخط إزاء هذا القول. إنها تختلف عن باقي القوم إذن. وقال: ولكن ما كان في مقدورك أن تتأكدي من ذلك يا سيدة سيروكولد.

ابتسمت كاري لويز وقالت: لعل المسدّس انطلق بلا قصد.

ومرة أخرى أحس المفتش بالسخط وقال: لم ينطلق دون قصد؛ فقد أطلق لاوسن النار مرتين، وأطلقه على زوجك، وقد أخطأته الرصاصتان.

جفلت كاري لويز ولكنها قالت بلهجة الجدّ: لا أستطيع حقاً أن أصدّق هذا.

وأسرعت تقول لكي تمنع اعتراض المفتش: نعم، يجب أن أصدّق ما دمت أنت تقول ذلك، ولكنني ما زلت أشعر بأنه يوجد تفسير بسيط على الرغم من ذلك. لعل الدكتور مافريك يستطيع أن يفسّر لي هذا الأمر.

فقال كوري: أجل، سيفسّر لك الدكتور مافريك هذا تماماً، فإنه يستطيع أن يفسّر أي شيء، وأنا واثق من هذا.

قالت السيدة سيروكولد فجأة: أعرف أن كل ما نفعله هنا يبدو لك سخيفاً وتافهاً، والنفسانيون يمكن أن يثيروا السخط أحياناً، ولكننا نصل إلى نتائج. إننا نفشل في بعض الأوقات ولكننا ننجح كذلك، وإن ما نحاول القيام به يستحقّ المحاولة، وعلى الرغم من

أنكّ لا تصدّق ذلك فإن إدغر مخلص لزوجي حقاً، وقد أثار هذه القصة السخيفة التي تقول إن لويس هو أبوه لأنه يريد أن يكون له أب مثل لويس. لكن الذي لم أستطع أن أفهمه هو لماذا احتدّ وهاج هكذا. لقد كانت حالته قد تحسّنت كثيراً وكاد أن يصبح طبيعياً تماماً، والحق أنه بدا دائماً طبيعياً.

لم يوافقها المفتش على هذه النقطة وقال: إن المسدس الذي كان مع إدغر لاوسن أخذه من غرفة والتر هد. والآن، هل سبق أن رأيت ذلك المسدس من قبل؟

وبسط لها راحة يده وفيها مسدّس أسود صغير آليّ نظرت إليه كاري لويز وقالت: لا، لا أظن ذلك.

– لقد عثرت عليه في مقعد البيانو، وقد أُطلق حديثاً. ولم نجد متسعاً من الوقت لكي نتحرى أمره، ولكني أستطيع أن أقول بكل تأكيد تقريباً إنه هو السلاح الذي استُخدم في قتل السيد غولبراندسن.

فعبست وقالت: أتقول إنك وجدته في مقعد البيانو؟

– تحت بعض النوتات الموسيقية، وهي نوتات لم تمتدّ إليها يد منذ سنوات.

– لقد خبأه بعضهم إذن.

– نعم. هل تتذكرين من الذي كان يجلس على هذا المقعد أمس؟

– ستيفن ريستاريك.

– هل كان يعزف؟

– نعم. كان يعزف بداية لحن غريب حزين بعض الشيء.

- ومتى توقف يا سيدة سيروكولد؟

- متى توقف؟ لا أدري.

- ولكنه توقف. إنه لم يستمرّ في العزف في أثناء الشجار.

- أجل. لقد توقفت الموسيقى فجأة.

- هل غادر مكانه؟

- لا أدري. ليست لدي أية فكرة عما فعل حتى اللحظة التي أقبل فيها إلى باب المكتب ليجرّب المفاتيح.

- هل تظنين أن لدى ستيفن ريستاريك دافعاً ما يدفعه إلى أن يقتل السيد غولبراندسن؟

- لا.

وأردفت تقول بتفكير: لا أعتقد أنه قتله.

- لعل غولبراندسن اكتشف شيئاً يضرّ به.

- هذا يبدو لي بعيد الاحتمال.

* * *

نزلت كاري لويز الدرَج الكبير فأسرع لملاقاتها ثلاثة أشخاص من نواحٍ مختلفة، جاءت جينا من الدهليز والآنسة ماربل من المكتبة وجولييت بيلفر من البهو الكبير. وكانت جينا أول من تكلّم فقالت بانفعال: كيف حالك يا حبيبتي؟ ألم يعذّبوك أو يعاملوك معاملة سيئة؟

- بالطبع لا يا جينا. ما هذه الأفكار الغريبة؟ لقد كان المفتش كوري ظريفاً جداً، وقد أبدى احتراماً كبيراً.

وقالت الآنسة بيلفر: هذا أقلّ ما يجب. والآن يا كاري، إنني أحضرت لك خطاباتك كلّها، وقد جاءك طرد، وكنت صاعدة به إليك.

فقالت كاري لويز: أحضريها كلّها في المكتبة.

ومضى الأربعة إلى غرفة المكتبة، وجلست كاري لويز وبدأت تفضّ الرسائل. كان أمامها نحو عشرين أو ثلاثين رسالة، وكانت تفضها ثم تعيدها إلى الآنسة بيلفر فتبوّبها هذه إلى ثلاثة أقسام وهي تقول مخاطبة الآنسة ماربل: إننا نوزعها إلى ثلاثة أكوام، واحد يضمّ الرسائل التي يرسلها الأهل إلى الفتية، وآخر يضمّ طلبات المعونة والمساعدات، والثالث يضمّ الخطابات الخاصة، وتعدّ كارا الردود التي يجب أن أردّ بها عليها.

وبعد أن فرغوا من الرسائل حوّلت السيدة سيروكولد اهتمامها إلى الطرد فقطعت الخيوط بالمقصّ وأزالت ورق التغليف ولم تلبث أن ظهرت علبة شوكولاتة فخمة ولذيذة مربوطة بشريط ذهبيّ اللون، فقالت السيدة سيروكولد وهي تبتسم: لا ريب أن بعضهم خطر له أن عيد ميلادي قد أقبل.

وقطعت الشريط وفتحت العلبة، وكان بداخلها بطاقة صغيرة أخذتها كاري لويز ونظرت إليها مشدوهة وقرأت جملة مكتوبة كان نصّها: «مع حبّي، أليكس».

فقالت كاري لويز باستغراب: ما أغرب أمره! يرسل علبة شوكولاتة بالبريد في نفس اليوم الذي أتى فيه هنا؟

وتملّك الآنسة ماربل شعور بالقلق وأسرعت تقول: لحظة واحدة يا كاري لويز، لا تأكلي منها شيئاً.

فقالت السيدة سيروكولد بشيء من الدهشة: كنت أنوي أن أقدّمها للجميع!

- لا تفعلي إذن، انتظري. هل أليكس موجود في البيت يا جينا؟ هل تعرفين أين هو؟

فأجابت جينا قائلة: أظن أنه كان في البهو منذ لحظة.

ومضت إلى الباب ففتحته ونادته، فأقبل أليكس بعد لحظة وقال: مادونا حبيبتي، إذن فقد استيقظت. كيف حالك؟

وأسرع إلى السيدة سيروكولد وطبع على وجنتيها قبلتين رقيقتين، وقالت له الآنسة ماربل: تريد كاري لويز أن تشكرك على الشوكولاتة.

فبدت الدهشة على أليكس وقال: أيّ شوكولاتة؟

فقالت كاري: هذه.

- ولكني لم أرسل إليك أي شوكولاتة يا عزيزتي!

فقالت الآنسة بيلفر: كانت بطاقتك في العلبة.

فتفرّس أليكس في العلبة وقال: هذا صحيح... هذا غريب جداً؛ فأنا لم أرسل شيئاً قط!

وقالت الآنسة بيلفر: هذا أمر غريب حقاً.

وقالت جينا وهي تنظر إلى العلبة: إنها تبدو ممتازة. انظري يا جولي، إن القِطَع في وسط العلبة محشوّة بعصير الكرز، وهو النوع الذي تحبينه.

أخذت الآنسة ماربل العلبة منها برفق وحزم، ودون أن تنطق

بكلمة خرجت من الغرفة ومضت تبحث عن السيد سيروكولد. ولم تجده إلا بعد مدة طويلة، فقد كان مع الدكتور مافريك في غرفة هذا الأخير.

وضعت العلبة أمامه على المنضدة، وأصغى إلى كلماتها الوجيزة ثم قست نظراته على الفور واكتست ملامحه بالصرامة، وبعناية وحرص كبيرين أخرج قطع الشوكولاتة قطعة قطعة وفحصها هو والدكتور مافريك.

– أظن أن هذه القطع التي وضعتها جانباً قد امتدّت إليها يد العبث، فإن طبقة الشوكولاتة التي عليها غير ملساء وغير مستقيمة كما في القطع الأخرى. يجب أن نقوم بتحليلها على الفور.

وقالت الآنسة بيلفر: ولكن هذا أمر لا يمكن تصديقه؛ لقد كان في الإمكان أن يتسمّم كل من في البيت!

فأومأ لويس موافقاً، وكان وجهه لا يزال ممتقعاً وصارماً، وقال: أجل. إن في هذا العمل قسوة واستخفافاً بالحياة. أظن أن كل هذه الشوكولاتة محشوّة بالكرز، وهو النوع الذي تؤْثره كاري لويز. إن مَن أقدم على هذا العمل على عِلم بأدقّ التفصيلات.

وقالت الآنسة ماربل بهدوء: إذا كان الأمر كما تشكّ، وإذا كان في هذه الشوكولاتة سمّ فإنني أظن أنه يجب أن تعرف كاري لويز ما يدور وراءها. يجب أن تكون على حذر.

فقال لويس بحزن وأسى: يجب أن تعرف أنه يوجد من يريد قتلها، وأظن أنها لن تصدّق هذا الأمر بسهولة.

* * *

# الفصل السادس عشر

- اسمعي يا سيدتي. هل صحيح أن وغداً يدسّ السمّ؟

طوّحت جينا بشعرها عن جبينها إلى الخلف ووثبت واقفة عندما سمعت الهمس. كان الطلاء يصبغ خدها ويلوّث بنطالها، فقد كانت هي والنخبة المختارة من مساعديها مشغولين بطلاء منظر النيل عند الغروب لمسرحيتهم المقبلة.

كان الذي ألقى هذا السؤال واحداً من هؤلاء المساعدين يُدعى إيرني، وهو الشاب الذي أعطاها دروساً في كيفية اغتصاب الأقفال، وكانت أصابع إيرني ماهرة كذلك في أعمال النجارة، وكان واحداً من أشدّ المساعدين المسرحيين تحمّساً. وكانت عيناه تبرقان بابتهاج مسبق، فسألته جينا ساخطة: من أين أتيت بهذه الفكرة؟

فأطبق إيرني إحدى عينيه وقال: هذا حديث يدور في غرف النوم، ولكن اسمعي، إن من يدسّ السمّ ليس واحداً منا، فليس منا من يقدم على مثل هذا العمل أبداً أو حتى يفكر في إلحاق الأذى بالسيدة سيروكولد، ولا حتى جينكنز. لا ريب أنها تلك الساحرة العجوز؛ فإنها لا تتردّد عن شيء.

- لا تتحدث هكذا عن الآنسة بيلفر.

– آسف، إن الكلمات أفلتت مني. ولكن أي نوع من السموم هو؟ الإستركنين؟ إنه يتسبب في موت فظيع بطيء.

– لا أدري عمَّ تتكلّم يا إيرني.

فغمز إيرني بعينه للمرة الثانية وقال: بل تعرفين جيداً عمّ أتكلّم. إنهم يقولون إن السيد أليكس أحضرها معه من لندن، ولكن هذه فرية؛ فإن السيد أليكس لا يقدم على مثل هذا العمل. أليس كذلك؟

فقالت جينا: بالطبع لا يمكن أن يفعل.

– إن مثل هذا العمل خليق بالسيد بومغارتن؛ فإن له سحنة القتلة.

– هلا أخذت هذا الزيت بعيداً عن طريقي؟

فأطاعها إيرني وهو يقول: ما الذي يحدث هنا؟ يقتلون غولبراندسن العجوز أمس ويدسّون السمّ للسيدة سيروكولد اليوم. هل تظنين أن نفس الشخص هو الذي أقدم على العملين؟ ما رأيك إذا قلت لك إنني أعرف من هو القاتل؟

– لا يمكن أن تعرف شيئاً كهذا.

– حقاً؟ وإذا قلت لك إنني كنت في الحديقة أمس وإنني رأيت شيئاً ما؟

– وكيف يتسنى لك الخروج؟ إن باب الكلّية يُقفل بالمفتاح بعد المناداة على جميع الأسماء في الساعة السابعة.

– أستطيع الخروج في أي وقت أشاء؛ فإن الأقفال لا تعوقني. إنني أخرج إلى الحديقة كلّما أردت.

فقالت جينا: أنا لا أحبّ الكذب يا إيرني.

- ومن الذي يكذب؟

- أنت. إنك تكذب وتتباهى بأعمال لا يمكن أن تقدم عليها أبداً.

- هذا رأيك أنت، ولكن انتظري إلى أن يأتي رجال الشرطة ويستجوبوني عما رأيت الليلة.

- حسناً، ماذا رأيت؟

- أتريدين حقاً أن تعرفي؟

فاندفعت جينا نحوه ولكنه أسرع فارتدّ إلى الوراء. وأقبل ستيفن في تلك اللحظة من الناحية الأخرى للمسرح، ولحق بجينا وتناقشا في بعض التفصيلات الفنية ثم سارا جنباً إلى جنب صوب البيت. وقالت جينا: يبدو أن الجميع يعرفون كل شيء عن جدّتي والشوكولاتة... أعني الفتية. كيف عرفوا هذا الأمر؟

- ما أسرع ما تسري الإشاعات.

- ويعرفون أن بطاقات أليكس كانت في العلبة كذلك. لقد كان من الغباء وضع البطاقة في نفس اليوم الذي أتى هو فيه.

- أجل، ولكن من الذي كان يعرف أنه آتٍ اليوم؟ إنه لم ينوِ القدوم إلا في آخر لحظة، ولهذا أرسل برقية بقدومه، وكانت العلبة قد أُرسلت بالبريد قبل ذلك، ولو لم يأتِ لكان وجود بطاقته في العلبة فكرة طيبة لأنه سبق أن أرسل شوكولاتة إلى كارولين مراراً. وإن الذي لا أستطيع أن أفهمه هو...

فقاطعته جينا قائلة: لماذا يريد بعضهم أن يسمّم جدّتي؟ إن

هذا أمر لا يمكن تصديقه؛ فهي مخلوقة محبوبة حقاً وكل شخص هنا يحبها كل الحب.

لم يُجِب ستيفن، فنظرت جينا إليه بحدة وقالت: أعرف فيمَ تفكّر يا ستيفن.

- حقاً؟

- أنت تظنّ أن والي لا يحبها، ولكن والي لا يخطر له أن يدسّ السمّ لأحد أبداً. إنها فكرة مضحكة.

- يا للزوجة المخلصة!

- دعك من هذه اللهجة الساخرة.

- لم أقصد السخرية، فأنا أظن أنك مخلصة فعلاً، وهذا ما يعجبني فيك. ولكن لا يمكن أن يدوم هذا يا عزيزتي جينا.

- ماذا تعني يا ستيف؟

- أنت تعرفين جيداً ما أعنيه، فأنت ووالي غير منسجمَين ولا يمكن لزواجكما أن يستمرّ، وهو نفسه يعرف ذلك. سيقع الانفصال حتماً، وسيكون كل منكما سعيداً عندئذ.

فقالت جينا: لا تكن غبياً.

فضحك ستيفن وقال: لا أظنك تريدين أن تقولي إن أحدكما يناسب الآخر وإن والي سعيد هنا؟

- لا أدري ماذا به. إنه عَبوس دائماً ولا يكاد ينطق. إنني لا أعرف ماذا يجب أن أفعل من أجله. لماذا لا يستمتع بوقته هنا؟ طالما استمتعنا معاً وكان كل شيء يبدو ممتعاً، أما الآن فقد تغير وأصبح شخصاً آخر. لماذا يتغير الناس هكذا؟ ثم أسرعت تقول

مسترسلة: هل تظن أن إيرني يكذب؟ إنه يدّعي أنه كان يتمشى في الحديقة وسط الضباب أمس، ويقول إنه يستطيع أن يذكر كل شيء عن مقتل العم غولبراندسن. هل تظن أنه صادق؟

- صادق؟! بالطبع لا. إنك تعرفين أنه يحب أن يتباهى، وإنه يقول أي شيء ليضفي على نفسه الأهمية.

- أعرف ذلك، ولكنني أتساءل.

ومشيا جنباً إلى جنب دون أن ينطق أحدهما بكلمة أخرى.

* * *

كانت الشمس الغاربة تضيء الواجهة الغربية للبيت، ونظر المفتش كوري نحو تلك الواجهة وقال: أهذا هو المكان الذي أوقفت فيه سيارتك مساء أمس؟

ارتدّ أليكس ريستاريك خطوة إلى الوراء وفكّر هنيهة ثم قال: تقريباً. من الصعب أن أحدّد لك المكان بدقة بسبب الضباب. نعم، إنني توقفت في هذا المكان تقريباً.

وراح المفتش كوري يردّد البصر كما لو كان يحاول أن يقيس المسافة بينه وبين البيت. كان الممرّ المفروش بالحصى يمتدّ بانحناءة خفيفة، وفي المنحنى كانت الواجهة الغربية للبيت تظهر من خلال صفّ من الأشجار الضخمة، كما تظهر الشرفة الكبيرة بسورها الخشبي والدرَج المؤدي إلى الحديقة، ويمتدّ الممرّ بعد المنحنى خلال حزام من الأشجار حتى البحيرة وينتهي عند الناحية الشرقية للبيت. وقال المفتش: دودغيت.

وكان الشرطي دودغيت واقفاً على أهبة الاستعداد، فما إن

سمع اسمه حتى بدأ العمل فاندفع في الممرّ بشيء من الانحراف نحو البيت وبلغ الشرفة ودخل البيت من الباب الجانبي، وبعد لحظات قلائل تحركت ستائر إحدى النوافذ بعنف ثم ظهر الشرطي دودغيت من جديد خارج باب الحديقة وعاد ركضاً ليلحق بهم وهو يلهث كالمحرك البخاري. وقال المفتش كوري وهو ينظر إلى ساعته وكان يمسكها في يده: دقيقتان واثنتان وأربعون ثانية.

وكانت لهجته تدلّ على الرضا التام، وقال أليكس: إنني لست سريعاً في الجري مثله، ولكنني أظن أنك كنت تقوم بتوقيت حركاتي المفترضة، أليس كذلك؟

- إنني ألاحظ فقط أنه كان في مقدورك ارتكاب جريمة القتل، وهذا كل شيء يا سيد ريستاريك. إنني لم أتهم أحداً، على الأقل حتى الآن.

نظر أليكس ريستاريك إلى الشرطي دودغيت وكان لا يزال يلهث، وقال له برفق: إنني لا أستطيع الجري أسرع منك، ولكنني أعتقد أنني أكثر منك مراناً.

قال دودغيت: لأنني أُصبت بنزلة شعبية في الشتاء الماضي.

وتحول أليكس إلى المفتش وقال: لنتكلّم جدّياً. على الرغم من محاولتك إزعاجي ومضايقتي بتجربتك هذه ترقباً لما قد يحدث لديّ من ردّ الفعل فيجب أن نتذكّر أننا معشر الممثّلين قوم حسّاسون.

واتخذ صوته نبرة ساخرة وهو يسترسل قائلاً: فإنه لا يمكنك أن تعتقد أن لي شأناً في هذه الجريمة، وإنني بالكاد أرسلت علبة من الشوكولاتة المسمّمة إلى السيدة سيروكولد وفيها بطاقتي.

- لعل هذا هو ما يراد منا أن نعتقده، وهو ما يُعرف باسم الخداع المزدوج.

- يا إلهي، ما أشدّ مكرك ودهائك! وبهذه المناسبة، هل كانت الشوكولاتة مسممة حقاً؟

- كانت القطع الستّ التي تحتوي على عصير الكرز مسمّمة بسمّ الأكونيتين.

- إنه ليس من السموم التي أفضّلها أيها المفتش، فأنا شخصياً أميل إلى سمّ الكورار.

- إن سم الكورار يولج في الدم يا سيد ريستاريك وليس في المعدة.

قال أليكس بإعجاب: إنكم تعرفون كل شيء أيها الشرطة.

رمى المفتش كوري الشاب بنظرة جانبية ولاحظ الأذنين الدقيقتين والسحنة التي تشبه سحنة المغول والعينين اللتين تبرقان بالخبث والسخرية. كان من الصعب أن يعرف فيمَ يفكر أليكس ريستاريك، فقد كان يبدو أشدّ ذكاء من أخيه، وإذا كان قد قتل كريستيان غولبراندسن فإنه يكون قاتلاً مُرضياً، ولكن المفتش كوري لم يكن مقتنعاً بأنه هو القاتل.

وكان الشرطي دودغيت قد استردّ أنفاسه فقال: إنني حركت الستائر كما قلت لي ثم عددت من واحد إلى ثلاثين، وقد لاحظت أن حلقة بإحدى الستائر ممزقة، وهذا يعني أنه توجد ثغرة ينفذ منها نور الغرفة إلى الخارج.

فقال المفتش كوري يخاطب أليكس: هل رأيت بصيصاً من النور يتسلل إلى الخارج من هذه النافذة أمس؟

- لم أستطع رؤية البيت على الإطلاق بسبب الضباب، وقد قلت لك ذلك من قبل.

- إن درجة الضباب تتفاوت، فتارة يكون خفيفاً في مكان ما ثم لا يلبث أن يزداد كثافة.

- كان كثيفاً طَوال الوقت بحيث لم أستطع رؤية البيت أو الواجهة الأمامية منه، أما مبنى التمرينات الرياضية وهو أقرب من البيت فقد بدا من خلال الضباب بغموض ولاح كما لو كان مستودعاً من مستودعات الجمرك، وكما قلت لك فإنني كنت مشغول الذهن بإخراج مسرحية «بيت الكلس» و...

فقاطعه المفتش قائلاً: إنك قلت لي ذلك.

- وقد اعتدت أن أنظر إلى الأشياء من الناحية المسرحية أكثر منها من الناحية الواقعية.

- هذا جائز، ومع ذلك فإن الديكور المسرحي شيء واقعي هو الآخر، أليس كذلك يا سيد ريستاريك؟

- لا أدري ما الذي تعنيه بالضبط أيها المفتش.

- حسناً، إن الديكور مصنوع من مواد حقيقية، قماش وخشب وطلاء وورق مقوّى، والوهم يولد في عين المتفرّج وليس في الديكور نفسه، فإن الديكور واقعيّ بما فيه الكفاية، سواء على خشبة المسرح أو خلفها.

فحدق أليكس إليه وقال: هذه ملاحظة ذكية أيها المفتش. إنها أعطتني فكرة جديدة.

- لمسرحية أخرى؟

- لا، ليس لمسرحية أخرى. يا إلهي! كيف كنا جميعاً بهذا الغباء؟

* * *

عاد المفتش ودودغيت إلى البيت عن طريق الحديقة، وحدّث أليكس نفسه فقال إنهما لا شك أنهما يبحثان عن آثار الأقدام، ولكنه كان مخطئاً في هذا الزعم لأنهما كانا قد خرجا في وقت مبكّر من الصباح بحثاً عن آثار الأقدام. وقد خاب مسعاهما لأن الدنيا كانت قد أمطرت بغزارة في الساعة الثانية بعد منتصف الليل.

ومضى أليكس ببطء نحو الممرّ الخاص وفي رأسه تدور احتمالات فكرته الجديدة، ولكنه لم يلبث أن تخلى عن فكرته هذه عندما رأى جينا تسير بمحاذاة البحيرة، وكان البيت يقع فوق هضبة مرتفعة بعض الشيء والأرض تهبط بانحدار خفيف من الشرفة حتى البحيرة التي تحيط بها الأشجار الضخمة، وراح أليكس يركض إلى أن لحق بجينا وقال وهو يقطب جبينه: أنت راضية عن نفسك جداً، أليس كذلك يا جينا؟ لقد فعلت بي وبستيفن الأحمق كل ما تريدين.

- ما هذا الهذر الذي تنطق به؟

- ليس هذراً. أنا وستيفن أعجبنا بك ووالي بائس مفتون. ماذا تريد المرأة أكثر من ذلك؟

نظرت جينا إليه وضحكت، وهز أليكس رأسه بقوة وقال: يسرّني أن أرى أنه ما زالت بك بقية من النزاهة، فأنت لا تحاولين الادّعاء بأنك لا يروقك أن يحبّك الرجال، أليس كذلك؟ حتى هذا المسكين الساذج إدغر لاوسن.

فنظرت جينا إليه بحدّة وقالت بصوت هادئ رزين: إن المرأة أكثر تعاسة وشقاء من الرجل لأنها سريعة التأثر، فهي تنجب الأولاد وتشغل نفسها كثيراً من أجلهم، وما إن تفقد جمالها حتى يتحوّل عنها الرجل الذي يحبها فيهجرها ويتجنّبها. وأنا لا ألوم الرجال على ذلك، فأنا نفسي لا أحبّ المسنّ والمريض والشاكي والسخيف المضحك الذي يختال ويتباهى ويدّعي أنه مهم وذو شأن كبير كإدغر. أتظنني قاسية؟ إننا نعيش في عالم قاسٍ وسيكون قاسياً نحوي إن عاجلاً أو آجلاً.

فقال أليكس: إن ما أريد أن أعرفه هو ماذا تنوين أن تفعلي بنا. هل ستتزوجين ستيفن أم ستتزوجينني؟

- ولكنني متزوجة بوالي.

- مؤقتاً. إن كل امرأة يمكن أن تخطئ مرة في حياتها من ناحية الزواج، ولكن لا حاجة بك للتمسك به فهو لا يليق بك.

- وأنت تليق بي؟

- بلا أي شك.

- هل تريد أن تتزوجني حقاً؟ لا أستطيع تصورك متزوجاً.

- إن ستيفن أكثر وسامة مني بكثير، فهو وسيم جداً ورزين، ولكن الرزانة مملّة في البيت. إنك ستجدين الحياة معي مسلّية جداً يا جينا.

فقالت جينا وهي تبتسم: يجب أن أفكر.

- طبعاً. ومهما يكن فإن عليك أن تهتمّي بوالي أولاً. إنني أرثي له كثيراً؛ فإن حياته أصبحت جحيماً منذ أن تزوجك وجررته

في أعقابك في هذا الجوّ العائلي الذي لا همّ له إلا عمل الخير وإسعاد الغير.

- ما أنت إلا وحش يا أليكس.

- وحش متفهّم.

فقالت جينا: يخيّل إليّ أحياناً أن والي لا يهتم بي مطلقاً، بل إنه لا يلحظ حتى وجودي.

في تلك اللحظة كانت ملدريد ستريت تقف أمامهما وقد احمرّ وجهها وراحت شفتاها ترتعش وهي تنظر إليهما بحدّة. كانت في حالة من الانفعال بحيث بقيت فترة طويلة لا يسعفها النطق، وأخيراً قالت: يا للبشاعة! أيتها الفتاة القذرة، أنت بنت أمّك تماماً؛ ما أنت إلا امرأة فاسدة، وكنت أعرف دائماً أنك فاسدة، فاسدة تماماً. أنت لست خليعة فحسب ولكنك قاتلة أيضاً. نعم، أنت قاتلة... إنني أعرف ما أعرفه.

- وماذا تعرفين؟ لا تكوني سخيفة يا خالتي ملدريد.

- لست خالتك والحمد لله، فلا تربطني بك صلة الدم، بل إنك لا تعرفين من كانت أمك ولا من أين جاءت، ولكنك تعرفين تماماً من هو أبي ومن هي أمي وأي نوع من الأطفال كان في إمكانهما أن يتبنّيا. لا شك أنها كانت ابنة مجرمة، وكان لا بدّ من أن يتكلّم الدم، وقد تكلم أخيراً، وإن كان الدم الإيطالي الذي يجري في عروقك هو الذي دفعك إلى دسّ السمّ.

- كيف تجرئين على هذا القول؟!

- سأقول ما أريد. إنك لا تستطيعين الإنكار الآن. إن شخصاً ما يحاول دس السم لأمي، ومن هو الشخص الجدير بأن يفعل هذا؟

من الذي يرث ثروة ضخمة إذا ماتت أمي؟ أنت يا جينا، ولك أن تتأكدي أن رجال الشرطة لن يغفلوا هذه الحقيقة.

وابتعدت ملدريد وهي ما زالت ترتعش، وقال أليكس: إنها مريضة، مريضة تماماً، وهذا أمر مثير للاهتمام.

- إنني أمقتها، أمقتها.

وأطبقت يديها وارتجفت غضباً فقال أليكس: لحسن الحظ أنه لم يكن معك مُدية، وإلا لعرفت السيدة ستريت العزيزة ما هي الجريمة من وجهة نظر الضحية. هدّئي من روعك يا جينا ولا تكوني هكذا.

- كيف تجرؤ وتقول إنني حاولت أن أسمّم جدّتي؟!

- حسناً، لقد حاول أحدهم أن يسمّمها، وإذا أردنا الحقيقة فإنك أصلح من يكون.

- أليكس!

حدقت جينا إليه مفزوعة وقالت: أهكذا يظن رجال الشرطة؟!

- من المتعذر معرفة ما يظنه رجال الشرطة؛ فإنهم يحتفظون بمعلوماتهم جيداً وهم ليسوا حمقى، وهذا يجعلني أتذكر شيئاً.

- أين أنت ذاهب؟

- سأتحقق من فكرة طرأت لي.

* * *

# الفصل السابع عشر

- أتقول إن بعضهم يحاول أن يدس السم لي؟!

كان صوت كاري لويز ينم عن الذهول والاستنكار، واستطردت قائلة: إنني لا أصدّق؛ لا أستطيع أن أصدّق ذلك!

وانتظرت بضع لحظات وعيناها نصف مطبقتين، وقال لويس برفق: كنت أتمنى أن أجنّبك هذا يا عزيزتي.

وبسطت يدها إليه بشرود فأمسكها، وجلست الآنسة ماربل بجوارها وهزّت رأسها بعطف، وفتحت كاري لويز عينيها وقالت: هل هذا صحيح حقاً يا جين؟

- أخشى ذلك يا عزيزتي.

- إذن فكلّ شيء...

وأمسكت كاري لويز ولكنها لم تلبث أن استطردت قائلة: ظننت دائماً أنني أميز الحقيقي من الزائف، وهذا لا يبدو أنه حقيقي، ولكنه كذلك. إذن أستطيع أن أخطئ في كل شيء. ولكن من الذي يريد أن يفعل مثل هذا الأمر؟ ما من أحد في هذا البيت يمكن أن يتمنى أن يقتلني.

وكان صوتها لا يزال ينمّ عن الشك، فقال لويس: هذا ما كنت

أظنه، وقد كنت مخطئاً.

- وقد علم كريستيان بذلك؟ إن هذا يفسّر كل شيء.

فسألها لويس قائلاً: ماذا يفسّر؟

فأجابت كاري لويز قائلة: يفسّر موقفه. لقد كان موقفه غريباً جداً ولم يكن كعادته قط، وكان يبدو شديد القلق على وكأنه كان يريد أن يقول لي شيئاً ثم يعدل عن ذلك، وقد سألني إذا كان قلبي قوياً وإذا لم أكن أشكو شيئاً في الأيام الأخيرة، ولعله كان يحاول أن ينذرني. ولكن لماذا لم يصارحني بذلك؟

- لم يشأ أن يسبّب لك أي ألم يا كارولين.

- ألم؟ ولكن لماذا؟ نعم، فهمت.

واتسعت عيناها ثم قالت: إذن فهذا هو اعتقادك؟ ولكنك مخطئ يا لويس، مخطئ تماماً. أستطيع أن أؤكد لك هذا.

تحاشى زوجها النظر إليها فعادت تقول بعد لحظة: إنني آسفة، ولكنني لا أستطيع أن أصدّق أن شيئاً مما حدث أخيراً حقيقي. أن يطلق إدغر النار عليك، وجينا وستيفن وعلبة الشوكولاتة السخيفة، كل هذا غير حقيقي.

ولم ينطق أحد، فتنهّدت كاري لويز وقالت: أظن أنني كنت أعيش بعيداً عن الواقع منذ وقت طويل. أرجو منكما أن تتركاني وحدي؛ أريد أن أخلو بنفسي قليلاً. يجب أن أحاول وأفهم.

* * *

نزلت الآنسة ماربل الدرَج ومضت إلى البهو الكبير حيث وجدت أليكس ريستاريك واقفاً بجوار الباب باسطاً يديه إلى الأمام

بحركة مسرحية، وما إن رآها حتى أسرع يقول كما لو كان هو صاحب البهو الكبير: تفضّلي، تفضّلي.

وكان لويس سيروكولد قد تبع الآنسة ماربل بعد أن خرج من غرفة كاري لويز فاجتاز البهو إلى الغرفة التي يتخذها مكتباً له ودخلها وأغلق الباب خلفه.

قالت الآنسة ماربل باهتمام تحاول إخفاءه: هل تعيد تمثيل كيفية وقوع الجريمة؟

فنظر أليكس إليها مقطباً وهو يقول: ماذا؟

ولكنه لم يلبث أن انبسطت أساريره وقال: نعم، فهمت، ليس هذا بالضبط. لقد كنت أنظر إلى هذا البهو نظرة مسرحية كما لو كان ديكوراً وليس حقيقية. تعالي هنا وانظري إلى كل ذلك كما لو كنت تنظرين إلى ديكور قائم فوق خشبة المسرح، الضوء والأبواب والنوافذ والممثلون وأصوات خارج خشبة المسرح، كل هذه أشياء مهمة. هذه ليست فكرتي وإنما هي فكرة المفتش، وأظنه بالأحرى رجلاً قاسياً؛ فقد بذل جهده لإفزاعي وإخافتي صباح اليوم.

- وهل أخافك؟

- لست متأكداً.

ووصف لها أليكس تجربة المفتش وتوقيت الدور الذي قام به الشرطي دودغيت اللاهث وقال: إن الوقت أكبر خادع ومضلّل. يظن المرء أنه يحتاج إلى وقت طويل ليقوم بشيء ما في حين أنه يأخذ وقتاً أقصر بكثير مما كان يظن.

فقالت الآنسة ماربل: أجل.

وقامت بدور المتفرّج فتحرّكت إلى مكان آخر. كان الديكور

الذي أمامها عبارة عن سجادة كبيرة تكسو الحائط وتسودها العتمة وبها بيانو كبير على اليسار، ونافذة بجوارها أريكة على اليمين وبجوار الأريكة باب المكتبة، أما كرسي البيانو فقد كان يبعد نحو ثماني أقدام من باب الممرّ الذي يؤدي إلى الدهليز، وهما بابان مناسبان يستطيع المتفرّج أن يراهما بكل سهولة. ولكن في الليلة الماضية لم يكن يوجد أحد من المتفرجين ينظر إلى الديكور كما تنظر إليه الآنسة ماربل في تلك اللحظة، فقد كان المتفرجون في الليلة الماضية جالسين وظهورهم إلى ذلك الديكور بالذات.

تساءلت الآنسة ماربل في نفسها قائلة: كم من الوقت أخذه القاتل في التسلل من الغرفة والركض عبر الممرّ وقتل غولبراندسن ثم العودة؟ ليس وقتاً طويلاً كما يمكن أن يعتقد كل شخص، فإذا قيس بالدقائق والثواني فإنه يكون وقتاً قصيراً. ثم ما الذي كانت تعنيه كاري لويز عندما قالت لزوجها: "هذا هو اعتقادك إذن؟ ولكنك مخطئ يا لويس"؟

وقطع صوت أليكس ريستاريك أفكارها وهو يقول: يجب أن أقول إن ملاحظة المفتش ملاحظة حادة، أعني بخصوص الديكور الحقيقي القائم من الخشب والقماش والورق المقوى والمجمع بعضه إلى بعض بالغراء والذي يبدو حقيقياً سواء من الناحية المدهونة بالطلاء أو من الناحية الأخرى. لقد قال إن الوهم يولد في عينَي المتفرج.

فتمتمت الآنسة ماربل بغموض قائلة: تماماً كالسحرة. إنهم يخدعون المتفرّج بألاعيب المرايا.

وأقبل ستيفن ريستاريك في تلك اللحظة وهو يلهث فقال: مرحباً أليكس. ذلك الفأر الحقير إيرني غريغ، لا أدري إذا كنت

تذكره أم لا.

- ذلك الذي قام بدور فيست عندما أخرجت رواية «الليلة الثانية عشرة»؟ أظن أنه شاب على شيء من الموهبة.

- أجل، هو ذلك، ثم إنه بارع جداً من حيث يديه. لقد قام بجزء كبير من أعمال النجارة، ولكنه قليل الشأن عديم الأهمية. كان يتباهى أمام جينا بأنه خرج في أثناء الليل وراح يتمشى في الحديقة، وقال إنه رأى شيئاً ما ليلة أمس.

دار أليكس على عقبيه وقال: وماذا رأى؟

- إنه أبى أن يقول، وأكاد أكون واثقاً أنه يسعى للفت الأنظار إليه فحسب. إنه كذاب كبير، ولكني مع ذلك أظن أنه لا بدّ من استجوابه.

فقال أليكس بحدّة: من الأوفق أن تدَعه وشأنه قليلاً. لا يجب أن نجعله يعتقد أننا نهتمّ بما يقول.

- ربما... نعم، أظن أنك على حق.

ومضى ستيفن إلى المكتبة، أما الآنسة ماربل فراحت تنتقل من مكان إلى آخر وهي تقوم بدور المتفرجين، واصطدمت بأليكس ريستاريك وهو يرتدّ إلى الخلف فجأة فقالت: إنني آسفة.

قطب أليكس جبينه وقال بشرود: أرجو المعذرة. وأردف يقول بشيء من الدهشة: يا إلهي! أهو أنت؟

واستغربت الآنسة ماربل ذلك منه لأنه كان يتحدث معها حديثاً هاماً منذ لحظة. وقال أليكس: كنت أفكر في شيء آخر، ذلك الفتى إيرني.

وأتى بحركة غامضة من يديه ثم عدل عما كان يقول وعبر البهو ومضى إلى المكتبة وأغلق الباب خلفه. وسمعت الآنسة ماربل تمتمة أصوات خلف الباب المغلق ولكنها لم تميز أية كلمة. لم تهتم بأقوال إيرني وبما رآه أو ادّعى أنه رآه وسمعه؛ فهي لم تصدّق قط أن يقدم إيرني في ليلة يسودها الضباب على اغتصاب القفل والخروج للتنزه في الحديقة، وبكل الاحتمالات فإنه لم يخرج قط في الليلة الماضية، إنما هو يتباهى بأنه فعل.

وأقصت إيرني عن ذهنها وركّزت كل اهتمامها على الملاحظة التي ذكرها المفتش كوري لأليكس. إن هذه الملاحظة أوحت إلى أليكس بالفكرة، ولم تكن واثقة من أنها أوحت إليها بفكرة هي الأخرى، ولكن هل تكون نفس الفكرة أم أنها فكرة أخرى مختلفة؟

ووقفت حيث كان أليكس ريستاريك يقف وقالت تحدّث نفسها: "ليس هذا بهواً حقيقياً، وإنما هو مشهد من القماش والخشب والورق المقوى. إنه ديكور مسرحيّ". ثم عادت إلى ذهنها كلمات من بعض الصور والعبارات: "وهْم في أعين الجمهور. إنهم يفعلون ذلك بواسطة المرايا. طاسات يخرج منها السمك، أشرطة ملوّنة طويلة، نساء يختفين..."، وكل زخارف وخدع السحرة.

وتكوّنت في ذهنها صورة بغير وعي منها. شيء قاله أليكس، شيء وصفه لها. ذلك الشرطي دودغيت اللاهث. اللاهث؟

وارتسم شيء في ذهنها لم يلبث أن اتخذ صورة فجأة وقالت: بالتأكيد، لا ريب أن هذا هو ما حدث.

* * *

# الفصل الثامن عشر

- يا إلهي، لقد أخفتني يا والي!

ظهرت جينا خارجة من ظلال المسرح وارتدّت إلى الخلف قليلاً عندما برز والتر هد من الظلام. لم يكن مظلماً تماماً بعدُ ولكن كان له ذلك المنظر الغريب الذي يخفت فيه الضوء فتضيع حقيقة الأشياء وتتخذ أشكالاً غريبة كتلك الأشكال التي يراها المرء في الأحلام المزعجة.

- ماذا تفعل هنا؟ لم يسبق أن أتيت إلى المسرح قط.

- لعلني كنت أبحث عنك يا جينا، والمسرح هو المكان الذي تكونين فيه عادة، أليس كذلك؟

كان صوت والي رقيقاً ممطوطاً بعض الشيء لا يحمل أي إيحاء، وقد جفلت جينا قليلاً ثم قالت: إن المسرح يروقني كثيراً، فأنا أحبّ رائحة الطلاء وجوّ خلفية المسرح على وجه العموم.

- نعم، أعرف ذلك. قولي لي يا جينا، هل تظنين أنه ستمضي مدة طويلة قبل أن تنجلي هذه الجريمة؟

- سيجري التحقيق غداً، ولكن ستؤجل الجلسة أسبوعين تقريباً. هذا ما فهمناه من المفتش كوري على الأقل.

قال والي بتفكير: أسبوعان؟ نعم، فهمت. لنقُل ثلاثة أسابيع، وسنكون أحراراً بعد ذلك، وسأعود إلى أمريكا عندئذ.

فصاحت جينا قائلة: ولكنني لا أستطيع العودة بمثل هذه العجلة، ولا أستطيع أن أترك جدّتي، ثم إن لدينا هاتين المسرحيتين اللتين نقوم بإعدادهما.

- لم أقل «سنعود»، بل قلت «سأعود».

سكتت جينا وحدقت إلى زوجها، وبدا لها ضخماً في العتمة التي بدأت تخيّم على المكان، ضخماً وهائلاً ولعله بدا لها مخيفاً بعض الشيء كذلك ومهدّداً ومتوعّداً. ولكن بمَ يتوعّدها؟

- هل تعني... أنك لا تريد مني أن أرافقك؟

- أنا لم أقل هذا.

- أنت لا تبالي أرحلتُ معك أم بقيت.

وتملّكها الغضب فجأة ولكنه قال: أصغي إلي يا جينا. لا بدّ لنا من أن نتفاهم. لم يكن كل منا يعرف الشيء الكثير عن الآخر عندما تزوجنا، ولم نكن نعرف الشيء الكثير عن أسرتَينا ولا عن البيئة التي يعيش فيها كل منا. حسناً، لقد انتهت هذه المرحلة. أهلك لا يميلون إليّ كثيراً، ولعلهم على حق؛ فإنني لست على شاكلتهم. ولكن إذا كنت تظنين أنني سأبقى هنا أضيع وقتي بغير طائل وأقوم بأعمال غريبة أعتبرها أعمالاً جنونية فأنت مخطئة. أريد أن أعود إلى وطني وأن أمارس العمل الذي أحبه والذي أستطيع أن أمارسه. أنت تختلفين في نظري عن الزوجة التي أريدها، فأنا أريد واحدة من تلك الزوجات البدائيات التي تقاسم زوجها حياته وأخطاره وتمضي معه إلى أي مكان يريد. لعل هذا كثير عليك ولكن هذا هو

ما أريده وما لا أستطيع أن أتنازل عنه، ولعلنا تزوجنا على عجل، وإذا كان الأمر كذلك فمن الخير لك أن تستعيدي حرّيتك وأن تبدئي من جديد. عليك أنت أن تقرّري. إذا كنت تفضّلين واحداً من هؤلاء الأولاد فإنها حياتك أنت وعليك أن تختاري، أما أنا فإنني سأعود إلى بلدي.

- أنت خنزير قذر! إنني أتمتع بوقتي هنا.

- حقاً؟ حسناً، أما أنا فلا. إنك تستمتعين بكل شيء، حتى ولو كان في الأمر جريمة قتل.

جفلت جينا وصاحت وهي تكاد تختنق: من القسوة والخبث أن تقول مثل هذا القول. لقد كنت أحب العمّ كريستيان كثيراً، ثم لعلك لا تدرك أن شخصاً ما يدس السم لجدّتي منذ شهور. إن هذا فظيع.

- قلت لك إنني لا أحب هذا المكان ولا أحبّ كل ما يدور فيه. إنني راحل.

- هذا إذا سمحوا لك بذلك. ألا تدرك أنهم قد يُلقون القبض عليك بتهمة قتل العم كريستيان؟ إنني أبغض الطريقة التي ينظر بها المفتش كوري إليك. إنه كالقط الذي يترصّد الفأر ناشباً أظفاره مستعداً للانقضاض عليه، وذلك لا لشيء إلا لأنك كنت خارج البهو تصلح النور ولأنك لست إنكليزياً. أنا واثقة أنهم سيلصقون بك هذه التهمة.

- لكنهم بحاجة إلى دليل لذلك.

انتحبت جينا قائلة: إنني خائفة عليك يا والي. أخاف عليك منذ وقت طويل.

– الخوف لا يفيد. قلت لك إنه ليس لديهم أي دليل ضدي.

ومشيا في صمت صوب البيت، ثم قالت جينا: لا أعتقد أنك تريد أن أعود معك إلى أمريكا.

لم يُجِب والتر هد، فتحوّلت جينا إليه وضربت الأرض بقدميها وصاحت قائلة: إنني أمقتك، أمقتك. أنت فظيع، وحش لا قلب له. بعد كل ما بذلت من أجلك تريد أن تتخلص مني ولا تبالي إذا رأيتني ثانية أم لا؟ حسناً، أنا أيضاً لا أبالي. لقد كنت غبية حمقاء إذ قبلت الزواج بك، وسأطلب الطلاق بأسرع ما يكون، وسأتزوّج ستيفن أو أليكس وسأكون أسعد مما كنت معك، وأرجو أن تعود إلى أمريكا وأن تتزوج فتاة بشعة تُحيل حياتك جحيماً لا يطاق.

فقال والي: حسناً، إن كلاً منا يعرف موقفه من الآخر الآن.

* * *

رأت الآنسة ماربل جينا ووالي يدخلان البيت معاً، وكانت تقف في نفس المكان الذي قام فيه المفتش كوري بتجرِبته مع الشرطي دودغيت عصر اليوم. وجفلت حين سمعت صوت الآنسة بيلفر يرتفع خلفها قائلاً: ستصابين بالبرد يا آنسة ماربل وأنت واقفة هكذا، بعد مغيب الشمس.

وتبعتها الآنسة ماربل بخطوات هادئة سريعة إلى البيت، وقالت: لقد كنت أفكّر في خدع السحرة، وهي خدع يتعذر فهمها وأنت تنظرين، ولكنها لا تلبث أن تبدو لك بسيطة إلى حدّ السخف، مع أنني لا أدري حتى الآن كيف يُخرجون من جرابهم آنية السمك الملوّن. هل رأيت خدعة المرأة المشطورة إلى نصفين؟ إنها خدعة تثير أحاسيس الناس وانفعالاتهم، وطالما فتنتني وأنا في

الحادية عشرة من عمري، ولم أستطع قط أن أعرف كيف كانوا يفعلون، ولكنني قرأت منذ أيام مقالاً في إحدى الجرائد يشرح الأمر، وما كان يجب للجريدة أن تفعل ذلك، ولكن يبدو أنها ليست امرأة واحدة وإنما امرأتان، فيظهر رأس إحداهما من ناحية، ومن الناحية الأخرى تظهر قدما الأخرى، فتظنين بذلك أنها امرأة واحدة في حين أنهما امرأتان في الواقع، ويتساوى الأمر إذا نحن نظرنا إليه بالعكس.

تفرست الآنسة بيلفر فيها بشيء من الدهشة؛ فلم تبدُ الآنسة ماربل قط بمثل هذا الإبهام والغموض، وقالت تحدث نفسها: إن الأحداث كانت أقوى من المرأة العجوز!

واستطردت الآنسة ماربل تقول: حين تنظرين إلى جانب واحد من شيء فإنك لا ترَين غيره، ولكن كل شيء يتطابق تماماً إذا ما استطعت أن تحدّدي الحقيقة من الوهم. وأردفت تسأل فجأة قائلة: هل كاري لويز على ما يرام؟

فأجابت الآنسة بيلفر قائلة: نعم، إنها على ما يرام. ولكن لا ريب أن الصدمة كانت شديدة الوقع عليها عندما علمت أن شخصاً يريد أن يقتلها، أعني كانت صدمة لأنها لا تعرف العنف.

فقالت الآنسة ماربل بتفكير: إن كاري لويز تفهم أشياء لا نفهمها نحن. هذا دأبها دائماً.

- أعرف ماذا تعنين، ولكنها تعيش بعيداً عن الواقع.

- هل تعيش بعيداً عنه حقاً؟

فنظرت الآنسة بيلفر إليها بدهشة وقالت: لم أعرف أحداً يعيش بعيداً عن الواقع مثلما تفعل كارا!

- ألا تظنين أنها ربما...؟

وأمسكت الآنسة ماربل عن الحديث وهي ترى إدغر لاوسن يتجاوزهما بخطوات سريعة، وأومأ برأسه بخجل وأشاح بوجهه عنهما وهو يتابع سيره. وقالت الآنسة ماربل: لقد عرفت الآن بمن يذكّرني هذا الشاب. لقد تذكرت ذلك منذ دقائق قلائل، فهو يذكرني بشاب يدعى ليوناردو وايلي، وكان أبوه طبيب أسنان، لكنه تقدم في السنّ وضعف بصره وأصابت يده الرعشة وآثر عملاؤه أن يذهبوا إلى ابنه، وقد شعر الرجل المسكين بالحزن وامتلأ كآبة وقال إنه لم يعد يصلح لشيء. وكان ليوناردو رقيق القلب وغبياً بعض الشيء، فبدأ يتظاهر بأنه أفرط في الشراب عندما يذهب العملاء إليه، وكان يعتقد أنهم إذا رأوا ذلك يهرعون إلى الأب بحجّة أن الابن لم يعد في المستوى اللائق به.

- وهل فعلوا ذلك؟

- بالطبع لا. إن ما حدث كان شيئاً لا يفهمه إلا كل رجل عاقل، فقد ذهب العملاء إلى السيد ريلي، الطبيب المنافس. إن كثيراً من الرجال الذين بين جوانبهم قلوباً تخفق ينقصهم الذكاء، ثم إن ليوناردو وايلي لم يكن يعرف كيف يتقن دوره. لم تكن لديه أية فكرة عن حقيقة السكارى، وقد تجاوز الحدّ حين راح يسكب الشراب على ثيابه.

ودخلت المرأتان البيت من الباب الجانبي.

* * *

# الفصل التاسع عشر

كانت الأسرة مجتمعة في غرفة المكتبة ولويس يذرع الأرض جيئة وذهاباً وقد توتر الجوّ جداً، فقالت الآنسة بيلفر: ما الخبر؟

فأجاب لويس بإيجاز قائلاً: إن إيرني غريغ لم يردّ على النداء الليلة.

- هل هرب؟

- لا ندري. إن مافريك وبعض الموظفين يبحثون عنه في أرجاء القصر، وإذا لم نجده فلا بدّ لنا من إبلاغ الشرطة.

فأسرعت جينا إلى كاري لويز وقد روّعها بياض وجهها وصاحت قائلة: جدّتي! أنت مريضة.

- بل إنني حزينة على ذلك الفتى المسكين.

وقال لويس: كنت أنوي أن أسأله الليلة إذا كان قد رأى شيئاً يستحقّ الذكر في الليلة الماضية أم لا. إنني حصلت له على وظيفة طيبة، وقد ظننت أنني بعد أن أتجادل معه في ذلك أستطيع أن أستجوبه في الموضوع الآخر. والآن...

وأمسك عن إتمام جملته، فتمتمت الآنسة ماربل برقة قائلة: إنه فتى مسكين، وأحمق.

وهزت رأسها، وقالت السيدة سيروكولد برفق: إذن فأنت تظنين ذلك أنت الأخرى يا جين؟

ودخل ستيفن ريستاريك في تلك اللحظة وقال: لم ألحق بك في المسرح يا جينا. ظننت أنك قلت إنك... مرحباً، ما الخبر؟

فأنبأه لويس بالخبر، وما فرغ من قوله حتى أقبل الدكتور مافريك وبرفقته فتى أشقر متورّد الوجنتين له نظرة ملائكية متشكّكة، وتذكرت الآنسة ماربل أنه اشترك معهم في تناول العشاء عندما أقبلت إلى ستوني غيتس. وقال الدكتور مافريك: إنني أتيت معي بآرثر جينكنز. يبدو أنه آخر من رأى إيرني.

فقال لويس سيروكولد: أرجو أن تساعدنا إذا استطعت يا آرثر. أين ذهب إيرني؟ أتراه يمزح؟

- لا أدري يا سيدي؛ فإنه لم يقُل لي شيئاً. لقد كان مشغوفاً بالمسرح، وهذا كل ما أعرفه. قال إن لديه فكرة مسرحية رائعة راقت السيدة والسيد ستيفن.

- يوجد شيء آخر يا آرثر. إن إيرني يقول إنه كان يتمشى في الحديقة بعد الميعاد أمس، فهل هذا صحيح؟

- ليس صحيحاً بالطبع. إنه يتباهى لا أكثر، وإنه لم يخرج قط بعد الميعاد. إنه يتباهى دائماً ولا يستطيع أن يغتصب أي قفل، ومهما يكن فكل ما أعرف أنه لم يخرج الليلة الماضية.

- هل تقول ذلك لإرضائي يا آرثر؟

فأجاب آرثر بقوة قائلاً: مطلقاً يا سيدي.

لم يبدُ الارتياح على لويس، وقال الدكتور مافريك: اسمعوا...

ما هذا؟

كان يوجد همس يدور في الخارج، وفُتح الباب فجأة ودخل السيد بومغارتن وهو يترنّح وقال لاهثاً: إننا عثرنا عليه، بل عليهما. إن هذا فظيع!

وتهالك على مقعد وجفّف جبينه، وقالت السيدة ستريت بحدّة: ماذا تعني بقولك «عليهما»؟

كان بومغارتن يرتعش فقال: هناك، في المسرح، وقد تحطّمت رأساهما. لقد سقطت الثقالة الكبيرة على أليكس ريستاريك والفتى إيرني غريغ، وقد ماتا معاً.

* * *

# الفصل العشرون

قالت الآنسة ماربل: أحضرت لك كوباً من الحساء القوي يا كاري لويز، فأرجوك أن تشربيه.

جلست السيدة سيروكولد في فراشها الكبير ذي القوائم العالية، وبدت صغيرة جداً أشبه بالطفلة، وكانت وجنتاها قد فقدتا رونقهما وبدت شاردة ساهمة. وأخذت طبق الحساء بإذعان من الآنسة ماربل وراحت تشرب بجرعات صغيرة في حين جلست الآنسة ماربل في مقعد بجوار الفراش.

قالت كاري لويز: كريستيان أولاً والآن أليكس وذلك الشاب المسكين الصغير إيرني. هل كان يعرف أي شيء حقاً؟

قالت الآنسة ماربل: لا أظن. لقد كذب ليضفي على نفسه أهمية فقال إنه رأى أو عرف شيئاً، ولسوء الحظ صدّقه أحدهم.

فارتجفت كاري لويز وشرد بصرها من جديد وقالت: لقد أردنا أن نفعل الكثير لهؤلاء الفتية، وقد فعلنا الكثير بالفعل وحصلنا على نتائج مدهشة مع كثير منهم، وأغلبهم يشغلون الآن وظائف تتطلب مسؤولية كبيرة. وقد انتكس منهم عدد قليل، وهذا شيء ليس لنا فيه حيلة. إن المدينة الحديثة أصبحت معقدة بحيث يستعصي فهمها على القوم البسطاء ذوي الثقافات المحدودة. هل

تعرفين مشروع لويس الكبير؟ كان يعتقد دائماً أن الانتقال وسيلة أنقذت الكثيرين من المجرمين في الماضي، فإنهم كانوا ينقلونهم إلى ما وراء البحار ويبدؤون حياتهم من جديد في بلدان أخرى أقل تعقيداً. وكان لويس ينوي أن يبدأ مشروعاً حديثاً مبنياً على هذه الأسس فيشتري مساحة كبيرة من الأراضي أو مجموعة من الجزائر ويموّلها لمدة سنوات ويجعل منها شركة تعاونية بحيث ينعدم الإغراء إلى العودة إلى المدن التي جاؤوا منها. كان هذا حُلمه، ولكنه كان حُلماً يتطلب مبلغاً باهظاً من المال بالطبع، وليس في العالم في أيامنا هذه رجال كثيرون يحبون عمل الخير الآن. إننا بحاجة إلى إريك آخر، فلو أن إريك هنا لامتلأ حماسة لهذا المشروع.

تناولت الآنسة ماربل مقصاً وأخذت تنظر إليه باستغراب وقالت: يا له من مقصّ غريب! إن له دائرتين للأظافر، إحداهما في ناحية والأخرى في الناحية الثانية.

عادت عينا كاري لويز إلى الواقع من العالم البعيد المخيف وقالت: لقد أعطاني أليكس هذا المقصّ صباح اليوم وقال لي إن من السهل قصّ أظافر اليد اليمنى به. يا للفتى العزيز. إنه كان يتحمّس لكل شيء، وقد أرغمني على أن أجرّبه على الفور.

فقالت الآنسة ماربل: وأظن أنه جمع قلامات الأظافر وأخذها معه حتى لا يتركها على الأرض، أليس كذلك؟

فأجابت كاري لويز قائلة: بلى، إنه...

وتوقفت فجأة ثم سألت قائلة: لماذا تقولين ذلك؟

- كنت أفكر في أليكس. لقد كان شاباً ذكياً.

- هل تعنين أنه قُتل لهذا السبب؟

- أظن ذلك.

- هو وإيرني. إنني لا أستطيع أن أفكر فيهما. ما الوقت الذي يظنون أن هذا قد حدث فيه؟

- في وقت متأخر عصر اليوم. ربما بين السادسة والسابعة.

- بعد أن فرغوا من العمل؟

- نعم.

وفكرت الآنسة ماربل وقالت في نفسها: لقد كانت جينا هناك اليوم هي ووالي هد، وكذلك ستيفن الذي قال إنه ذاهب لكي يرى جينا، ولكنني لا أظن أن أجداً منهم قد استطاع أن...

وتوقفت أفكار الآنسة ماربل عند ذلك إذ سألتها كاري لويز بهدوء فجأة: ما مدى ما تعرفين يا جين؟

فنظرت الآنسة ماربل إليها بحدّة وتلاقت أعين المرأتين وقالت الآنسة ماربل ببطء: لو أنني كنت واثقة...

- أظن أنك واثقة يا جين.

فعادت الآنسة ماربل تقول ببطء: ماذا تريدين مني أن أفعل؟

اضطجعت كاري لويز على وسادتها وقالت: إنني أضع الأمر بين يديك يا جين. افعلي ما ترينه صواباً.

وأطبقت عينيها، فقالت الآنسة ماربل: غداً... وترددت لحظة ثم استطردت قائلة: سأحاول أن أتحدث مع المفتش كوري. هذا إذا أصغى إليّ.

* * *

# الفصل الحادي والعشرون

قال المفتش كوري بشيء من نفاد الصبر: ماذا تريدين يا آنسة ماربل؟

- هل نستطيع أن نذهب إلى البهو الكبير؟

فبدت الدهشة على كوري شيئاً ما وقال: إذا كنت تريدين أن لا يسمع أحد حديثنا فإنني أظن أن هذا المكان...

وردّد البصر حوله ولكن الآنسة ماربل قاطعته قائلة: إنني لا أبالي بأن يسمعنا أحد، ولكنني أريد أن أريك شيئاً، شيئاً جعلني أليكس ريستاريك أراه.

كتم المفتش كوري تنهيدة ونهض واقفاً وتبع الآنسة ماربل وقال وهو يحدو نفسه بالأمل: هل تكلّم بعضهم معك؟

فأجابت الآنسة ماربل قائلة: لا، ليس الأمر كذلك، ولكنني أريد أن أتحدث معك عن خدع السحرة. إنهم يقولون عنها إنها تبدو كألاعيب المرايا، إذا كنت تدرك ما أعنيه.

ولم يدرك المفتش كوري شيئاً، ونظر إلى الآنسة ماربل وهو يتساءل إن كانت في كامل وعيها أم أنها تهذي. وتوقفت الآنسة ماربل وأشارت إليه أن يقف بجوارها ثم قالت: أريدك أن تفكر في

هذا المكان كما لو كنت تنظر إلى خشبة مسرح أيها المفتش، وكما لو كان ذلك في نفس الليلة التي قُتل فيها كريستيان غولبراندسن. إنك الآن واقف مع المتفرجين تنظر إلى جماعة الممثلين على خشبة المسرح، والممثلون هم السيدة سيروكولد وأنا نفسي والسيدة ستريت وجينا وستيفن، كما توجد على خشبة المسرح أبواب للدخول والخروج ويذهب الممثلون إلى مختلف الأماكن، ولكنك مع المتفرّجين لا تسأل أين يذهبون في الواقع. إنهم يخرجون فيذهبون إما إلى المطبخ وإما إلى الردهة، وعندما يُفتح الباب ترى قطعة من القماش المرسوم، ولكنهم لا يذهبون حقاً إلى المطبخ المرسوم أو الردهة المرسومة، بل يذهبون في الواقع إلى خلفية المسرح أو مع النجارين والكهربائيين وغيرهم من الممثلين الذي ينتظرون أدوارهم. إنهم يخرجون إلى عالم مختلف.

- إنني لا أفهم جيداً يا آنسة ماربل.

- إنني أعلم أن كل هذا يبدو سخيفاً، ولكن إذا فكرت في هذه كمسرحية وأن المشهد هو البهو الكبير في ستوني غيتس فما الذي تجده خلف المشهد، أعني خلف المسرح؟ الشرفة، أليس كذلك؟ ستجد الشرفة وعدداً كبيراً من النوافذ التي تؤدي إليها. وهكذا تتمّ الخدعة، وهي خدعة أشبه بخدعة السحرة المعروفة باسم «المرأة المشطورة إلى قسمين».

قال المفتش كوري وقد اقتنع بأن الآنسة ماربل قد اضطرب عقلها: أجل، المرأة المشطورة إلى قسمين.

- إنها أكثر خدع السحرة إثارة، ولا ريب أنك رأيتها، وهي ليست امرأة واحدة في الواقع ولكنهما امرأتان. رأس إحداهما وقدما الأخرى، ويبدوان كأنهما امرأة واحدة في حين أنهما

امرأتان. ولهذا خطر لي أنه يمكن أن يكون العكس في حالتنا هذه، أعني أن شخصين يمكن أن يكونا في الواقع شخصاً واحداً.

فقال المفتش كوري وقد فقد كل أمل: شخصان يمكن أن يكونا شخصاً واحداً؟

- نعم، ولكن ليس لمدة طويلة. كم دقيقة أخذها الشرطي في ركضه من الحديقة إلى البيت جيئة وذهاباً؟ دقيقتين وخمس وأربعين ثانية، أليس كذلك؟ يمكن أن يأخذ وقتاً أقلّ من هذا، أقلّ من دقيقتين؟

- أقلّ من دقيقتين؟

- إنها خدعة السحرة، الخدعة التي قِوامها رجل واحد ويخيّل إليك أنهما رجلان. هنا، في المكتب. إننا نشهد المكان المرئي من المسرح فقط، وهناك خلف المسرح توجد الشرفة ومجموعة من النوافذ، وإذا كان في غرفة المكتب رجلان فإنه يكون من السهل أن يفتح أحدهما نافذة الغرفة، وإن نوافذ البيت كلّها فرنسية تشبه الأبواب، فمن السهل إذن أن يفتح نافذة الغرفة ويركض في الشرفة (تلك الخطوات الراكضة التي سمعها أليكس) ويدخل من الباب الجانبي ويطلق الرصاص على كريستيان غولبراندسن ثم يعود ركضاً. وفي في أثناء هذا الوقت يقوم الرجل الذي بقي في غرفة المكتبة بدور الاثنين مقلّداً صوت الآخر بحيث نتأكد أن الرجلين في الغرفة. وقد كان يوجد رجلان حقاً طَوال الوقت ما عدا تلك الفترة التي تقلّ عن الدقيقتين.

تنفّس المفتش كوري الصعداء وأسعفه النطق أخيراً فقال: هل تعنين أن إدغر لاوسن هو الذي جرى في الشرفة وأطلق الرصاص على غولبراندسن، وأنه هو الذي دسّ السمّ للسيدة سيروكولد؟

– لم يحاول أيّ أحد أن يدسّ السمّ للسيدة سيروكولد أيها المفتش، وهنا يدخل التوجيه الكاذب. إن شخصاً استفاد بذكائه من أعراض التهاب المفاصل التي تشكو منها السيدة سيروكولد، وهي لا تختلف عن أعراض التسمّم بالزرنيخ. إنها خدعة الساحر التي ترغمك على سحب ورقة معيّنة، فمن السهل جداً أن تضع زرنيخاً في زجاجة الدواء وأن تضيف بضعة أسطر إلى رسالة مكتوبة على الآلة الكاتبة. ولكن السبب الحقيقي لقدوم السيد غولبراندسن كان سبباً آخر، كان سبباً يتعلق بمؤسسة غولبراندسن، والواقع أنه كان يتعلق بالناحية المالية على وجه الخصوص. لنفرض أنه اكتشف أن في الأمر اختلاساً لمبالغ طائلة، أترى أين يؤدي بنا هذا الافتراض؟ إلى شخص واحد بالتحديد.

لهث المفتش وتمتم غير مصدّق قائلاً: لويس سيروكولد؟

فأجابت الآنسة ماربل قائلاً: نعم. لويس سيروكولد.

* * *

# الفصل الثاني والعشرون

جزء من رسالة جينا إلى خالتها السيدة فان ريدوك:

... وهكذا ترَين يا خالتي العزيزة أن الأمر كله كان أشبه بالكابوس، وخصوصاً نهايته. لقد حدثتك بكل شيء عن ذلك الرجل الغريب الأطوار المدعو إدغر لاوسن. إنه كان أشبه بالأرنب طَوال الوقت، وعندما بدأ المفتش يحاوره بأسئلته ارتبك وفقد أعصابه وانطلق يعدو كالأرنب وهرب وثباً من النافذة ودار بالبيت وأسرع إلى الممرّ، وقد اعترض أحد رجال الشرطة طريقه عندئذ فما كان منه إلا أن تحوّل عنه وأسرع ركضاً إلى البحيرة، ثم وثب إلى زورق قديم متداع وابتعد به عن الشاطئ وهو يجدف. كان هذا جنوناً مطبقاً منه، ولكنه لم يكن أكثر من أرنب مذعور كما سبق أن قلت. وعندئذ أطلق لويس صيحة كبيرة وقال: "إن هذا الزورق لا يصلح"، وأسرع يجري نحو البحيرة هو الآخر. وقد غرق الزورق وراح إدغر يناضل في الماء لأنه لم يكن يجيد السباحة، وألقى لويس بنفسه في الماء وراح يسبح ناحيته واستطاع أن يصل إليه، ولكن الخطر حاق بهما معاً بسبب النباتات المائية التي أعاقت حركتهما. وقد أسرع أحد رجال المفتش وألقى بنفسه هو الآخر وفي وسطه حبل متين، ولكنه تورّط هو الآخر في أفرع النباتات المائية واضطروا إلى سحبه خارج الماء. وقالت خالتي عندئذ:

"إنهما سيغرقان، سيغرقان معاً". قالت هذه الكلمات بطريقة سخيفة بعض الشيء، وقد أجابتها جدّتي قائلة: نعم.

ولا أستطيع أن أصِف لك كيف كان وقع هذه الكلمة علينا جميعاً، فقد كان وقعها علينا كالسيف. لا ريب أنك تحسبين أنني سخيفة بكلامي هذا. أظن أنني كذلك، ولكن هكذا خُيل إليّ عندئذ. وبعد أن انتهى كل شيء، وبعد أن أخرجوهما من الماء وحاولوا إسعافهما بالتنفس الصناعي عبثاً، أقبل المفتش إلينا وخاطب جدّتي قائلاً: يؤسفني أنه لا يوجد أمل يا سيدة سيروكولد.

فأجابته جدّتي بهدوء كبير قائلة: "شكراً لك أيها المفتش". ثم نظرت إلينا جميعاً. وأردت أن أهرع لمساعدتها ولكنني لم أعرف ماذا أفعل، وقد بدت جولي حزينة ورقيقة وعلى أتمّ الاستعداد لتقديم مساعدتها كالعادة. وبسط ستيفن يديه، وبدا الحزن والإرهاق على ماربل المضحكة، وحتى والي تملّكه القلق. كنا جميعاً نحبها ولم نستطع أن نبذل شيئاً. لكن جدّتي قالت عندئذ: ملدريد. فأجابتها خالتي قائلة: أمي.

ومضتا معاً إلى البيت، وبدت جدّتي صغيرة الجسم وهشّة وهي تعتمد على خالتي ملدريد. ولم أدرك حتى ذلك الوقت كم تحبّ كل منهما الأخرى، فلم يكن ذلك ظاهراً كما تعلمين، ولكن الحبّ كان موجوداً طَوال الوقت.

أما بالنسبة لي ولوالى فإننا سنعود إلى الولايات المتحدة في أقرب وقت.

* * *

# الفصل الثالث والعشرون

- كيف اكتشفت الحقيقة يا جين؟

تردّدت الآنسة ماربل قبل أن تردّ ونظرت بتفكير إلى الشخصين الآخرين، كاري لويز وقد ازدادت نحولاً وضعفاً على الرغم من هدوئها الشديد، والرجلِ المسنّ ذي الابتسامة الرقيقة والشعر الغزير الأبيض، الدكتور غالبرايث، أسقف كرومر.

أخذ الأسقف يد كاري لويز في يده وقال: إنه لمصاب عظيم يا طفلتي العزيزة وصدمة شديدة الوقع.

فقالت كاري لويز: ولكنه ليس صدمة شديدة الوقع.

وقالت الآنسة ماربل: أجل. وقد اكتشفت هذا كما تعلمين، فقد راح الجميع يؤكدون أن كاري لويز تعيش في عالم آخر وأنها بعيدة كل البعد عن عالم الواقع، ولكن الحقيقة يا كاري لويز أنك كنت وثيقة الصلة بعالم الواقع. لم يضلّك الوهم أو يخدعك في أي وقت من الأوقات، وعندما أدركتُ ذلك فجأة رأيتُ أنه يجب أن أهتدي بمشاعرك. لقد كنتِ متأكدة تماماً أنه لا يوجد من يحاول دسّ السمّ لك، ولم تستطيعي أن تصدّقي ذلك، وكنت على حق لأنه لم يكن صحيحاً. ولم تصدقي قط أن يُلحق إدغر الأذى بلويس، وكنتِ على حق في ذلك أيضاً؛ فإنه ما كان ليُلحق

الأذى بلويس أبداً. كنتِ واثقة أن جينا لا تحبّ أحداً إلا زوجها، وكنتِ على حق في ذلك أيضاً. وإذا كان يجب أن أهتدي بك إذن فإن كل الأشياء التي كانت تبدو حقيقية لم تكن إلا وهماً لغرض معيّن بنفس الطريقة التي يتبعها السحرة لخداع المتفرجين، وكنا نحن المتفرجين.

وقد عرف أليكس شيئاً من الحقيقة قبل أي شخص آخر لأنه اتفق له أن رأى الأمور من زاوية مختلفة، فقد رآها من الخارج. كان واقفاً مع المفتش في الطريق الخاص ونظر إلى المفتش وأدرك الإمكانيات التي يمكن الإفادة منها من النوافذ، وتذكر أنه سمع شخصاً يركض وسط الضباب في تلك الليلة، ثم جاء التوقيت الذي قام به الشرطي والذي رأى منه أن أموراً كثيرة يمكن أن تجري في أقصر وقت على غير ما كنا نتصوّر. وكان الشرطي يلهث بشدة، وفيما بعد وأنا أفكر في ذلك الشرطي تذكّرت أن لويس سيروكولد كان يلهث في تلك الليلة التي فتح لنا فيها باب المكتب، وأدركت من ذلك أنه قطع شوطاً كبيراً وهو يجري.

لكن إدغر لاوسن كان هو محور القضية بالنسبة لي؛ فقد كان يكتنفه شيء غريب غير طبيعي، وكان كل ما ينطق به يتطابق ويتفق تماماً مع الشخصية المفروض أنه يمثّلها، ولكن موقفه هو بالذات لم يكن سليماً لأنه كان رجلاً عادياً يقوم بدور شاب مصاب بانفصام الشخصية، وكان يتجاوز الحدّ في تظاهره دائماً، فكان يبدو كما لو كان ممثلاً يقوم بدوره.

ولا ريب أن كل شيء قد دُبّر بعناية وبراعة شديدتين، ولا ريب أن لويس أدرك في أثناء زيارة كريستيان غولبراندسن الأخيرة أن شيئاً قد آثار شكوكه، وكان يعرف كريستيان حقّ المعرفة ويعرف

أنه لن يستقرّ أو يهدأ إلا إذا تأكّد من أنه يوجد ما يبرّر شكوكه أو ما يثبت أنه لا أساس لها.

تململت كاري لويز وقالت: أجل، لقد كان كريستيان كذلك، بطيئاً مثابراً، ولكنه في الواقع ذكيّ جداً. لست أدري ما الذي أثار شكوكه، ولكنه بدأ في التقصي، وقد توصل إلى الحقيقة.

وقال الدكتور غالبرايث: إنني ألوم نفسي لأنني لم أكن وصياً ذا ضمير أكثر يقظة.

فقالت كاري لويز: ما كان لأحد أن يتوقع أن تفهم شيئاً في المسائل المالية؛ فقد كانت من اختصاص غيلفروي أصلاً، وبعد موته سمحوا للويس أن يُشرف على كل شيء إشرافاً كلّياً نظراً لما اكتسبه من خبرة طويلة، وهذا ما جعله يفقد رأسه أخيراً.

اصطبغت وجنتا السيدة سيروكولد باللون الوردي قليلاً وقالت: لقد كان لويس رجلاً عظيماً، رجلاً يؤمن بأن كل شيء ممكن الحدوث بالمال. لم يكن يريد المال لنفسه، أو على الأقل لم يدفعه الجشع إلى الحصول عليه، فقد كان يهدف إلى السلطان عن طريقه. كان يريد القوة لكي يزرع الخير به.

قال الأسقف: لقد كان يريد أن يكون إلهاً، ونسي أن الإنسان ما هو إلا أداة تنفّذ إرادة الله.

وقالت الآنسة ماربل: وهكذا اختلس أموال المؤسسة.

فقال الدكتور غالبرايث وهو متردّد: ليس هذا فقط.

قالت كاري لويز: حدّثها بكل شيء، فهي صديقتي العزيزة.

فقال الأسقف: لقد كان لويس سيروكولد ساحراً في الأعمال

المالية، وكان في أول عهده بالمحاسبة قد توصل إلى طرق كثيرة للاختلاس دون أن يوجد أي دليل مادّي على ذلك، وما إن بدأ يواجه احتمال اختلاس مبالغ كبيرة وهو آمن حتى راح ينفّذ هذه الطريقة عملياً. لقد كان تحت يده فريق من الدرجة الأولى، واختار من بين الفتية الذين أتى بهم هنا عصابة صغيرة، وكان لديهم الاستعدادات لمثل هذا العمل الإجرامي، وكانوا على قسط كبير من الذكاء. نحن لم نكتشف كل شيء بعد، ولكن من الواضح أن هذه الفئة الخفية كانت تتلقى تمرينات خاصة ثم تلتحق بعد ذلك بوظائف حساسة، وكانوا طبقاً لتعليمات لويس وإرشاداته يزورون السجلات بحيث يتمكّنون من اختلاس مبالغ جسيمة دون أن ينكشف أمرهم. وأظن أن هذه العمليات وتشعّباتها من التعقيد بحيث لا بدّ للخبراء من مدة طويلة لحلّ رموزها، ولكن النتيجة النهائية لهذه العمليات كان من شأنها أن يملك لويس حسابات متعددة في مختلف المصارف والشركات وبأسماء مختلفة، بحيث يستطيع التصرف بمبلغ جسيم يسمح له بإقامة مستعمرة فيما وراء البحار لتجرِبة تعاونية يستطيع المنحرفون بفضلها الحصول على أرض خاصة بها وإدارتها. وقد كان هذا حُلماً خيالياً بالطبع.

قالت كاري لويز: كان حُلماً يمكن أن يتحقق.

- أجل، كان يمكن أن يتحقق، ولكن الوسائل التي اتبعها لويس كانت وسائل غير شريفة، وقد اكتشف كريستيان غولبراندسن أمرها وانزعج بما قد يكون من نتائج اكتشافه هذا، وبما قد يكون من أثر اضطهاد الشرطة لك يا كاري لويز.

فقالت كاري لويز: وهذا هو سبب سؤاله لي إذا كان قلبي قوياً أم لا وسبب قلقه على صحّتي، ولم أفهم عندئذ.

– ثم عاد لويس من رحلته في الشمال والتقى كريستيان به أمام البيت وأخبره بأنه يعرف كل شيء، وأظن أن لويس قابل الخبر بكل هدوء. واتفق الرجلان على أنه يجب أن يبذلا جهدهما للإبقاء عليك بعيداً عن كل شيء، وقال كريستيان إنه سيكتب إليّ ويطلب مني المجيء لمناقشة الموقف.

فقالت الآنسة ماربل: ولكن لويس كان قد توقّع هذا الاحتمال بالطبع وأعدّ خطته، فقد جاء بالشاب الذي كان يتعين عليه القيام بدور إدغر لاوسن في البيت. وغنيّ عن البيان أن أقول إنه يوجد شخص يُدعى إدغر لاوسن حقاً في حالة إذا ما ارتاب رجال الشرطة في الأمر، وكان هذا الـ إدغر المزيف يعرف ما يجب أن يقوم به بالتحديد، وهو أن يقوم بدور شاب يعاني من انفصام الشخصية وأنه ضحية الاضطهاد، ويقدّم للويس سيروكولد الدليل على وجوده في مكان آخر غير مكان الجريمة وقت ارتكابها.

وكان قد أكّد خطواته التالية كذلك، وكانت تتلخّص في أن بعضهم يدس السم لك يا كاري لويز للإيهام بأنه يوجد من يحاول قتلك، وعندما نفكّر الآن في هذه القصة نجد أن لويس يدّعي أن كريستيان قال له ذلك وأنه أضاف بضعة أسطر على الآلة الكاتبة في حين كان ينتظر قدوم رجال الشرطة.

وكان من السهل أن يضع الزرنيخ في الدواء، ولم يكن يوجد أي خطر عليك ما دام قد وضع نصب عينيه أن يمنعك من تناوله. وكانت الشوكولاتة هي اللمسة الأخيرة، وبالطبع لم يكن بالشوكولاتة الأصلية أي سمّ وإنما أضاف السم إلى القطع التي استبدلها قبل أن يعطيها للمفتش كوري.

سألتها كاري لويز قائلة: وهل خمّن أليكس الحقيقة؟

– نعم، ولهذا جمع قلامات أظافرك. كان التحليل خليقاً أن يثبت إذا كان الزرنيخ يدس لك منذ وقت طويل أم لا.

– أليكس المسكين، وإيرني المسكين أيضاً.

وسادت لحظة صمت. ثم قال الأسقف: ولكن لويس أقدم على مغامرة كبيرة بإقناع إدغر لاوسن بأن يكون شريكاً له.

فهزت كاري لويز رأسها وقالت: لم يكن الأمر كذلك، ولكن إدغر كان يحب لويس كثيراً.

وتمتمت الآنسة ماربل تقول: أجل. كما كان ليوناردو وايلي يحبّ أباه. وإنني أتساءل إذا لم يكن...

ولكن منعها ذوقها أن تزيد، فقالت كاري لويز: أظنك لاحظت الشبه.

– كنت تعرفين ذلك إذن طَوال الوقت؟

– لقد خمّنت، فقد كنت أعرف أن لويس افتتن لوقت قصير بإحدى الراقصات قبل أن يلتقي بي، وقد أخبرني بذلك، ولم يكن الأمر جدّياً، فقد كانت امرأة لعوباً لا همّ لها إلا المال ولم تكن تحبه، ولكنني متأكدة من أن إدغر ابنه منها.

فقالت الآنسة ماربل: أجل. إن هذا يفسّر كل شيء.

قالت كاري لويز: وقد ضحّى بحياته في سبيل النهاية.

وساد صمت قصير للمرة الثانية ثم قالت كاري لويز: يسرّني أن الأمر قد انتهى بهذه الصورة، بأن ضحّى بحياته محاولاً إنقاذ الولد. إن الرجال يمكن أن يكونوا أخياراً كما يمكن أن يكونوا أشراراً كذلك، وقد عرفت حقيقة لويس دائماً، ولكنه كان يحبني

كثيراً كما كنت أحبه.

فسألتها الآنسة ماربل قائلة: هل حدث أن شككت في أمره؟

فأجابت كاري لويز قائلة: لا؛ لأن حكاية السمّ أثارت حيرتي، فقد كنت أعرف أن لويس ما كان ليدس السمّ لي أبداً، ومع ذلك فقد كان خطاب كريستيان يؤكد أنه يوجد من يدسّ السمّ لي، ولذلك ظننت أنني أخطأت في كل ما أعرفه عن الناس.

قالت الآنسة ماربل: ولكن عندما قُتل أليكس وإيرني، ألم تشكّي فيه عندئذ؟

فأجابت كاري لويز قائلة: بلى، شككت فيه لأنني ظننت أن ما من أحد غير لويس يمكن أن يجرؤ على ذلك وبدأت أخشى علامَ سيقدم بعد ذلك.

وارتجفت بعض الشيء وقالت: كنت أُعجب بلويس، وأُعجبت بـ... ماذا أقول؟ أُعجبت بنزعة الخير فيه، ولكنني كنت أعلم أن الخيّر يجب أن يكون متواضعاً كذلك.

فقال دكتور غالبرايث: إن ما يعجبني فيك يا كاري لويز هو تواضعك.

فاتسعت العينان الزرقاوان وقالت: ولكنني لست ذكية ولست خيّرة بشكل متميّز، فأنا أستطيع فقط أن أُعجب بالخير عند الغير.

وقالت الآنسة ماربل: أيتها العزيزة كاري لويز...

* * *

# خاتمة

قالت جينا: أظن أن جدّتي ستعيش في وفاق تام مع خالتي ملدريد؛ فإن خالتي ملدريد تبدو الآن أكثر رقة ولم تعُد غريبة الأطوار، وأظنك تفهمين ما أعنيه.

فأجابت الآنسة ماربل قائلة: نعم، أفهم هذا جيداً.

- ولهذا سأعود أنا ووالي إلى الولايات المتحدة بعد أسبوعين.

ورمت جينا زوجها بنظرة جانبية وقالت: سأنسى كل شيء عن ستوني غيتس وعن إيطاليا، وسأنسى ماضيّ كلّه وأصبح أمريكية مئة في المئة، وأظن أنني لا أستطيع أن أقول خيراً من ذلك يا والي.

قالت الآنسة ماربل: لا تستطيعين بكل تأكيد يا كيت.

فابتسم والي بسماحة وهو ينظر إلى السيدة العجوز التي تخطئ في الأسماء وقال يصحح برقة: إنها جينا وليست كيت.

ولكن جينا ضحكت وقالت: إنها تعرف ما تقول، وسوف تدعوك بتروشيو بعد لحظة.

فقالت الآنسة ماربل تخاطب والي: أظن أنك تصرّفت بحكمة كبيرة يا بنيّ العزيز.

قالت جينا: إنها تعتقد أنك خير زوج لي.

أخذت الآنسة ماربل تنقل بصرها بينهما. كان جميلاً أن ترى شابين يحبّ كل منهما الآخر كل الحب، وكان والتر هد قد تبدّل تماماً فلم يعد ذلك الشاب العَبوس الذي كانت تعرفه من قبل، وأصبح عملاقاً مبتسماً معتدل المزاج. قالت لهما: إنكما تعيدان إلى ذهني ذكرى...

ولكن جينا اندفعت وأطبقت بيدها على فم المرأة العجوز بقوة وقالت: لا يا عزيزتي، لا تنطقي بأية كلمة، فأنا لا أحب هذه المقارنات الريفية! واكتست عيناها بغشاوة وهي تستطرد قائلة: عندما أفكّر فيك وفي خالتي روث وجدّتي ويخطر لي أنكنّ قضيتنّ طفولتكنّ معاً يأخذني العجب وأتساءل: كيف كان حالكنّ في ذلك الوقت؟ لا أستطيع أن أتصوّر ذلك.

فقالت الآنسة ماربل: أظن أنك لن تستطيعي؛ فقد كان ذلك منذ وقت طويل.

* * *

(تمت)